

ولف هتار

کفای



ادولف هتار

كفاحي

منشورات المكتبة الوطنية - بيروت

مقدمة

من يراقب اليوم الصراع القائم بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، يلاحظ مدى الجهود التي يبذلها المعسكر الرأسمالي لصد التيار اليساري الجارف الذي ازداد انتشاره بعد الحرب العالمية الثانية. فهو يقدم المساعدات المالية والاقتصادية والفنية وغيرها آملاً أن يكسب ثقة وعطف الشعوب المتخلفة وبذلك يقطع الطريق أمام التقدم الشيوعي الزاحف. وقد بذل هتلر نفس الجهود التي يبذلها الآن المعسكر الديموقراطي. ولكن لكي نتمكن من تفهم جهود هذا الرجل على حقيقتها علينا أولاً تفهم المبادئ التي عرضها في كتابه « كفاحي » الذي أصبح للنازيين كالإنجيل من حيث الأهمية ..

ان المبادئ التي دعا إليها هتلر قد اثارت الإهتمام الشديد حتى للذين حاربوا اشتراكيته الوطنية ، بل وتعاونوا مع الشيوعيه لسحق هتلر والنازية . ولكنهم ادركوا مدى تأثير مبادئه في وقف التيار الشيوعي المتطرف ولو قربت على هذه المبادئ ان تدعو لقيام الدكتاتورية . ومن ثم حكم الحزب الواحد بالعنف والقوة .

لم يكن هتلر بالرجل العادي الذي خسر حرباً وتسبب في مأساة مؤلمة ، فهو رجل دخل التاريخ وبذل وجهه ، خلفاً وراءه تراثاً « ضخماً » يشمل شتى الميادين والفنون .

هتلر واليهود

الفصل الأول

- ١ -

طفولتي

ابصرت النور في مدينة صغيرة تدعى برونو ، تقع على الحدود بين المانيا والنمسا الدولتين الألمانيةين اللتين يجب ان يتجدد اتحادهما قبل اي هدف من الأهداف التي نعمل من اجلها في حياتنا .

فالنمسا الألمانية يجب ان ترجع الى حظيرة الوطن الألماني الكبير ، إذ ان دمنا الواحد هو ملك لوطننا الواحد . ولن يتمكن شعبنا الألماني من اي نشاط استعماري ما لم ينصهر ابناؤه جميعهم في دولة واحدة ، وحين يحوى الرايخ جميع ابناؤه يصبح من حق الشعب في ان يستولي على الأراضي الأجنبية ، إذ يسمي الوطن عاجزاً عن إعالة ابناؤه .

في عام ١٨٩٠ ابصرت النور وكان والدي موظفاً مثالياً في الجمر ، وبعد ان احيل إلى التقاعد ذهب بنا إلى مدينة لانتز مسقط رأسه ثم إلى قرية لامباخ .

حيث انصرف إلى اعمال الزراعة في ارضنا ودخلت انا مدرسة لامباخ . وبالرغم من صغر سني كنت افكر في مستقبلي ، فلم تستهوني مهنة ولم اكـن اميل إلى الوظيفة التي كانت تبدو لي كالحبل يشد بي الى الأسفل . وكنت اجسد في نفسي موهبة القائد ، في كل مرة احاول فيها إقناع رفاقي في المدرسة بوجهة نظري .

وكنت امضي اوقات الفراغ في مكتبة والدي انكب على مطالعة كتب التاريخ والمجلات المصورة ، وفي ذات يوم عثرت على مجلة فيها وصف مدعش للحرب بين بروسيا وفرنسا ، وكنت اتساءل وانا اقرأ عن معارك الجيش البروسي المظفر ، اين كان المان النمسا يومئذ ؟ ولماذا تخلف النمسيون من النصر ؟ وهل هناك من فرق بين الألمان الذين قهروا نابوليون الثالث وبين المان النمسا ؟

* * *

لقد كان والدي يعلم ان الدروس الكلاسيكية لا تهمني ، ولكن بالرغم من ذلك ، كان يريد ان ينقلني الى إحدى مدارس الفنون ، كي يجعل مني في المستقبل موظفًا . ولكنه لم يشك في أنني سأقاوم إرادته ، لذلك كانت مفاجأة رفضي شديدة على نفسه ، وعبثًا حاول إغرائني بمحاسن الوظيفة التي عاش هو حلوها ومرها . وقد املتته صراحتي انا الولد الصغير باني لن أصبح كما كان هو موظفًا سجين مكتبه . ولكنني وافقت على الانتقال إلى معهد الفنون الجميلة . وهناك اكتشفت أنني املك موهبة في الرسم . ولكن والدي أكد لي مجددًا ، رغبته في أن أكون موظفًا ، وكان جوابي أنني قررت أن أصبح مصورًا أو رسامًا فاغضبه جوابي ، ولكنني تشبثت برأيي وتشبث هو برأيه . فاخرجني من المعهد واعادني إلى المدرسة ، وهناك تابرت على دراسة فن الرسم واهملت دروسي الأخرى ، ولكنني كنت متفوقًا في مادتي التاريخ والجغرافيا .

واليوم وانا استعيد ذكريات الماضي اشعر باني مدين لوالدي بان اصبحت

وطنياً متطرفاً ، فقد رسخت في ذهني ملاحظات استاذ التاريخ الدكتور
ليوبولد بوتش - إن النمسا جزء لا يتجزأ من ألمانيا وان زوالها كدولة مستقلة
امر ضروري للأمة الألمانية .

توفي والدي فجأة وانا لا ازال في الثالثة عشرة ، وبدأت والدتي تنفذ ما كان
والدي يريدوه وهو ان التحق باحدى الوظائف الحكومية حين اصبح في الثامنة
عشرة ، ولم اشأ ان ارفض طلبها هذا ، ولكن شامت الأقدار ان اصاب بنزلة
شعبية تطورت بشكل خطير مما دعى الطبيب الى توقيفي عاماً كاملاً عن
الدراسة . وفي هذه المدة التي قضيتها في البيت حدثت والدتي عن هوايتي الجديدة .
وطلبت من الطبيب اقناعها بان تسمح بالتحاقى بمعهد الفنون لأن هذا لا يتطلب
مني أي مجهود مضن ، فاقتنعت ..

توفيت والدتي بعد عامين من عودتي إلى معهد الفنون وأصبحت وحدي في
معتزك الحياة وانا لم ازل فتي مراهقاً لا املك ما يقيني شر العوز بعد ان تبسدت
المال الذي خلفه والدي خلال الأربعة اشهر التي قضتها والدتي وهي على فراش
المرض .

كان علي "أن اعمل لأعيش ، فذهبت الى فينا وكان سلاحى الوحيد الارادة
والتصميم على مواجهة المصير . لقد شق والدي طريقه في الحياة ووصل الى
القمة التي وضع نصب عينيه وصولها ، وسأشقى انا طريقى بنفسى ولكنى لن اقف
عند حد الوظيفة مهما كلفنى ذلك ...



السنوات القاسية

كانت خيبيتي كبيرة حين رسبت في امتحان اكاديمية الفنون ، قسم التصوير بالزيت ، ولدى سؤالني عن السبب في رسوبي قال لي عميد الأكاديمية ان الرسوم التي قدمتها تؤهلني الى الدخول لفرع هندسة البناء ، وشجعني على الالتحاق بهذا القسم .

*

وصلت فينا بعد وفاة والدتي وقلبي عامر بالايان ، وما استسلمت لليأس ، بل صممت وانا ادخل المدينة الكبيرة على الالتحاق بقسم هندسة العمار مهما يكن الثمن . ولكن كان علي ان اعمل لأعيش بالاضافة إلى الدرس والتحصيل ، واني لأشكر اليوم العناية الالهية التي وضعتني امام قسوة الدهر وانا في مستهل عمري ، وجعلتني اذوق مرارة العوز في عالم المحرومين مما اتاح لي انا البورجوازي النشأة ان اعيش مع من ناضلت من اجلهم فيما بعد وفي سبيل رفع مستواهم .

في فينا، المدينة الالهية ، قضيت اشقى ايام العمر : فقد عشت خمس سنوات لم أذق خلالها طعماً للراحة . فقد بدأت عملي كمعاون بناء ثم كدهان لأحصل قوتي اليومي وآمن من الجوع ، هذا الزميل الذي كان يلازمني ويشاطرني في كل شيء ، فاذا اشتريت كتاباً وقف الجوع ببائي يوماً كاملاً ، وإذا حضرت حفلة موسيقية او شاهدت مسرحية لازمني الجوع يومين ، وكان الكتاب صديقي الوفي ، وبفضل المطالعة توسعت معلوماتي وتبلورت آرائني مع مرور

الزمن ، ثم رحت أدون نظرياتي الخاصة التي اتخذت منها في المستقبل أسس العمل .

كانت فينا في مطلع القرن العشرين ، مدينة تمرقها المشاكل الاجتماعية ، فيها يتجاور الثراء والفقر ، العظمة والضعف ، المعرفة والجهل . وكانت فينا البلد الوحيد الذي يمكن للدارس أن يراقب ويدرس المسألة الاجتماعية .

وككل غريب كنت أسمى في طلب العيش بعرق الجبين ، فقد تحررت من الكبرياء ومرتبات النقص والخوف من الشامتين ، يقيناً مني بأن العمل مهما كان نوعه فإنه يشرف العامل . وسرعان ما أدركت أن العثور على عمل أسهل من الاحتفاظ به . وأن خيبة الأمل تنتظر الذين يهجرون القرية ويهبطون إلى العاصمة في طلب العيش الهنيء الهين ، فالقروي يترك قريته إلى المدينة ويدخل عالمًا مجهولاً ، وليس لديه من المال غير القليل - فإذا وجد عملاً فسرعان ما يفقده فيلجأ إلى معونة صندوق النقابة لبضعة أيام أو بضعة أسابيع ، ومضى تنتهي المدة لا يبقى أمامه إلا العمل بأجر قليل ، أو العودة إلى قريته ، فإذا أثبت عليه كبريائه أن يعود إلى قريته وسدت بوجهه أبواب العمل ، لا يلبث أن يألف البطالة ويصبح آلة طبعه بأيدي المحرضين المشاغبين ، الداعين إلى الاضراب وتقويض دعائم الاقتصاد القومي ومعالم الدولة والحضارة .

لقد لمست الأخطار التي كانت تتآمر على الأمة الألمانية في النمسا ، وهما خطران كبيران ... الماركسية واليهودية .

*

لقد روغني للبؤس المادي المسيطر على الشعب ، كما روغني انخفاض مستواه الأخلاقي ، فقد لاحظت فقدان الشعور بالواجب بين العمال والصناع ، قرب العائلة يهمل شؤون بيته ولا يعنى بتربية اولاده لينصرف إلى البحث عن قوت

يومه . وكان انعدام التربية البيئية في مجتمع متفسخ كالمجتمع النمساوي يؤدي بالتالي إلى تفكك الروابط بين الآباء والابناء والتي تربط بالتالي العائلة إلى الدولة علماً ان الفقر يولد الجهل والمرض ، ومتى اجتمعت هذه العوامل الثلاث يفقد الشعب ثقته بالدولة ويموت الشعور الوطني في نفوس الشعب .

ان تحويل الشعب إلى أمة خلافة يفرض قيام مجتمع سليم يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية فلا يمكن ان يشعر بالاعتزاز بالوطن من لا يتعلم في البيت او المدرسة حب الوطن ويقدر أمجاد وطنه في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد ان الانسان لا يكافح الا من اجل ما يحب ، ولا يحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه ولا يشعر بنفس الوقت بالطمأنينة وهناءة العيش .

*

وفي عام ١٩٠٩ طرأ على وضعي بعض التحسن ، فقد اصبحت اعمل لحسابي الخاص كرسام هندسي ، وفي اوقات الفراغ كنت اكب على الدرس والمطالعة وخاصة على دراسة الوضع السياسي في البلاد وما تتركه التيارات العقائدية والفكرية من اثر على مقدرات الدولة النمساوية التي كانت مهددة بالانهيار .

- ٣ -

الحزب الاشتراكي الديمقراطي

قبل دراستي للحركة الاشتراكية الديمقراطية ، كان لدي فكرة غامضة عن هذه الحركة ومنشئها واهدافها واساليبها . وكنت اتابع بعطف كفاحها في

سبيل الدستور يقيناً مني ان تسليم السلطات بهذا المطلب من شأنه ان يضعف من نظام آل هابسبورغ ، ذلك النظام الذي أكرهه كرهاً شديداً لأنه يحاول إخماد الروح الجرمانية في صدور عشرة ملايين من النمساويين . وبزوال هذا النظام يتحرر الشعب النمساوي وتزول العقبات الرئيسية التي تعترض تحقيق الانشلاوس وانضمام الشعب الواحد الى الوطن الواحد .

ومما زاد من عظمي على الاشتراكية الديمقراطية اعتقادي بانها تعمل من اجل الطبقة الكادحة كي ترفع من مستواهم . وبقيت على هذا الاعتقاد إلى ان بلغت السابعة عشرة وبدأت اتفهم خطورة الحركة النقابية في البلاد على ضوء التظاهرات الشعبية والاضرابات ، وقد حضرت اكثر من اجتماع واستمعت الى قادة الحركة يخطبون في الجماهير ، وكان في نيتي الانضمام الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي ولكن سرعان ما تكشف لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ومراميها البعيدة ، فهي ضد الأمة لأنها كانت من صنع الطبقات الرأسمالية . وضد الوطن لأنها اداة البورجوازية لاستغلال الطبقة الكادحة ، وضد الشرائع لأنها اداة بيد السلطة الحاكمة تستخدمها لارهاب البروليتاريا ، وضد المدرسة المعدة لتنشئة الارقاء وضحايا الحروب التي تشنها الرأسمالية ، وضد الدين لأنه وسيلة لتخدير الشعب وإضعافه ليستعبده المستغلين إلى الأبد ...

وكنت أثناء حضوري لهذه الاجتماعات احاول ان لا اتكلم ، ولكن استرسال الخطباء في تهديم كل ما هو سام ونبييل اخرجني عن صمي ، فاصبحت ادخل معهم في جدل طويل لم تتسع له صدورهم ، فحرضوا علي نقر من المتعصبين ، فأثرت عدم الحضور الى اجتماعاتهم وانا اشفق لحال الجمهور الذي يتلاعبون به ويتصرفون بمقدراته حسب ما يتفق مع مصالحهم .

لقد ادركت وانا اتابع الحركة الاشتراكية الديمقراطية ان زمام الأمر هو في متناول القوي وادركت كذلك ان العنف والارهاب هو سلاح الاشتراكية

الديمقراطية وان طريقها في محاربة خصومها تقوم على تشويه سمعتهم بجملة من التشنيع تحطم اعصابهم . وقد عجبت لعدم وجود حزب يتبع نفس الاساليب من العنف والارهاب وبذلك يقطع الطريق على الاشتراكية الديمقراطية .

اما موقف البورجوازية فقد كان موقفا لا مباليا من مطالب العمال التي كانت مطالب معقولة ومشروعة ، مما جعل الحركة الاشتراكية الديمقراطية تستغل نقمة البروليتاريا على الاوضاع الراهنة ، وتستغله كسلاح ماض تشهده في وجهه خصومها ...

في البداية كانت الحركة النقابية تهدف الى تنظيم جهود العمال للمطالبة بحقوقهم ورفع مستواهم ، وبقيت بعيدة عن السياسة والحزاب الى ان دفعت بها البورجوازية الى المعترك السياسي برفضها الاستجابة الى مطالب العمال الحق ، وفي هذا الوقت كانت الاشتراكية الديمقراطية بانتظار الفرصة المناسبة ، فتبنت مطالب العمال والنقابات ، بينما كانت البورجوازية على العكس تعمل على حل السلطات على حل النقابات بحجة عدم شرعيتها وتنافيها مع فكرة الوطن .

كانت افدح اخطاء البورجوازية عندما اعتبرت الحركة النقابية منافية لفكرة الوطن . ان حركة نقابية اهدافها الدفاع عن مصالح العمال لا تكون الا حركة وطنية يجب تشجيعها ما دام هناك ارباب عمل لا يعرفون العدل والانصاف . ولا يجوز ان ننكر على عمالهم ومستخدميه حق الدفاع عن حقوقهم ، ولا يمكن للعامل منفردا الوقوف في وجه رب العمل ، فالنقابة هي التي تتولى رعاية مصلحته والدفاع عن حقوقه .

بدأت الحركة النقابية تتحول عن اهدافها الاساسية في اواخر القرن الماضي ، فأحتضنتها الاشتراكية الديمقراطية لتحوّلها الى اداة ضغط في نضالها الطبقي وبذلك يتم لها تفويض دعائم الاقتصاد وبالتالي تفويض دعائم الدولة ، فلما اصبحت النقابات في قبضة الاشتراكيين زال اهتمامهم برفع مستوى البروليتاريا ، لأنهم

اكتشفوا انهم لو استمروا بذلك فان انتهاء بؤس الطبقة الكادحة لن يكون في مصلحتهم ، لأن زوال اسباب التذمر سيعدم عن السياسة ، فيفقد الاشتراكيون بذلك جماهير المناضلين الذين عودوم الرضوخ والانقياد لهم .

- ٤ -

مفتاح الاشتراكية

بعد أن تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ، انكبت على درس نظريات قادة هذه الحركة ، فوجدت نفسي امام عقيدة مبنية على الحق والاثانية ، عقيدة يعني انتصارها هزيمة للبشرية ، وما لبثت ان اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطرة والمبادئ التي يدعو اليها اليهود . وأدركت مع الايام ان اهداف الحركة الاشتراكية الديمقراطية هي نفسها اهداف اليهود كشعب ، واليهودية كدين ، والصهيونية كحركة سياسية قومية . ففي حدائتي كنت اعتبر يهود بلادي مواطنين . وكنت لا اعتبر الخلاف في الدين ، حتى اني وبخت صديقاً لي لإهانتته احد التلاميذ اليهود . وظلت هذه نظرتي الى اليهود الى ان انتقلت الى فينا ، فبرزت امامي المسألة اليهودية في زحمة المسائل التي كانت تواجه النمسا حكومة وشعباً . وقد تبينت لي هذه المسألة من خلال حملات الصحف المعادية للسامية ، وكنت اعتقد ان هذه الحملات كانت نتيجة التعصب الأعمى ، وكانت الصحف التي تهاجم اليهود قليلة الانتشار ، والصحف التي تتولى الرد عليها كانت من الصحف الكبرى ، وكان اسلوبها الرزين يلاقي في نفسي وقعاً حسناً . ولكن سرعان ما ضايقني تزلفها الشديد للسلطات وحملاتها العنيفة على الرايخ والامبراطور غليوم الثاني الذي كنت معجباً به لترويده المانييا بأسطول بحري من الطراز الاول ، كما أمضيتني من الصحافة الكبرى عطفها على فرنسا وإعجابها بها ونعتها

إياها « بالأمة المتعدنة » وكننت اتساءل لمصلحة من تعمل هذه الصحف ومن هم موجهيها ؟ فجاء الجواب في الوقت الذي تكشفت لي فيه اليهودية على حقيقتها .

كننت اعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ولكن اختلاطي بأعداء السامية من مفكرين وساسة جعلني اتحفظ في الحكم على أعداء اليهود ، وما لبثت ان أصبحت من المهتمين بالمسألة اليهودية بعد ان لمست بنفسي تكتل الاسرائيليين وتجمعهم في حي واحد من احياء فينا ، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وظقوسهم . وما زاد اهتمامي بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فينا الى قسمين : قسم يؤيد الحركة الجديدة ويدعو لها ، وقسم يشجبها . وقد أطلق خصوم الصهيونية على انفسهم اسم « اليهود الاحرار » ، إلا ان انقسامهم هذا لم يكن إلا من باب التميويه ، فتأكدت ان انقسامهم مصطنع وانهم يلعبون لعبتهم في النمسا وفي العالم كله ، وهي لعبة قدرة تعتمد الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية ، طهارة الذيل التي يدعيها اليهود .

وطهارة الذيل هذه ، وكل طهارة اخرى يدعيها اليهود هي ذات طابع خاص ، فقدارتهم كانت تصدم النظر منذ ان تقع العين على يهودي ، وكننت أضطر الى سد أنفي كل مرة ألتقي بأحد لابس القفطان ، لأن الرائحة التي تنبعث منهم تبعث على القرف . ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى قذارة نفوسهم ، فقد أثبتت لي الأيام ان ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولل يهود فيها يد . واستطعت ان ألس مدى تأثير هذا « الشعب المختار » في تسميم افكار الشعب وتخديره وشل حيويته . فقد امتدت اصابع الأخطبوط اليهودي الى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها . وأصبح هذا التغفل كالطاعون الاسود بل اشد منه فتكاً ، إذ ان تسعة اعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو للإباحية المطلقة وللماركية هي من صنع اليهود . اما الصحف الكبرى التي اعجبت بها وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من ابناء هذا « الشعب المختار » . وشمرت بعد معرفتي

بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف . فالنقد المسرحي في الصحف التي كان يهيمن عليها أو حتى يشارك في تحريرها يهود ، يرفع من شأن الممثلين اليهود والمؤلفين المسرحيين ويحط بالتالي من قدر زملائهم الالمان . والمقالات السياسية التي كانت تمجد بآل هابسبورغ وتكيل المديح لفرنسا ، كانت بنفس الوقت تهاجم غليوم الثاني وحكومته .

ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية ، وقد لمست الحقائق التي لا تخاطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويض سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض . هذا الدور الذي يؤديه اليهود بمهارة لم ينتبه الى خطورته الشعب الألماني إلا في الحرب العالمية الكبرى . اما انا فقد شعرت بالعرف حين اكتشفت ان اليهودي ، هذا المخلوق الوديع ، هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويحوله الى تجارة رابحة .

انصرفت منذ ذلك الحين الى جمع المعلومات والأدلة على جرائم اليهود بحق الوطن والمجتمع . وكنت اتابع نشاطاتهم في شق الميادين ، وقد اصطدمت بهم في امكنة لم يخطر لي انهم فيها ، فقد ظهر لي ان اليهود يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية ، ويسيطرون على صحفها ، ويوجهون نقاباتها ، وكان معظم النواب الاشتراكيين الديمقراطيين يهود ورؤساء النقابات جميعهم من اليهود ، بما فيهم قادة ومدبري المؤامرات ورؤساء تحرير الصحف التابعة للحزب .

وهكذا اصبح الحزب الكبير الذي يسيطر على مقدرات البلاد ألعوبة بيدي شعب اجني ، لأن اليهودي لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون المانياً .

واخيراً وضعت يدي على الروح الشريرة التي تقعد بشعبنا عن التقدم .

★ ★ ★

كانت الفترة القصيرة التي امضيتها في فينا كافية لإقناعي انه مها استبدت
الأوهام بالعمال وضللتهم الدعايات المفترضة ، فإنهم سيقنعون مستقبلاً ، لو قدر
لرجل مخلص ان يأخذ على عاتقه مهمة تحريرهم من المستعمرين ، وهذا ما بدأته
ووفقت به الى حد كبير . وعلى العكس لم أوفق ولو مرة واحدة لإقناع يهودي
واحد بأنه على خطأ . وقد كنت من السذاجة بحيث رحلت احاول إقناع بني
صهيون بنسخ المبادئ الماركسية . وسرعان ما ادركت ان اسلوبهم في الجدل
يقوم على قواعد خاصة بهم ، وهو اعتمادهم في اول الجدل على بلاهة خصمهم ،
فإذا لم يتمكنوا منه تظاهروا بالغباء ، فيستحيل على خصمهم ان يأخذ منهم
أجوبة واضحة . اما اذا اضطر احدكم الى التسليم بوجهة نظر خصمه بوجود
بعض الشهود فإنه يتجاهل في اليوم التالي ما كان من امره ويتظاهر بالدهشة اذا
ما جوبه بالشهود ويسترسل بالكذب ويزعم انه اقنع خصمه بحججه الدامغة
في اليوم الأسبق .

* * *

لم يكن العمال مسؤولين عن ما تعانیه البلاد من اضطرابات ، بل كانت المسؤولية
ملقاة على عاتق الحكام الذين لم يكلفوا انفسهم عناء الاهتمام بمشاكل الشعب ووضع
الحلول اللازمة لإزالة تلك المسببات . وقد عكفت على درس العقيدة الماركسية
والبحث عن مصادرها وجذورها ، وتتبع تطوراتها ، وقد تساءلت مراراً : هل
كان اصحاب هذه العقيدة يتوقعون لها هذا النجاح ؟ وهل كانت لديهم فكرة عن
نتائج نجاح الماركسية على المدى البعيد ؟ ام كانوا ضحية الخطأ في التقدير ؟ فإذا
كان الأمر الثاني فإنه يجب على كل رجل ان يقف في وجه هذه الحركة الخفية
ويمنع تطورها . واذا كان الأمر الأول فلا بد ان يكون زعماء هذا الوباء الذي
يهدد الشعوب بأبالسة حقيقيين ، لأن العقل الذي تمكن من ان يضع تصميم فكرة
لا بد ان يؤدي انتشارها في المستقبل الى تدهور الحضارة وانهارها وتحويل
العالم الى قفر ، هذا العقل ليس بعقل انسان ولكن عقل مسخ .

في هذه الحالة يجب ان نكافح كفاحاً مريراً ، وجميع الاسلحة التي يمكن للعقل البشري ان يصنعها بالإضافة الى الذكاء والارادة الحديدية . وقد توصلت نتيجة دراستي للمسألة اليهودية الى تفهم الحركة الماركسية دون عناء ، ذلك ان اليهود هم الذين وضعوا مبادئها وقولوا الدعاية لها ، وعرفوا كيف يستغلون جهود الذين كانوا ضحيتها ... كذلك رجعت الى تاريخ الشعب اليهودي عبر الأجيال وما كان له من تأثير في توجيه البشر ، فهالتني شدة التأثيرات وتساءلت بقلق : هل يقضي القدر بأن يكون لليهود النصر النهائي ؟

إن العقيدة اليهودية المعبر عنها في التعاليم الماركسية لاتعترف بالمبدأ الارستقراطي وتضع التفوق العددي محل القوة والمقدرة ، وبالتالي تنكر قيمة الانسان الفردية كما تنكر أهمية الكيان القومي والعنصري ، مجردة البشرية من العناصر التي لا بد من وجودها لاستمرارها وبقاء حضاراتها . فإذا اعتمدت هذه العقيدة كأساس للحياة فإنها ستقوض كل نظام وتعود بالجنس البشري الى عهد الفوضى واختلاط العناصر مما سيؤدي الى انقراض البشر . واذا قدر لليهودي من خلال ايمانه الماركسي ان يتغلب على شعوب هذا العالم ، فلن يبقى للبشر من اثر على سطح الارض .

ان الأبدية ستنتقم من الذين يخالفون احكامها ، ولذا لك سأصرف حسب مشيئة الخالق ، لأني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي إنما أناضل للدفاع عن مشيئة الخالق وعمله .

الفصل الثاني

- ١ -

ملاحظات سياسية

علمتني التجارب انه يحذر بالانسان ألا ينزل معترك السياسة الفعلية قبل أن يبلغ الثلاثين ، فيكون قد تجهز بالسلاح الكامل من معرفة واختبار وحنكة ، تتيج له تكوين رأيه الشخصي في جميع القضايا التي تشغل الرأي العام ، فإن لم يفعل فإنه سيجد نفسه بعد حين مجبرا إلى تبديل مواقفه حيال بعض الامور الجوهرية ، أو سيضطر الى الاستمرار في مواقفه مع اقتناعه بأنها ليست بالمواقف السليمة ، ففي الحالة الاولى سيدفع الثمن نتيجة تسرعه وهو خسارة انصاره الذين سيصبحون حيارى حيال هذا التبدل المفاجيء الذي لم يجدوا له من تعليل . اما الحالة الثانية ، وهي حالة شائعة ، فكما ضعف إيمان الزعيم بعقيدته ، كلما بدت عقيدته فارغة تافهة ، وكما استرسل في التمويه على مؤيديه وانصاره ، كلما ازدادت مطالبه منهم ، وينتهي به الحال الى التضحية بما تبقى له من زعامة وينقلب سياسياً محترفاً ، وهذا النوع من الناس ليس له إلا عقيدة واحدة هي انعدام العقيدة مع وقاحة مثيرة للاشمئزاز ، ناهيك عن التفنن في الكذب .

واذا شئت الظروف ان يصل هذا النوع من الرجال الى البرلمان ، فان اعماله

البطولية ستكون النضال للبقاء على نفسه ، ويصبح عدواً شخصياً لكل رجل يتجه الى العمل السياسي ، ويكافح كل حركة سياسية تبرز شخصية جديدة الى المسرح ، وذلك خوفاً على نفسه من الزوال .

فيما بعد سأحدد وجهة نظري من النظام البرلماني ، وأعود الآن الى الموضوع الذي بدأت به هذا الفصل .

إن الرجل يتعلم كثيراً بعد بلوغه الثلاثين ، وإن ما يتعلمه يكون مكملاً لعلومه السابقة ، فلا يترتب عليه زعزعة دعائم معتقداته السياسية ، وهكذا لن يضطر انصاره الى كبت الألم في نفوسهم بأن ما تعلموه منه في الماضي كان بعيداً عن الصواب ، فزيادة معارف الزعيم واتساع علومه يقدمان لهم ضمانات جديدة تبعث في نفوسهم الطمأنينة ، فتزداد ثقتهم به .

إن زعيماً يضطر الى التخلي عن معتقداته السابقة ، سيضطر محافظة منه على شرفه وكرامته أن يمتنع عن تعاطي السياسة لأنه قد يقع في نفس الخطأ في نظركه الى الأمور ، ولا يجوز له أن يطمع في كسب ثقة مواطنيه ومؤيديه .

ولكن الناس في إيماننا هذه قلما يفكرون بذلك .

بالرغم من أن المنازعات الداخلية قد هزت البلاد ، فقد بقي وجه فينا الجميل هو كل ما يراه العالم الخارجي من النمسا بوجه عام والمانيا بوجه خاص . وقد قدر للماصمة أن يصل اليها محافظ عبقرى جدد شباها هو الدكتور لوجر ، هذا الألماني العظيم أنجبته أمة تعرف كيف تبعث الحياة حينما وجدت .

لم يكن الدكتور لوجر من رجال الدولة العظام ، ومع ذلك فقد استطاع أن يصنع المعجزات في أكثر من حقل من حقول الاقتصاد والسياسة والفن وغيرها

وأثبت بالفعل انه رجل دولة اكثر من اي دبلوماسي يدعي هذه الصفة .

ولئن تكن شبه الأمة التي تدعى النمسا قد انهارت ، فلا يعني هذا ان العنصر الالماني غير كفؤ على صعيد السياسة ، إذ كيف يستطيع عشرة ملايين الماني ان يمنعوا تدهور دولة تضم خمسين مليوناً ؟ لقد كان للنمساوي الالماني افكار واسعة ، فهو قد اعتاد على العيش ضمن امبراطورية كبيرة مما يلقي عليه واجبات معينة ، وما برح يتطلع الى حدود الامبراطورية رغماً عن انفصاله نهائياً عن الوطن الأم ، وعرف كيف يحافظ على المانية ما انتزعه اجداده بعد كفاحهم المرير من الشرق . ولم تقف جهود النمساويين الالمان عند هذا الحد ، بل بقيت النخبة منهم تتجه بأنظارها وافكارها الى الوطن الالماني الكبير .

والنمساوي الالماني يمتاز عن سائر المواطنين بسعة أفقه ، فنشاطه كان يشمل عموم الامبراطورية في ميادين الاقتصاد والتجارة . وكان يستأثر لوحده بالمشاريع الضخمة ، ويقدم ارباب الاختصاص والعمل والمستخدمين ، وكان لوقت ما هو الأول في التعامل مع الخارج ، وكانت الدولة بمعظمها ، سياسياً في قبضة النمساوي الالماني ، وكانت خدمة العلم تبعده عن منطقته ، فيذهب ليؤدي واجبه كجندي في البوسنة والهرسك او غاليسيا تحت قيادة ضباط المان لأن الملاك كان في معظمه ألمانياً ، ومثله ملاك الموظفين الكبار . وبقي النمساويون الالمان متفوقين في جميع ميادين الفن كالوسيقى والرسم والتصوير والهندسة والنحت . وكان الالماني محور السياسة الخارجية ، عدا قلة من الهنغارين ، وبالرغم من كل هذا فقد كانت جميع المحاولات لإنقاذ الامبراطورية تفشل لعدم توفر الشرط الأساسي للنجاح .

كانت الطريقة الوحيدة للتغلب على النزعة الاستقلالية لمختلف الشعوب التي تؤلف الدولة النمساوية ، هي تنظيم البلاد على اساس المركزية ، وقد خطرت هذه الفكرة في أذهان المسؤولين ولكنهم كانوا يعتقدون ان تنفيذها كان مستحيلاً . وكان اعتقادهم مبنياً على اختلاف المعطيات الداخلية للدولة عما كانت عليه

معطيات الرايخ الالمانى عندما حققه بسبارك . ففي المانيا لم يكن من عقبات سوى التقاليد السياسية وكان على الداعين للوحدة أن يتغلبوا على تلك التقاليد فقط ، إذ ان الرايخ يضم شعباً واحداً باستثناء جماعات صغيرة من الاجانب . على العكس من النمسا حين يتلاشى في الاقطار التي تؤلف المملكة ، باستثناء هنغاريا ، الحنين الى أجداد الماضي . غير ان إثارة موضوع القوميات قد تكشف في تلك الاقطار عن نزعة قومية صريحة وجدت من يشجعها في الدول التي ظهرت حول النمسا ، والتي تنتمي بشعوبها الى نفس العناصر التي ينتمي اليها اكثر النمسيين ، مما جعل تجاذب الشعوب الى جيرانهم يخضع لعدة عوامل كانت غير موجودة بينهم وبين مواطنيهم النمسيين الالمان . وقد تأثرت فينا ايضاً بتلك النزعة الجديدة ، ولم تقدر مع مرور الايام على مواصلة السعي للحفاظ على ميزاتها . لذلك وبعد ان اصبحت بودابست مدينة كبيرة ، وجدت فينا نفسها تجاه منافسة لم تكن للحفاظ على الروابط بين النمسا وهنغاريا ، بل على العكس كانت لتكريس الانفصال ، ولم تلبث براغ ولا مبرغ ولا بياخ ان حذت حذو بودابست لتصبح عواصم لبلدان ودول تتميز بطابع خاص ومراكز فكرية لشعوب لها طابعها الخاص . وبالتالي كان لا بد من أن يأتي اليوم الذي تعم فيه النزعات الاستقلالية عند شعوب المملكة فتكون بذلك نهاية النمسا .

وبعد وفاة فرنسوا جوزيف الثاني ، بدا هذا التطور جلياً بسبب مما ذكرناه سابقاً وإلى موقف الملكية نفسها وإلى تقلبات الموقف الدولي . وقد كان ممكناً مواجهة هذا التطور لو اعتمد من يعينهم الأمر المركزية الحازمة . بيد ان تنفيذ المركزية لا بد ان يسبقه تدبير ممد كفرض مبدأ اللغة الوحيدة للدولة ، وتقوية الشعور الوطني ، وتجهيز الادارة الحكومية بالوسائل الحديثة التي لا يمكن للدولة ان تستمر بدونها ، مع العلم ان خلق الشعور الوطني لا بد له من سنين طويلة لينمو ويزدهر .

لقد اصبحت بقاء دولة النمسا الهرمة مرتبطاً بقوة حكامها لأنها كانت تفتقر إلى

الأسس الصحيحة التي تقوم عليها الدولة ، وهي قوة المنشأ القومي ، ذلك ان الدولة القومية تبقى قادرة على الاستمرار رغم مساوئ الحكم والادارة ، وهذا لن يكون شأن دولة تتألف من عدة شعوب لا تربطها ببعضها وحدة الدم بل تشدها القبضة الواحدة ، فإذا تراخت تلك القبضة انهارت الدولة . إذاً لا بد من ان يكون للدولة من طبيعة تكوينها ما يوفر لها عناصر الاستمرار .

وقد كانت غلطة آل هابسبورغ انهم لم يدركوا هذه الحقيقة التاريخية ولكن فرنسوا جوزيف الثاني أدرك الخطر الذي يهدد الامبراطورية وبذل خلال حكمه الذي دام عشر سنين جهده لإصلاح ما أفسده آل هابسبورغ ، ولكنه توفي قبل إتمام مهمته وخلق المعجزة التي كانت ستنقذ الامبراطورية من الانهيار .

عندما اضطرت نيران الثورة في اوروبا واجتاحت النمسا ، لم يكن الوضع الاجتماعي او تطاحن الطبقات من مسبباتها ، بل النزعات القومية . وكانت الثورة في النمسا بدء النضال بين القوميات المختلفة . اما بالنسبة للنمسيين الالمان فقد ساهموا في الحركة بكل قواهم وساعدوا على إيقاظ الديمقراطية الغربية التي انتزعت منهم اسس كيانهم .

وجاء النظام البرلماني قبل إيجاد اللغة الموحدة للدولة فسد ذلك ضربة قوية للنموذ الالمانى وبدأت الدولة تتفكك وتنهار .

- ٢ -

النظام البرلماني

لقد كان البرلمان او « الريخسترات » من جملة الاسباب التي عجلت بانهار المملكة النمساوية . فقد اقتبس النمسيون هذا النظام من انكلترا دون ان يعدلوه

مع ما ينسجم مع واقعهم . فقام في فينا مجلسا البرلمان : مجلس النواب ومجلس الأعيان .

كنت في التاسعة عشرة من عمري عندما دخلت لأول مرة دار البرلمان (قصر فرانزسبرغ) ، لأحضر الجلسة النيابية وأستمع الى المناقشات ، وقد تملكني الشعور الغريب بأن هذا النظام فاشل في النمسا ، مع انني لم أكن ضد النظام البرلماني كمؤسسة ، فقد كان هذا النظام من افضل الأنظمة لبلاد كالنمسا التي لم تجن من النظام الملكي سوى الويلات .

لقد كان اقتناعي بأفضلية هذا النظام ، يعود إلى إعجابي الشديد بالبرلمان الإنكليزي الذي كنت أتابع مناقشات مجلس العموم في الصحف . ولكن حضوري لجلسات البرلمان النمساوي جعلني أغير نظرتي الى هذه المؤسسة لأن الفرق كان كبيراً بين عقلية الإنكليز وعقلية النمساويين . وقد زاد في كرهي للنظام البرلماني النمساوي تساؤل النفوذ الألماني ، فحتى نظام الانتخاب السري العام كان في البرلمان اكثرية ألمانية بسيطة ، ولم تلبث أن زالت مما أدى الى انعدام الطابع الجرمانى للنمسا .

بعد اكتشافني لهذه الحقيقة المرة كرهت هذا المجلس النيابي الذي يكن العداء لكل ما هو ألماني ، فصرت أدخل البرلمان ولا أسمع إلا ما يثير كرهى ونقمى .

عندما دخلت البرلمان وشاهدت أول جلسة نيابية ، كان هناك بضع مئات من ممثلي الشعب يناقشون إحدى القضايا الاقتصادية ، وقد لاحظت ان الخطب لم تكن ذات قيمة مع انني لم أفهم من أقوالهم شيئاً لأنهم كانوا يتكلمون بالسلافية ، ثم رأيت منظراً مضحكاً للغاية ، فقد رأيت العديد من ممثلي الشعب يضربون الطاولات بقبضاتهم ويلوحون بأيديهم مهددين وتعالى الصراخ وانتشرت الفوضى .

وشهدت أيضاً جلسة لاحقة بعد اسابيع ، فإذا المجلس لا يضم اكثر من ثلاثين

بالمئة من النواب ، نصفهم يغط في النوم ، والباقي يستمع الى الخطباء وهم يتمطون ويتشاءون ، والرئيس ينظر الى الجميع بسأم .

وتكررت زيارتي للبرلمان ، ومع الأيام تغير رأيي في النظام البرلماني ، وانصبت نقمتي على النظام بعد أن كانت منصبة على البرلمان النمساوي بسبب خلوه من الأكرثية الألمانية . وهكذا أصبحت أكوّن الفكرة الصحيحة عن نظام برلماني « أنبل » كمثال للحكم الصالح ، واتخذ هذا النظام في ذهني شكلاً ثابتاً لم يطرأ عليه أي تغيير جوهري .

لقد أدركت أن الديمقراطية في أوروبا الغربية في وضعها الحالي هي بداية الماركسية التي لا يمكن ان تكون بدون النظام البرلماني ، إذ ان الديمقراطية هي الارض الخصبة التي يمكن لجرثومة الماركسية أن تنمو وتعيش عليها وينتشر وباؤها كوباء الطاعون . فتجد هذه الجرثومة صديقاً غلصاً في النظام البرلماني ، هذا الطرح الذي لا أثر فيه لنفحة من نفحات الله .

شكرت القدر للفرصة التي أتاحها لي من درس لهذه القضية في فينا ، لأنني لو كنت في ألمانيا في ذلك الوقت لما كنت صدفت أية صعوبة في اتخاذ أي موقف منها . فلو اكتشفت عيوب هذا النظام البرلماني في برلين قبل ان اكتشفته في فينا لكنت اعتمدت الاتجاه المعاكس ، أي الأخذ بالرأي القائل : إن مصير شعب الرايخ رهن بتقوية مركز الامبراطور .

لم يكن هناك من خطر في أخذ هذه الفكرة وتطبيقها في النمسا ، لأن آل هابسبورغ ليسوا بأحسن من النظام البرلماني ، مع علمي ان إلغاء النظام البرلماني يعني بالتالي إطلاق يد آل هابسبورغ في الحكم وهو يعتبر اكبر كارثة وطنية .

وبالرغم من صغر سني فقد رحلت ادرس هذه القضية محاولاً أن أجد الحلول المناسبة ، وقد جعلني اطليل التفكير صعوبة تحديد المسؤولية كلما لزم الأمر

لتحديد المسؤولية عن أي تصرف أو تدبير ينافي المصلحة العامة . فالبرلمان يتخذ مقرراته مهما ترتب عليها من نتائج سيئة بدون أن تجد من يتحمل مسؤولية هذه المقررات وبالتالي لا يمكن تحديد المسؤولية ومحاسبة أحد عليها . وهل يعتبر حل البرلمان تحملاً للمسؤولية ؟ وأي معنى يبقى للمسؤولية إذا لم يتحملها شخص معين : وكيف يجوز اعتبار رئيس حكومة مسؤولاً عن مقررات أو أعمال فرضتها إرادة أشخاص عدة ؟

إن مهمة الموجه تقوم على إقناع جمهور رؤوسه خاوية كقطيع الغنم ، بفوائد مشروعه ليعود ويطلب موافقتهم عليه ، ولا يهتم بوضع المشروع النافع بعد درسه بدقة ..

وإذا فشل رجل الدولة في جذب الاكثرية ، هذا الورم الخبيث الذي طفئ على النظام البرلماني ، فهل معنى ذلك فشله في الحكم ؟

أليست العبقرية الخلاقة كالنصر على جمود الاكثرية ؟ وأي السبيل يمكن لرجل الدولة أن يسلكها حين يخفق في جذب الاكثرية الى مشروعه ؟ فهل يجوز له ان يترك القيام بالمهام والمشروعات التي يعتبرها ذات ضرورة ملحة ، أمام غياب مواطنيه وجمهوره ؟ وهل يعتزل أم يبقى ؟ وكيف يمكنه أن يجمع بين هذا الوضع الشاذ وبين ما يراه واجباً وطنياً بالإضافة الى كونه عملاً شريفاً ؟ وأين هو الحد الفاصل بين واجب رجل الدولة نحو مواطنيه وبين ما يدعى بموجبات الشرف والكرامة ؟ أليس من واجبه أن يعلو عن الأساليب المتبعة التي تنزل به الى مستوى محترفي السياسة ؟

وحين ينزل الى هذا المستوى يصبح ألعبوبة بأيدي فريق من الرجال ، ينفذ طلباتهم ويساير مصالحهم . ألا يترتب على مبدأ الاكثرية في النظام البرلماني القضاء على حصر المسؤولية برئيس ؟ وهل هناك من يعتقد أن تقدم العالم يمكن أن يكون نتيجة تفكير الاكثرية أم نتيجة دماغ رجل عبقري واحد ؟

فمنذما تتقدم سلطة الاكثرية على سلطة الفرد، ويستعاض عن الرئيس بالعدد،
فمعنى ذلك التنكر للمبدأ الارستقراطي الطبيعي الذي يعطي الأمور الى النخبة
المختارة . أما المصائب والويلات التي يجرها النظام البرلماني ، فإن قارىء
الصحف اليهودية يجد صعوبة في أخذ الفكرة عنها إلا إذا اعتاد التفكير والحكم
بدون أية تأثيرات خارجية من سواه .

إن النظام البرلماني يفتح أمام محترفي السياسة المجال لإغراق الحياة السياسية
بأحداث صغيرة تافهة . وقد تدعو هذه الحالة الى أكثر من زعيم الى ترك الحياة
السياسية التي تصبح عبارة عن مساومات ومتاجرات بين الاكثرية البرلمانية
والحاكم ، فهذا الأسلوب يلائم محترفي السياسة من اصحاب الرؤوس الجوفاء
فيروق لهم ويأسرهم .

إن سياسياً محترفاً منكوباً بكية من الغباء ليس عليه أن يحسب كبير الحساب
لعبء المسؤوليات نتيجة أعماله ، لأنه يعلم ان أيامه في ميدان السياسة اصبحت
معدودة . ومن المعروف ان الاكثرية البرلمانية التي تمثل الثثرة الفارغة تكره
الرجل اللامع ، والمجلس النيابي الحالي من الرجال الأكفاء ليجد العزاء في زعيم
عادي يتولى قيادته بحيث لا يكشف هذا الزعيم سخافة المجلس ، وبالتالي سيكون
الأمل أكبر أمام كل نائب للوصول في يوم من الأيام الى مركز القيادة لهذا
المجلس .

وهناك ظاهرة خطيرة في الحياة البرلمانية وهي الجبن الذي تكشفه تصرفات
معظم « زعمائنا » المزعومين . ان هذا الزعيم حين يدعى الى اتخاذ مقررات
هامة سيجد نفسه محظوظاً حين تكون الاكثرية بجانبه . ويكفى ان ترى ولو
مرة واحدة أحد لصوص السياسة يستجدي ، قبل اتخاذه مقرراته ، موافقة
الاكثرية على هذه المقررات ، وبذلك يكون قد جهز لنفسه « عدداً كافياً من
« الشركاء » حتى اذا جاء من يحاسبه على اعماله تهرب من كل مسؤولية .

ان زعيماً يتهرب من المسؤولية بهذا الشكل الفاضح ويبحث عن من يغطيه لا يعتبر رجلاً بل جباناً حقيراً . والامة التي يكون زعماءها من هذا النوع لا بد وان تعاني اسوأ النتائج . إذ لن تجد من يتقدم ليضحي بنفسه لإنقاذ امته بخطوة جريئة . وهذه الخطوة لن تأتي من الاكثرية ، فهي تمثل الجبناء المغفلين ، وإذا صح ان مئة دماغ اجوف لا تعادل عقلاً واحداً ، فان مئة جبان لن يصدر عنهم أي قرار بطولي .

- ٣ -

الرأي العام

لن اقف عند الطريقة التي يجري بها انتخاب ممثلي الأمة ، او الأساليب التي يلجأون اليها للحصول على المراكز الغالية على قلوبهم ، فالشعب الذي لا يتعلّى بوعى سياسي لا يأمل منه حسن اختيار ممثليه في البرلمان .

والرأي العام لا يعتمد على الخبرة الشخصية أو على معرفة الأشخاص ، فهو يخضع للدعايات التي تسيطر عليه بدون ان يشعر ، فالصحافة هي الموجه الوحيد وهي التي تنشئ الجمهور سياسياً بواسطة ما تنشره من اخبار . فهي مدرسة يتلقى فيها الجمهور علومه اليومية . وقد سنحت لي الظروف وانا في فينا ان اختلط مع صانعي الآراء ومع ناشرها . فأدهشتني سهولة الأسلوب الذي يمكن هؤلاء من ان يخلقوا تياراً معيناً يوجهوا بواسطته الجمهور ولو تعارض مع مصالح الشعب وامانيه . ففي ايام قليلة تتمكن الصحف من إسدال الستار على القضايا الهامة التي لا يلبث الجمهور ان ينساها ، والعكس بالعكس .

وهكذا نجد ان الدعايات في اكثر الاحيان يمكنها ان تقدم الى الرأي العام اشخاصاً لا وزن لهم على انهم ابطال الامة واملها فتوفر لهم جمهوراً ضخماً من المؤيدين ، حتى ولو كانت سمعتهم الماضية ملوثة بالدعايات الصحفية تتمكن من محوها . اما اذا ارادت الصحافة محاربة رجل شريف ، فاليهود بسفالتهم المعروفة لا يتورعون عن وصمه بكل نقيصة حتى انهم يصلون إلى انتقاد حياته الخاصة وفضح اسرار عائلته ، وبحال لم يجدوا شيئاً يصمون به ، فانهم يلجأون الى تلفيق الأخبار في الصحف آمليين ان يعلق شيء في أذهان الناس .

تلك هي العصابة التي تخلق الاخبار وتوجه الرأي العام ، الذي ينبثق منه البرلمانيون ممثلي الشعب .

ان وصف المؤسسة البرلمانية وصفاً دقيقاً شاملاً يحتاج الى بضعة مجلدات ، ولكن يكفي لتكوين الفكرة عن عقم هذا النظام ان ننظر الى ثمار نشاطاته ونتائج اعماله .

ماذا يجري داخل البرلمان ؟

ينتخب المواطنون عدداً معيناً من الرجال والنساء في بعض البلدان ، مثلاً خمسمائة . وحسب النظام يعود لهم الحق كنواب الامة أن يتخذوا القرارات الحاسمة في شتى الميادين ، مما يجعل منهم في الحقيقة حكاماً لأنهم يسمون الحكومة التي ستتولى شؤون الدولة ظاهراً ولكنها لا تخطو خطوة واحدة قبل ان تستجدي الموافقة من المجلس . فكيف يجوز ان تتحمل الحكومة مسؤولية اعمالها ما دامت القرارات النهائية في يد البرلمان ؟

إن الحكومة هي اداة التنفيذ لما يتخذه المجلس من مقررات ولا نقر بكفاءتها إلا حين نلصق تفوقها على الاكثرية البرلمانية ، أو استألفهم الى رأيها . ومهما يكن الأمر فان استجاءها لموافقة الاكثرية ينزل بها من مستوى الحكومة الحقيقية .

اما اذا كانت أهدافها العمل الصالح فإن الاكثرية ستخذلها ولن تقوى على الصمود بمنطقها السليم وعملها الصالح .

إن مساوىء هذا النظام تبدو واضحة ، فالنواب يؤلفون مجموعة من المتناقضات متنافرة الاتجاهات ، متضاربة النزعات ، تقودهم عواطفهم ومصالحهم الشخصية ومصالح القوى التي تحركهم ، وفي نفس الوقت لا يتحملون مسؤولية اعمالهم لأن النظام البرلماني يلقي بتلك المسؤولية على غيرهم .

كيف يمكن للشعب أن يطمئن الى وضع مقدراته الاقتصادية بين يدي مجلس يضم أفراداً قلائل من حملة الشهادات الجامعية؟ وهذا ما ينطبق على سائر القضايا التي يدعى اليها المجلس ، فالاكثرية التي ترجح الكفة مؤلفة من مجموعة من الجهلة تبقى هي نفسها مهما كانت صفة المواضيع المطروحة على المجلس . أليس من المضحك ان يحكم الجهلة في جميع القضايا السياسية لتضيق آراء النخبة في زحمة الصراخ والفوضى ؟

قد يقول قائل ان النائب يتقيد بتوجيه الحزب الذي ينتمي اليه مع العلم ان في الحزب البرلماني لجاناً تضم خبراء في شتى الميادين . ولكن ما هي الفائدة من انتخاب خمسية نائب طالما ان بضعة عشر منهم فقط يفهمون ويعون ما هو مطروح امامهم من مشاريع .

إن نظامنا البرلماني بوضعه الراهن لا يهتم قيام مجلس من ذوي الكفاءات ، بل يهتم جمع قطيع من الاصفار يسهل تحريكهم من وراء الستار بعيداً عن كل مسؤولية .

إن هذا النظام لا يرضى به إلا من يخشون العمل في وضوح النهار ، ولا يمكن أن يثق به كل رجل حر مستقيم يتحمل المسؤولية ويقدرها . فلا عجب إذاً في أن يكون هذا النظام محبوباً من شعب ما برج يضع الخطط السرية والمشروعات

البعيدة المدى ، في الزوايا المظلمة ...

ترى من هو الذي يقدر مؤسسة لا تقل عنه وساخة وخبثاً غير اليهودي
الذي يعمل في الظلام ؟

*

ان الفرق لكبير بين النظام البرلماني الديمقراطي في النمسا وبين الديمقراطية
الألمانية . ففي ألمانيا يتحمل الرئيس مسؤولياته ، والديمقراطية الألمانية لا
تفسح المجال أمام الأكثرية للبت في الأمور ، بل تترك الأمر إلى رجل واحد
يقرر لوحده وينفذ ويتحمل وحده مسؤولية أعماله . وإذا قيل انه من المستحيل
وجود شخص يقبل بأن يتحمل أعباء المسؤوليات الجسام ، فالجواب أن
الديمقراطية الألمانية ترفض أن يتصرف بمقدارها السياسي المحترف والوصولي
المنتهم ، وقد قطعت الطريق أمام هذا النوع من السياسيين بعد أن حددت
المسؤوليات بحيث لا يبقى في الحكم مكان للضعفاء . أما إذا قدر لأحد
الوصوليين أن يشق طريقه إلى سدة الحكم فسرعان ما ينكشف القناع عن
وجهه ويصرخ في وجهه : اخرج أيها الجبان الصعلوك فقد دنست المكان بوجودك
ذلك أنه لا يدخل بانثيون التاريخ إلا الأبطال .

*

هذه هي الفكرة التي كونتها بعد عامين من دراستي للوضع البرلماني في النمسا .
لقد كان هذا النظام أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدت على انهيار دولة آل
هابسبورغ الهرمة . وهو باضعافه مركز العنصر الألماني قد ساعد على ظهور
التضامن بين القوميات المختلفة . وهذا التضامن كان ينمكس في البرلمان صراعاً
بين النمساويين الألمان وسائر العناصر التي تتحالف ضده ، مما يوازي تحالفها ضد
الامبراطورية بالذات ، لأن الملكية لم تكن لنقوى على الوقوف في وجهه
النزعات الانفصالية في البلاد بدون مساعدة النمساويين الألمان .

لقد أصبح ضعف الدولة واضحاً ، مما أثلج قلوب الهنغارين والولايات السلافية ، لأن هذا الضعف يقربها من أهدافها القومية .

وقد حاول البرلمان تأخير النهاية بتنازلات معيبة ، كان العنصر الألماني يدفع ثمنها منفرداً ، لأن ترضية العناصر الناقمة كانت تتم على حساب الألمان .

وبعد أن سمي الارشيدوق فرنسوا فردينان ولياً للعهد وأصبح في مركز يمكنه من التدخل ، بدأت حملة « إيشار التشيك » ونسقت بشكل صحيح مما حدا بولي العهد أن يشارك في القضاء على الطابع الجرمانى للدولة ، وذلك باقصاء الألمان عن المراكز والوظائف الحساسة ، وبالحاق القرى الألمانية بمناطق تقطنها عناصر مختلطة . وسرعان ما طغى العنصر السلافي في النمسا السفلى وفي فينا التي أصبحت بالنسبة للتشيك مدينتهم الكبرى .

كانت تخطر في رأس فرانسوا فردينان فكرة مستوحاة من زوجته التشيكية وهي إنشاء دولة سلافية في أوروبا الوسطى ، تقوم على أسس المبادئ الكاثوليكية لتتمكن من الوقوف أمام روسيا الارثوذكسية . وهكذا أراد آل هابسبورغ تسخير الدين لخدمة أغراضهم السياسية . ولكن الفكرة فشلت ، وكانت النتيجة أن ضاع عرش آل هابسبورغ وخسرت الكنيسة الكاثوليكية دولة كبرى . ذلك أن التاج بتسخيره الاعتبار الدينية لخدمة أهدافه السياسية قد أثار نعرات كان يتجاهلها في السابق . وترقب على محاولة القضاء على الطابع الجرمانى نحو الحركة الجرمانية في النمسا واشتداد المطالبة بالوحدة بين البلدين الألمانين .

عندما سحق جيش الرايخ الجيش الفرنسى في سيدان عام ١٨٧٠ - ١٨٧١ بدأ على آل هابسبورغ الخوف من السير الا في الاتجاه الصحيح المؤدى الى بعث أمجاد العنصر الجرمانى . ولكنهم تناسوا معركة سيدان وعادوا الى سيرتهم الاولى ، بينما زاد انتصار سيدان من نشاط النمساويين الألمان وزاد في املهم في المستقبل الافضل تحت لواء امبراطورية موحدة في رعاية « تاج الراين » الذي

يجب ان يزين الرأس الذي يستحقه .

لقد تناسى آل هابسبورغ عبرة معركة سيدان فاندفعوا في إبادة العنصر
الجرماني من النمسا ، ولكن ردة الفعل كانت قوية ومفاجئة إذ سرعان ما ثار
الألمان النمساويين على من يريد القضاء عليهم .

وكان من مميزات حركة الوحدة الجرمانية في النمسا عام ١٨٩٠ - ١٩٠٠
انها اظهرت بوضوح عمق الهوة الفاصلة بين الشعب وحكامه ، واطهرت بوضوح
انه لا يجوز للدولة ان تفرض احترامها على الشعب عندما تريد ان تلحق الأذى
بهذا الشعب عامدة متعمدة . وان سلطة الدولة لا يمكن ان تصبح غاية بحد
ذاتها ، ولا اصبح كل طغيان مقدساً .

ولكن عندما تريد الدولة الخراب لشعبها ، ساعثئذ يصبح العصيان حقاً
من حقوق الشعب بل واجباً وطنياً . اما كيف يمكن للشعب ان ينصف نفسه
فان القوة هي الطريقة الوحيدة للفصل بين حكام طغاة وشعب مضطهد .

وما دامت الحكومة تعتبر نفسها مسؤولة عن السلطة ، فيجب ان تقر
وتعترف ان المناضلين بدافع من غريزة حب البقاء سيجدون انفسهم مضطرين الى
اللجوء لنفس الأسلحة التي تلجأ اليها الحكومة للدفاع عن سلطتها .

يجب ان يعمل المناضلون المضطهدون ضمن نطاق الشرعية ، ما دامت
السلطة المتهدمة تعمل في نفس النطاق . أما إذا عمدت إلى طرق غير مشروعة
لتدعم سلطانها المتداعي فمعنى ذلك ان النضال الشعبي لو بقي ضمن النطاق
الشرعي فمعناه الانتحار .

ان نضال البشر من اجل البقاء ، معناه بقاء الجنس البشري لا بقاء الدولة
فاذا وجد شعب او عنصر نفسه مهدداً بالزوال ، فان الدفاع عن النفس وعن
مقومات الوجود يجيز له اللجوء الى كل الوسائل الممكنة . إذ ان حق الانسان
قبل حق الدولة . وإذا غلب الشعب فمعنى هذا أن القدر قد وجده اضعف من

أن يستحق العيش على هذه الأرض .
ان العالم على سعته ليضيق بالشعوب الضعيفة .

*

ان الدليل على الاستمرار في الطغيان تحت ستار « الشرعية » موجود في النمسا ، فبينما كانت الملكية الهابسبورغية تحاول التضييق على الألمان بكافة الوسائل ، عمدوا هم بدورهم الى الهجوم وكانوا اول من اظهر مكان الداء في جسم الدولة المملوك ، وبذلك كشفوا لآلاف المواطنين حقيقة الوضع الراهن . ويعود هذا الفضل الى الألمان النمسيين في تحرير مبدأ حب الوطن من برائن الملكية التي جعلت الاخلاص لها مقياساً للوطنية . وقد اجتذب الحزب الألماني منذ تأسيسه عشرات الألوف ، ولكن سرعان ما قبض الحزب المسيحي الاشتراكي على زمام الحكم ، مما أدى إلى انكماش حركة الوحدة الجرمانية في البلاد .

بدأت دراستي لهذه المسألة كي اتوصل الى الاسباب التي اخذت الحركة الجرمانية بينما فتحت الطريق امام الحزب المسيحي الاشتراكي للوصول الى سدة الحكم بهذه السرعة المدهشة . وقد بدأت بتحليل شخصية الرجلين اللذين تزعما الحزبين وهما جورج فون شوفرر والدكتور كارل لوجر . فقد كانا من النوع النظيف لا تشوب حياتها شائبة . وكنت في اول الأمر من أشد المعجبين بشخصية فون شوفرر زعيم الحركة الجرمانية ، ولكن شخصية الدكتور لوجر ما لبثت ان طفت علي وفرضت احترامها ، وقد تبين لي من مقارنة مواهب الزعيمين أن فون شوفرر أعمق تفكيراً ، وهو أول من تنبأ بزوال الدولة النمساوية . ولو انهم في الرايخ اعاروا إنذاراته الاهتمام البالغ بشأن آل هابسبورغ ، لما جازفت ألمانيا بحمل السلاح في وجه أوروبا كلها .
ولكن إذا كان فون شوفرر ممن يتنبأون للمستقبل ، فقد أثبتت الأحداث مع الأسف أن يجهل طبيعة البشر .

وكانت معرفة طبيعة البشر سر قوة الدكتور لوجر .
كان لوجر يدقق في اختيار أصدقائه ، ولا يتأدى في حسن الظن بحيث لا

يرى أصدقاءه بأحسن مما هم عليه ، وبفضل هذا التحفظ كانت تقديراته صائبة وصحيحة ، على العكس من شوفر الذي كان يرى كل شيء على ما يرام بفضل ثقته ومبادئه المثالية . فقد كانت نظريات الزعيم الجرمني صحيحة وصادقة ، ولكن كان ينقصه المنطق وقوة الاقناع فلم يكن يستطيع إقناع الجماهير ذوي العقول المحدودة بوجهة نظره ، لذلك لم تفتن نظرياته بالتنفيذ العملي .

وقد أدرك شوفر أنه ينبغي له أن يجعل تفكيره ينسجم والمفهوم العام ، ولكنه لم يدرك أن غالبية الشعب وحدها يمكنها الدفاع عن هذه المفاهيم ، وأن مقدرة الطبقة البورجوازية على الكفاح محدودة جداً ، إذ أن البورجوازي يحتفظ لنفسه بخط الرجعة ، ولا يذهب إلى حد بعيد في نضاله خوفاً على مصالحه الاقتصادية .

إن أية عقيدة أو فكرة لن يكتب لها النجاح ما لم يعتنقها أكثرية الشعب ويبدى استعداداً للنضال من أجلها .

لم يخفى على الدكتور لوجر أن مقدرة البورجوازيين على النضال السياسي ليست من القوة بحيث يمكنه الاعتماد عليها ، ولا يمكن أن تضمن نجاح الحركة التي يترأسها هو ، لذلك أوقف مجهوده السياسي على جذب الطبقات الضعيفة المهددة في أرزاقها ، وفي نفس الوقت سعى للتقرب من المؤسسات الكبيرة وذلك لاستغلال صداقاتها واستخدامها في تنشيط حركته .

وهكذا قامت حركة الدكتور لوجر على الطبقات المتوسطة والضعيفة فكان له أنصار عديدون مستعدون للتضحية والكفاح ، كما استطاع بموقفه الواعي من الكنيسة الكاثوليكية أن يستميل الأكليروس الناشئ ، مما اضطر الحزب الأكليركي الهرم إلى الانسحاب أو إلى الانصهار في بوتقة الحزب الجديد .

لقد أراد لوجر كسب قلوب سكان العاصمة فينا ، لأنها هي قلب المملكة ، ومنها يمكن الاحساس بالنبضات الأخيرة لجسم الامبراطورية المحتضر . وكان باعتقاده أن إنقاذ القلب يعني إنقاذ سائر الجسم ولكن حساباته لم تطابق .

وبالتالي لم يتمكن من إنقاذ المملكة المنهارة .
لقد نجح لوجر كمحافظ للمدينة نجاحاً كبيراً .. ولكنه فشل في الإبقاء على
المملكة المتداعية . أما شوفرر فقد فشل أيضاً في بلوغ هدفه . فكلتا الرجلين
لم يتمكن من الوصول إلى النهاية ، فلا لوجر استطاع إنقاذ المملكة ولا شوفرر
استطاع أن يبعد الكارثة عن الشعب الألماني .

- ٤ -

عوامل الإخفاق

إن إخفاق حركة شوفرر ترتكز على ثلاثة أسباب :
أولاً : سوء تقدير شوفرر للقضايا الاجتماعية الهامة ، خاصة بالنسبة إلى حزب
ثوري جديد . فقد كان يعتمد بصورة خاصة على الطبقات البورجوازية التي لا
أمل منها فالبورجوازية الألمانية تبقى مسالمة لدرجة نكران الذات ،
عندما تتعلق الأوضاع بمصير الأمة الداخلي ، فعندما تكون الحكومة متباعدة عن
الشعب ومطالبه الحققة فمسالمة الطبقة البورجوازية ، في هذه الأوقات بالذات ،
لا يعتبر الا تواطؤاً مع الحكومة ضد مصلحة الشعب .
لقد كان من واجب الحركة الجرمانية أن تستمر وتوسعى لجذب الجماهير ،
ولكنها لم تفعل ، بل بدأت باستئالة البورجوازيين المعتدلين الذين وسموا الحزب
الجديد بطابعهم الخاص ، مما أدى إلى فتور همه الحزب ومع الأيام جناح نحو
التعاون مع السلطات على أساس الاعتراف بالوضع الحالي ووقف حركة النضال
وعقد صلح أعرج .

إن فشل حركة الوحدة الجرمانية كان سببه إذن إغفال قوة الجماهير مما
جعل الحزب بورجوازياً راديكالياً معتدلاً ، ومن ثم تولد الخطأ الثاني .
عند ابتداء الحركة كانت حالة الألمان في النمسا تدعو إلى الأسف ، فقد أصبح
البرلمان العوبة في يد الحكام يستخدمونها للقضاء على العنصر الجرمني . وكانت
كل محاولة لاسترداد هيبة هذا العنصر تفشل بصورة أكيدة . وقد شعرت الحركة
الجرمانية بحرجة الموقف ، فهل تدخل البرلمان وتعمل على استرداد نفوذها من

الداخل أم تبقى لتعمل في الخارج . ولم تلبث أن فضلت العمل داخل البرلمان ، وبالطبع خرجت من المعركة بالفشل الذريع .

لم تكن الحركة الجرمانية بوضع يسمح لها بالاختيار ، فقد اضطرت لدخول البرلمان بسبب عجزها عن النضال خارج البرلمان لأن هذا يتطلب التضحيات الكثيرة والشجاعة والعزم . فالتضحيات وحدها التي توفر للقضية أبطالاً لا يتورعون عن البذل ولا يهابون العقبات التي تعترض سبيلهم .

ان الأبطال نخدم بل يجب أن نبعث عنهم بين أفراد الشعب فالشعب هو العنصر المناضل القوي الذي يستمر في المعركة إلى نهاية الطريق ، وهذا العنصر المناضل كان ما ينقص الحركة الجرمانية ، فلم يبق أمامها والحالة هذه إلا دخول البرلمان والعمل على لقمة من الداخل .

لقد خيل اليهم ان في إمكانهم مخاطبة الجماهير وتوثيرهم من خلال خطبهم النارية داخل البرلمان ، وباعتقادهم أن المجلس سيصبح كمنبر عام يتوجهون منه إلى الأمة جميعها . ولم يعلموا أن الجمهور لا يمكنه الاستماع اليهم إلا عن طريق الصحافة التي تطالعه كل يوم بأخبار الندوة البرلمانية إما بطريقة محزنة أو ممسوخة . ان الحقل الذي يمكن أن نخاطبه مباشرة هو الآلاف من المستمعين في الساحات والميادين العامة أو القاعات المعدة للاجتماعات . وانه من البساطة الاعتقاد أن العقائد السليمة كفيلة باجتذاب النواب إلى الاستماع .

إن الخطب التي ألقاها النواب الألمان في البرلمان النمساوي كانت كالدرر الملقاة إلى الحيوانات ، فذهبت جميعها كالهباء المنثور . أما الصحافة فكانت تحرف أقوال النواب الألمان وتنتشر ما تراه مناسباً بعد أن تشوها وتبدل في معانيها لتلقي ظلاً من الشك على مقاصد الحزب .

لقد كان على الحزب أن يعلم أن قيامه بشكله الجديد سيأخذ بينه وبين النجاح إلا إذا بنى عقائده على الفلسفة ، إذ أن كل حركة قومية بحاجة إلى الدعامة الكافية التي تليح لها قوة الاستمرار وهذه القوة تستمدّها من المفاهيم الفلسفية للحركة .

إن العقائد الفلسفية بحاجة إلى زعماء شجعان قادرين على البذل والتضحية ، وبذلك يتقدم لخدمتها والدفاع عنها مناضلون يقتحمون الموت بخطى ثابتة ، لا يطمعون بوظائف ومراكز سهلة التناول . بل يجب على الزعماء أن يفهموا جماهيرهم ومؤيديهم أن طريق الكفاح طويل وشائك ولكن المستقبل سيحمل للجيل المقبل السعادة والازدهار ، ولن تعطي ثمارها في الوقت الحاضر . وإذا لوح الزعماء بالوظائف والمراكز فسرعان ما يجتاحها الوصوليون والانتهازيون ، ويأتي اليوم الذي يتسلط فيه هؤلاء على الحزب فيصبح المناضل الشريف دخيلاً على الحركة التي قامت على ساعده .

بانتصار نشاط حركة الوحدة الجرمانية داخل البرلمان توفر لديها عوضاً عن الزعماء المكافحين ، بضعة من النواب البرلمانيين ، فهبطت الحركة الجرمانية إلى مستوى الأحزاب السياسية ، ولم تعد قادرة على الصمود بوجه التيارات المعادية ، وبدلاً من أن تستمر في النضال العنيف تعلمت لقاء الخطب وفن المساومة ، وما لبث نواب الحزب أن اقتنعوا أن طريقتهم هذه أفضل وانفع ، فهي أخف خطراً عليهم وأقل مشقة وإجهاد .

وقد علق أنصار الحزب الآمال الكبيرة على رجاله في البرلمان وانتظروا المعجزة الكبرى ، ولكن سرعان ما خابت آمالهم ولم يتحقق شيء من الوعود الكثيرة ، وعملت الصحافة على توسيع الخلاف فكانت تغفل إظهار مواقف النواب الألمان المشرفة ، وفي نفس الوقت انقطعت الصلات التي كانت تربط أنصار الحزب بعضهم لبعض ، فقد اجتذب البرلمان الخطباء الذين توقفوا عن الاجتماعات ومخاطبة الجماهير وجهاً لوجه مما يقوي حساسة النفوس ويثبت الإيمان بقضيتهم وعدالتها .

لقد اضاعت الحركة طابعها الشعبي فانقلبت إلى ناد للجدال والنقاش منذ أن انتقل خطبائها وزعمائها من الساحات العامة إلى المجلس النيابي . وإذا كانت الصحافة قد لعبت دورها في تقوية مواقف النواب الألمان داخل البرلمان ، فإن غيابهم عن ساحة النضال الفعلي وانقطاعهم عن ناخبينهم كانا من أهم العوامل التي فتحت المجال أمام الصحافة لتنتجج في إثارة نفمة الشعب على الحركة الجرمانية .

إن اي حركة ترقب أهدافاً بعيدة المدى ينبغي لها ان تحافظ على الصلات الوثيقة بينها وبين الجمهور ، وان تدرس كل قضية على ضوء هذه الحقيقة وتنفذ مخططاتها حسب هذا الاتجاه ، وان تبعد عن كل ما من شأنه أن يخفف من تأثيرها على الجماهير الشعبية لأن أي مشروع كبير لن يتحقق بدون مساعدة ومساهمة الجماهير .

*

اما العامل الثالث الذي كان مسبباً لإخفاق حركة الوحدة الجرمانية هو جهل زعماء الحركة لنفسية الشعب . وأكبر مثال على هذا الجهل هو محاربة الحزب للكنيسة الكاثوليكية . ولكن كان هناك بعض المسببات التي حدث بالحركة الجرمانية لمعاداة الكنيسة . فقد شرع آل هابسبورغ بوسم النمسا بالطابع السلافي حتى أنهم ورطوا المؤسسات الدينية في ذلك . فقد تحالفت معهم الأبرشيات التشيكية في تطبيق الفكرة الجديدة بعد ان عينت السلطات كهنة من العنصر التشيكي في مناطق المانيا وأطلقت أيدي عملاء الكنيسة في محاربة النزعة الجرمانية والتبشير بالفكرة الجديدة .

وقد وقف رجال الأكليروس الألمان موقف المتفرج من تلك الأحداث . وقد ألم فون شوفرر أن يرى التحيز الفاضح من قبل الكنيسة الكاثوليكية فأعلن عليها الحرب وطالب « بالانفصال عن روما » باعتبار ان أصل البلاء هو في أن رأس الكنيسة مقيم خارج المانيا ، لذلك وجب على الألمان ، كهنة وعلمانيين ، أن يعملوا على إيجاد كنيسة وطنية خاصة بهم . لم يكتب النجاح لحملة فون شوفرر ، لأنها اعتمدت مقاييس خاطئة ، فقد انحصر اعتمادها على إخلاص رجال الأكليروس للفكرة الجرمانية . ولكن الأكليروس كان يدين بالولاء المطلق للكنيسة ، أما إخلاصه للوطن فكان موضوعاً .

لقد كان على الحركة الجرمانية قبل أن تعلن الحرب على الكنيسة أن تنظر إذا كان بقاء الألمان في النمسا يتمشى مع مصلحة الكنيسة الكاثوليكية أم لا ،

فاما أن يترفعوا عن التدخل في القضايا الطائفية وإلا وجب عليهم البدء في تحقيق الإصلاح الديني لا قيام حزب سياسي .

إن من يرى في نفسه المقدرة على تحقيق الإصلاح الديني بواسطة حزب سياسي ، هو جاهل ومتهور ، وعندي ان تأسيس دين من الأديان أو تقويضه هو أعظم شأناً من تأسيس دولة أو تقويضها .

قد يقول قائل أن حملة الألمان على الكنيسة لم تكن إلا لصد الهجمات المعادية عليهم . ولكن يجب أن لا نحمل الدين أو الطائفة تبعة الأعمال التي قام بها اشخاص لم يتورعوا عن استخدام الدين والطائفة لنيل مآربهم . وكانت الحرب التي شنها الألمان على الكنيسة بمثابة سلاح وضعوه في أيدي خصومهم لا سيما النواب الذين جعلت منهم تلك الحملة ابطلاً يدافعون عن الدين والكنيسة ، وفي بلاد اشتهر أهلها بالتعصب .

لذلك ابتعد عن الحركة جميع الكاثوليك الذين يدينون بالولاء لروما ، فكان ذلك مدعاة لتضاؤل شأنها في جميع الأوساط .

وهناك خطأ آخر وقعت فيه الحركة ، وهو انهم اضطروا لمحاربة أكثر من خصم . فالشعب من اتباعهم توهم أنه يواجه أكثر من عدو وانه مضطر إلى الحرب على جبهات متعددة فارتبك بأمره واعتراه مركب نقص في حقيقة وعدالة قضيته ، إذ أن الجمهور بدأ يتساءل هل يكون جميع خصومه على خطأ وهو وحده على صواب ؟؟؟

إن الحزب الألماني النمساوي قد اختار الهدف ولكنه اختار طريقاً أعوجاً وسلكه لبلوغ هدفه السامي فكانت النتيجة الاخفاق والفشل الذريع .

*

أما الحزب المسيحي الاشتراكي فلم يقع في الأخطاء التي وقع فيها حزب الحركة الجرمانية ، فقد اختار الطريق القويم قبل أن يمضي نحو الهدف . فقد وعى أهمية الحركات الشعبية ، فاجتذب نحوه انصاراً مخلصين مستعدين للتضحية ، وذلك بمجرد إعلانه عن أن عمله هو رفع مستوى الصانع اليدويين . وبنفس

الوقت تجنب الاصطدام مع المؤسسات الدينية مما ضمن له موازنة الكنيسة الكاثوليكية .

ان الحركة التي تزعمها الحزب الجديد وهي معاداة السامية قد قامت على أساس ديني لا على أساس عنصري بحجة ان المبادئ العنصرية لا تصلح كأساس للعمل على إنقاذ البلاد بل سيمجّل في انهيار الدولة .

كانت فينا في ذلك الوقت قد اجتذبت من سكان الألوية العديد من السكان ذوي الطابع القومي الخاص ، وأخذ كل فريق منهم يتكتل سياسياً ، وخوفاً من أن تصبح هذه التكتلات قوة معادية للألمان ، جعل الدكتور لوجرينادي بشعار « إنقاذ النمسا من المفسدين اليهود » ودعا جميع النمساويين من جميع الفئات إلى صد هذا التيار الذي يروج له اليهود ، لا بصفتهم غرباء بل كونهم طائفة دينية .

ومن الواضح أن أي حملة تشن ضد اليهود على أساس ديني لن تلحق بهم أي ضرر ، فمنهم على استعداد لانقاذ أنفسهم وتجارتهم بقليل من ماء العماد ... وسرعان ما ظهرت سطحية الأسس التي قام عليها العداء للسامية . وخيل إلى الكثيرين أن القصد من هذه الحملة هو حمل اليهود على اعتناق المسيحية ، وبدأت لهم ان هذه المحاولة هي محاولة صهيانية لا تستحق أي تشجيع . لقد ضحى الحزب بفكرة قيام الأدلة على القومية ، حين وقفوا لمحاربة اليهود على أساس ديني ، وحق بعد فشل الحركة المعادية للسامية فقد تجنب الحزب إثارة مبدأ القوميات آمليين أن يتمكنوا من إنقاذ دولة آل هابسبورغ بتجاهلهم المرض الذي ينهشها . وقد فاتهم أن إثارة مسألة القوميات كفيّل بجلاء الغموض الذي يكتنف بعض الولايات .

*

كنت مع الألوف الذين شيعوا جنازة الدكتور لوجر من دار البلدية إلى « الرانغستراس » ، وقد شعرت بأن أعمال هذا الرجل قد ذهبت سدى ، لأن القدر كان يأبى على الدولة النمساوية أن تستمر . ولو عاش لوجر في ألمانيا لكان

احتل المرتبة الأولى ولكن سوء حظه جعله يعيش في هذه الدولة الغير قابلة
للاصلاح .

عند موت الدكتور لوجر ، بدأ البلقان بالاشتعال ، وكان القدر رفيقاً به فيما
رأى الكارثة التي عمل على تفاديها .

بدأت أكره النمسا بعد أن أصبحت معرضاً للقوميات المتنافرة ، وتنكرت
لتاريخها المجيد بعد أن سمحت لجموع البولونيين والتشيكيين والهنغاريين وغيرهم
لغزوها والاستيطان فيها . وخيل إلي في هذا الوقت أنني أصبحت غريباً في تلك
العاصمة الجميلة فيينا .

قررت الانتقال إلى ألمانيا لأعود إلى مهنتي في هندسة البناء تاركاً المساهمة في
تحقيق أغلى أماني القومية وأماني الألمان المخلصين وهي الحاق وطني النمسا
بالوطن الكبير الرايخ الألماني ...

ان الحنين إلى الوطن يتقد في قلوب جميع الذين يعيشون بعيدين عنه ، ولن
يعرفوا معنى الطمأنينة إلا حين تفتح أمامهم أبواب الوطن وينعم الدم المشترك
بالسلام والطمأنينة في الامبراطورية الموحدة .



كانت فينا المدرسة التي علمتني دروس الحياة ، فقد دخلتها صبياً يافعاً
وغادرتها رجلاً رصيناً . وفيها تبلورت نظرتي إلى الحياة ، وفيها تعلمت الأسس
التي نعمل من أجلها اليوم كحزب بدأ حركه متواضعة منذ خمس سنوات وهو
الآن ينمو بشكل كبير ليصبح حركه شعبية ذات شأن عظيم .

الفصل الثالث

- ١ -

ميونيخ

غادرت فيينا في ربيع عام ١٩١٢ قاصداً ميونيخ . فقد كنت أعرف تلك المدينة كما لو كنت ساكناً فيها ، وذلك بسبب دراستي للفن الالماني . إن من يزور المانيا ولا يرى ميونيخ لن يعرف شيئاً عن الفن الالماني ، فقد كانت الفترة السقي أمضيتها في ميونيخ من اسعد أيام حياتي مع ان تحصيلي من عملي كان متواضعاً ، ولكن ما كنت أعمل لأعيش بل لأتابع دراستي وتحصيلي وانا متأكد من بلوغي الهدف الذي رسمته لنفسي .

لقد تعلقت كثيراً بهذه البلدة الجميلة وشعرت بالفرق العظيم بينها وبين فيينا ، ومما زادني تعلقاً بها ما رأيته من مظاهر الحيوية الدافقة في جميع الميادين ومن روائع الفن الساطقة بعظمة الفن الالماني ، ولا شك ان تعلقي بميونيخ هو أنها مرتبطة بتطوري ونمو مداركي ارتباطاً شديداً لا يمكن فصله ، بالإضافة الى تأثير جهاها في كل رجل مرهف الحس محب للجمال .

لم يصرفني انكبابي على الدرس عن متابعة الأحداث السياسية ، وكنت ألتبس من سياسة المانيا الخارجية انها مبنية على أسس غير سليمة ، وذلك من خلال المحادثات التي أنشأتها ، ولكني كنت أظن أن الساسة في برلين على علم بحالة

الضعف التي وصلت اليها النمسا ، وبنفس الوقت يكتمون هذه الحقيقة عن الشعب تجنباً لنقمته ، وبنفس الوقت كانوا يحرصون على الحفاظ على سياسة المحالفات التي رسمها ووضع أسسها بسمارك .

ولكن مع الأسف فقد كانت الفكرة لدى الألمان عن النمسا خاطئة ، والوهم كان سائداً بأن النمسا لا تزال قوية يمكن الإعتماد عليها كحليف قوي . أما انا فكنت على علم تام بمشاكل النمسا ، بينما كانت الدبلوماسية الرسمية تجهل تلك المشاكل الخطيرة ، حتى ان الرأي العام ظل على اعتقاده الخاطئ بقوة النمسا وجيشها وخاصة أنها لا تزال ألمانية . وبلغ بهم حسن الظن حداً أصبحت فيه ادعاءات فينا من أمانة للتحالف الثلاثي مثاراً للسخرية من الصحف في عواصم الولايات السلافية لا سيما براغ التي كانت تعتبر هذا التحالف مسرحية مضحكة ومبكية معاً . وكان الرأي السائد في ايام السلم أن هذه المحالفات ستقضى عند أول تجربة قاسية ..

وقد صدق الحدس ورأينا إيطاليا وفي الوقت الذي كان التحالف يمر في تجربته القاسية الأولى ، تذكر حلفاءها ألمانيا والنمسا وتقف مع أعدائهما . عندما كنت في فينا لاحظت الحماس البالغ من قبل أنصار الوحدة الجرمانية للتحالف الثلاثي بسبب اعتقادهم أن هذا التحالف سيدعم موقف ألمانيا في حال نشوب الحرب ، وبذلك يرتبط مصير النمسا بمصير الرايخ . وقد فاتهم أن هذا الحلف سيحمل الرايخ حملاً ثقيلاً ويؤدي بالدولتين إلى الهاوية . كما أن تفاؤلهما بالحلف سيضمن تحقيق أمانهم القومية ، ولكن هذا الحلف كان ستاراً استخدمته فينا لتغطية تدابيرها الرامية إلى إبادة العناصر الجرمانية في البلاد .

لقد أصبح موقف ألمان النمسا حرجاً نتيجة لسياسة الأحلاف ، لأنهم لو استمروا في نضالهم لاعتبروا خائنين ، ولم يفت المطلعين منهم أن الحلف الثلاثي قيمته في إبقاء العنصر الألماني متفوقاً ، وبالتالي يوم يتغلب الطابع السلافي على البلاد سيصبح لا قيمة له . وقد آلم هذا الفريق من الألمان النموسيين أن تسقط هذه الاعتبارات من حساب الدبلوماسية والرأي العام الألماني ، وأن يقفا موقفاً

من مسألة القوميات مجازفين بمقدرات شعب من سبعة مليونا ، وذلك يعمل مستقبله مرتبطاً بمعاهدات مع سلطة لا تتورع عن إبادة رعاياها الألمان . أي العنصر الأساسي الذي ستعتمد عليه هذه المعاهدة .

ولو رجع المسؤولون إلى التاريخ لوجدوا أنه لا يمكن للكبيرين - آل والقصر الامبراطوري أن يحاربوا جنبا إلى جنب . فالشعب الايطالي لم ينسَ موقف الهابسبورغيين من وحدة بلاده واستقلالها . ولن تجرؤ الحكومة الايطالية إلى إرسال جندي واحد إلى الحرب ما لم تتأكد من أنه سيحارب آل هابسبورغ بالذات . ولئن تكن إيطاليا قد دخلت الحلف الثلاثي فلرغبتها في كسب الوقت والتضليل ، بحيث يركن حلفاءها إلى المعاهدات بينما تستعد هي للحرب .

إن سياسة المحالفات التي اعتمدتها ألمانيا منذ أن ساءت علاقات النمسا مع روسيا ، قد بنيت على افتراضات خاطئة .

لقد كانت الرغبة في عقد المحالفات هو الحاجة الملحة إلى أصدقاء يمكن الاعتماد عليهم في حالة نشوب حرب لا بد منها . فقد كان على ألمانيا أن تواجه مشكلة تكاثر عدد السكان ففي كل سنة كان يزداد عدد سكان ألمانيا ٩٠٠ ألف شخص ، وهذا التزايد يهدد البلاد بكارثة إذا لم تفكر السلطات بتدابير مريعة تقطع الطريق على المجاعة . وكان هناك أربع حلول يمكن اعتبارها :

أولاً : تحديد النسل منعاً لازدياد عدد السكان ، كما هو جار في فرنسا ، ففي الأقطار ذات المناخ الرديء تتولى الطبيعة مهمة الحد من تضخم عدد السكان ، فهي تعترض نمو السكان وتخضعهم إلى تجارب قاسية فتزيل العناصر الضعيفة وتبقي على الأصحاء ، وبذلك يتوصل خفض العدد إلى تقوية الفرد وبالتالي النوع ... وعلى العكس من ذلك إذا تولى الانسان بنفسه تحديد النسل ، فهو غير الطبيعية ، لا يعترض نمو الفرد ولكنه يتولى الحد من التناسل ، وبذلك يرضي إنسانيته لأنه لا يرى من الكون إلا نفسه ولا يعتبر زناً للفرق الذي ينتمي إليه .

إن طريقة الانسان وعواقبها هي عكس طريقه وعواقب الطبيعة . فالطبيعة

لا تتعرف إلى الحدود السياسية، وهي وضعت المخلوقات الحية على وجه البسيطة، وبدأت تراقب صراع القوى المختلفة وتنظر بعين العطف إلى من هو جدير بالحياة والبقاء . وقد تركت الطبيعة أراضٍ شاسعة لا تزال بكرًا ، وهي لم تحتفظ بها للجنس من الأجناس ، بل تركتها للشعب الذي يتمكن من امتلاكها ويضع يده عليها .

فالشعب الذي ينصرف إلى الاستعمار الداخلي ، بينما تحاول الشعوب الأخرى الامتداد إلى مناطق واسعة من الأرض ، سيضطّر هذا الشعب أن عاجلاً أو آجلاً إلى تحديد نسله . ومن الملاحظ أن أفضل الأمم هي التي لا تطمح إلى التوسع وتكتفي بالاستعمار الداخلي ، تاركة التوسع للأمم أقل منها جدارة ولكن أكثر منها عزيمة وقوة وحيوية . وفي نفس الوقت نجد الأمم الأولى مضطرة إلى تحديد النسل لتفادي المجاعة ، بينما نجد الثانية تنمو وتزدهر وتزداد قوة تباعاً لازدياد إمكاناتها .

إن فكرة الاستعمار الداخلي ستكون وبالأعلى شعبنا ، فليس أقتل لحيوية شعبنا من الفئاعة التي لا يبررها الواقع ، فالقناعة ستقعد بنا عن الجهاد في سبيل المستقبل اللائق . ومتى قلنا لشعبنا أن ألمانيا تكفي نفسها بنفسها ، فلنقل عـلى ألمانيا السلام .

إن من سخريّة القدر أن يكون اليهودي هو الموجه لهذا التوجيه الخطر ، وهو المدخل في روعنا أن في إمكاننا توفير ما نحتاجه جميعاً باستدراار عطف الأرض الألمانية .

لن ينقذ ألمانيا من خطر الجوع إلا الاستيلاء على أرض جديدة . والبلاد الصغيرة في مساحتها تبقى معرضة للمفاجآت العسكرية والسياسية ، فالمساحة الكبيرة هي بحد نفسها عاملاً أساسياً من عوامل الاستقرار ، فكما امتدت أراضي شعب سهل الدفاع عنه ، فقد رأينا أن الانتصارات السريعة كانت على أراضي شعوب مجاهلها الحيوي ضيق ، بينما كان على العكس من ذلك بالنسبة للبلدان ذات المساحات الشاسعة ، إذ أن قوة المهاجم تنهار قبل وصوله إلى هدفه البعيد .

تفسح المجال للتناسل ولكنها تخضع هذه السلالة إلى امتحان قاسٍ فتختار الأصلح للحياة وتحفظ به وتوكله بمهمة حفظ النوع . أما الانسان فإنه يحد من نسله ويحاول الحفاظ على سلالته سواء كانت صالحة للحياة أم لا . وبذلك يتمكن من الحد من العدد ولكن قيمة الفرد تتضاءل كما تتضاءل جودة النوع . ان سنة الطبيعة تفسح مجال البقاء للأقوى ، أما الحد من التناسل فلا يستبعد السلالات الضعيفة الغير جديرة بالحياة ، فتؤلف سلالة جديدة أشد ضعفاً ، مما يشكل تحدياً لسنة الطبيعة . ولكن الطبيعة تثار لنفسها من هذا التحدي ، فتسلط الأقوياء الجديرين بالحياة على الضعفاء الحاملين . وليعلم الذين يدرسون مشكلة تزايد عدد السكان أن الطريقة المتبعة في فرنسا أي تحديد النسل ، لو اتبعت في ألمانيا فإنها تعني القضاء على مستقبل الشعب الألماني .

ثانياً : الاستعمار الداخلي ، هذه الطريقة التي يدافع عنها الذين لا يدركون عواقبها .

إن الاعتماد على زيادة محصول الأرض كوسيلة لإنقاذ الشعب الألماني من المجاعة ، ممكن كحل مؤقت ، ولكن هذه الطريقة لن تحل المشكلة من أساسها حلاً نهائياً . باعتبار أن عدد السكان سيزداد بينما قدرة الأرض على الانتاج ستتضاءل ، ولأن متطلبات السكان تأخذ بالتنوع فمثلاً كانت متطلبات أجدادنا منذ مئة عام أقل من متطلبات جيلنا الحاضر بنسبة كبيرة جداً . فالأرض ، كما قدمنا ، لن تتمكن من العطاء إلى الأبد ولا بد أن يأتي اليوم الذي ستجف الأرض وتصبح عاجزة عن الانتاج والعطاء ، وقد لا تجف الأرض إلا في سنوات القحط ، ولكنها ومع الاستمرار في ازدياد عدد السكان ستصبح الأرض عاجزة تماماً ، فتطل المجاعة بوجهها القبيح ، ولا ينقذ الموقف إلا تدخل الطبيعة بما تملكه من قوة على اختيار من هم صالحين للبقاء ، وتترك سائر السكان إلى مصيرهم المحتوم .

قد يقول قائل ان هذه الاحتمالات ستحصل يوماً من الأيام وستطال المجاعة البشرية كلها ولن يسلم من خطرها شعب من الشعوب . وهذا القول يبدو وكأنه صحيحاً . ولكن هذا لا يمنع من النظر إلى الأمور على حالتها الراهنة . فالطبيعة

ان الموجهين الألمان قد رفضوا فكرة الاستعمار الداخلي لأسباب غير التي ذكرناها سابقاً فقد اعتبروا الاستعمار الداخلي كهجوم على الاقطاعات الكبيرة بشكل عام وعلى الملكية الخاصة بشكل خاص. كما رفضوا فكرة تحديد النسل لأسباب دينية بحته .

ثالثاً : تأمين الطعام والإسكان والعمل للسكان الآخذين بالازدياد وذلك بالاستيلاء على اراضٍ جديدة وإسكان الألمان فيها .

رابعاً : إغراق الأسواق الخارجية بالبضائع الألمانية لتوفير أرباحاً كافية تمنع عنا شبح المجاعة .

لقد أصبح على ألمانيا ان تختار بين الاعتماد على التوسع او الاعتماد على التجارة . وقد اختارت التجارة بعد تردد طويل ، وكان عليها ان تختار التوسع لأنها اصلح واسلم . إذ ان كسب اراضٍ جديدة ينتقل اليها الفائض من السكان له ميزات عديدة ، أهمها وجود طبقة سليمة من الفلاحين تعتمد عليهم الأمة كلها . فإن ما نشكوه منه اليوم سببه فقدان التوازن بين ما تقدمه المدن وبين ما تقدمه الأرياف ، وقد كان وجود المزارعين الصغار المتوسطي الحال كالدرع الواقى للشعب ضد مشاكله الاجتماعية التي يواجهها الآن . باعتبار ان نشاط المزارعين ضمن مجالات الاقتصاد المفضل يجعل نشاطهم يسير جنباً إلى جنب مع باقي النشاطات الاقتصادية وبذلك يؤمن التوازن المطلوب بين حاجات السكان وحالة الانتاج .

لكن سياسة التوسع لا يمكن أن تستهدف بلاداً بعيدة كالكاميرون مثلاً ، إذ أن مكانها الوحيد هو أوروبا . وعلينا كألمان أن نعتنق النظرية القائلة أن الله لا يمكن أن يقضي بأن يحصل شعب على خمسين ضعف ما للشعب آخر من الأرض ، وانه إذا كانت الأرض قادرة على إكفاء الجميع ، فليس من العدالة بشيء أن يفصل بيننا وبين الحصول على المدى الحيوي لنمونا وبقاءنا . لذلك يجب على كل فرد أن يكافح ليؤمن ما يكفل له البقاء ، وان لم يتمكن بالمسألة واللين فعملية

بالقوة . ولو ان أجدادنا استسلموا وتحاذلوا ، كما هي عقلية جيلنا اليوم ، لما كان لنا الآن ثلث أراضي وطننا الألماني ، ولولا نضالهم لما قامت للرايخ أية قائمة .

وهناك اعتبار آخر يجعل من التوسع طريقه مثلى : تشغل بعض الدول الأوروبية مساحة صغيرة جداً بينما تشغل ممتلكاتها خارج القارة مساحات شاسعة فتكون قمة هذه الدولة في أوروبا وقواعدها تمتد إلى جميع أنحاء العالم ، كالشكل الهندسي للهرم . وهذا عكس ما هو في الولايات المتحدة الأميركية فقاعدتها على أرضها ولا يوجد ارتباط بينها وبين العالم الخارجي إلا بواسطة القمة ، وهذا مما يجعل للبلاد مركزاً داخلياً منيعاً بينما يسبب العكس ضعف معظم الدول الاستعمارية في القارة الأوروبية .

أما بالنسبة لألمانيا فالطريقة المثالية التي يمكنها اتباعها تقوم على إحراز مدى حيوي لها في القارة الأوروبية بالذات ، لأن المستعمرات لا تصلح هدفاً للتوسع ما لم تكن قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من السكان الأوروبيين ، علماً انه ليس بالإمكان الاستيلاء على مستعمرات تحوي هذه الميزة إلا بواسطة الحروب ، التي يمكن خوضها في أوروبا عوضاً عن المجازفة خارجها .

ومضى تقبل شعبنا فكرة الحرب عليه أن يكرس لها جهوده . ولا يمكن بانصاف التدابير والتردد القيام بمهمة تفرض على كل منا أقصى ما يمكن من الجهد والحزم . ولا بد من جعل سياسة الرايخ منسجمة مع هذا الهدف ، لذلك يجب إعادة النظر في جميع التحالفات المعقودة وقيمة كل منها . ولا يغرن عن بالننا أن توسع ألمانيا في أوروبا يجب أن يتم على حساب روسيا .

ان انكلترا هي التي كان على ألمانيا أن تحالفها قبل الشروع في نهجها التوسعي . فبعد ان تضمن سلامة مؤخرتها كان بإمكان ألمانيا شن الحملة الصليبية الجرمانية الجديدة ، إذ أن حقنا في حملتنا الصليبية واضح كما كان واضحاً حق أجدادنا .

كان على ألمانيا ان تكسب ود انكلترا منها كلفها ذلك من تضحيات فمثلاً

كان علينا أن نكف عن المطالبة بمستعمرات، وأن نتخلى عن فكرة جعل ألمانيا أكبر دولة بحرية، وأن نكف عن مزاحمة بريطانيا في ميدان الصناعة. وبدلاً من ذلك يمكننا تعزيز قوة جيشنا البرية، ولو ترتب على هذا النهج الاقلال من طموحنا مؤقتاً، مقابل ضمان المستقبل المزدهر لشعبنا الألماني العزيز.

إن حاجة ألمانيا التي كانت تواجه ازدياداً في عدد السكان، لم يكن خافياً على انكلترا، فقد كان على ألمانيا أن تستفيد من هذه المعرفة وتعدّ يدها إلى انكلترا التي كانت ترغب في التقرب منا. ولكن ساستنا لم يقدموا على هذه الخطوة، مع أن كل محالفة تقوم وتضمن مصلحة الطرفين المشتركين.

لو اعتمدت ألمانيا في ذلك الوقت النهج السياسي الذي اعتمدته اليابان عام ١٩٠٤، لو فعلت ذلك لما كانت الحرب العالمية، ولما منينا بتلك الهزيمة المنكرة الشنعاء.

ومها يكن، فتحالف ألمانيا والنمسا كان سخيلاً. فقد كانت هذه الدولة المومياء حريصة على التحالف معنا ليتيح لساستها فرصة المضي في إبادة العنصر الجرمانى. ولو كان ساستنا أبعد إدراكاً لعلموا أن قيمة التحالف النمساوي الألماني يمكن في استمرار نفوذ العنصر الجرمانى في النمسا، ومتى زال هذا النفوذ أو ضعف لمصلحة السلاف، زالت بالتالي قيمة التحالف.

لقد كانوا في برلين يخافون النضال، ولما فرضت عليهم الحرب كانت الظروف غير مناسبة. وقد حاولوا تفادي المقدر، وحملوا بسلم دائم ولكنهم استيقظوا على أصوات المدافع...

إن التعلق بالسلام بهذا الشكل أتعد السياسة الألمان عن الأخذ بفكرة التوسع في أوروبا. فقد كانوا يعلمون أن هناك أراضٍ يمكن الاستيلاء عليها في الشرق، وأنهم بحاجة ماسة إليها، ولكنهم أحجموا عن ذلك لأنهم يريدون السلام بأي ثمن، بدلاً من أن يضعوا نصب عيونهم توفير أسباب البقاء ومقوماته للشعب الألماني بأي ثمن! وكانت النتيجة حرب عام ١٩١٤ - ١٩١٨.

ولم يبق إلا سلوك نهج السياسة الاستعمارية والتجارية. إن طريقة الاستعمار تستلزم وقتاً طويلاً، فلا استثمار ليس بالقفزة الفورية،

إنه دفعة تدريجية عميقة ولكنها مستمرة . فعندما سلكت ألمانيا هذا السبيل كان عليها أن تدرك أن هذه السياسة ستقودهم في النهاية إلى الحرب التي أرادوا تجنبها ، مع أنهم كانوا يؤكدون نياتهم السلمية .

وقد أدى هذا السلوك المتناقض إلى توتر العلاقات مع انكلترا التي وقفت ضدنا في جميع الميادين . وقد سعى عن بال زعمائنا ان التوسع في أوروبا يفرض التحالف مع انكلترا ضد روسيا ، فالتوسع خارج أوروبا يفرض محاربة روسيا ضد انكلترا . وفي هذه الحالة لا بد من تبديل المحالفات وذلك بالتخلي عن النمسا . ولكن برلين لم تفكر بالتحالف مع روسيا ، ضد انكلترا ولا العكس بالعكس ، لاعتقادها أن هذا سيؤدي إلى الحرب ، ولتسلافي النزاعات المسلحة لجأت إلى سياسة الانتاج كطريقة مثلى لاستعمار العالم بطريقة سلمية .

لقد كان باعتقاد ساستنا أن استعمار العالم اقتصادياً وسلمياً سيضع حداً لسياسة العنف ، وما أن شعروا بعماء انكلترا الصريح حتى قرروا بناء أسطول لم يكن الغرض منه الهجوم على انكلترا وسحقها ، بل كان الغرض منه الدفاع عن « السلم العالمي » ، وقد حرصت ألمانيا على أن يكون هذا الأسطول متواضعاً من حيث السلاح ، وبذلك تؤكد رغبتها في السلام والمحافظة عليه .

كانت سياسة الفتح الاقتصادي السلمي سياسة سخيفة لا تليق بدول عظمى . فقد بلغ الهوس ببعض المتعصبين لهذه السياسة حداً جعلهم يزعمون ان انكلترا سبقت ألمانيا في هذا الميدان وأصابته نجاحاً باهراً . حقاً إن بعض الناس يقرأون التاريخ ولا يعرفون منه شيئاً .

لم تنشأ الامبراطورية البريطانية بالاستعمار السلمي ، فالوحشية التي اعتمدها الانكليز كانت مضرِب الأمثال . إن السر في السياسة الانكليزية هو في استخدام القوة السياسية لتحقيق الفتوحات الاقتصادية ، كما أنها تعرف كيف تحول نجاحها الاقتصادي إلى قوة سياسية . وانه لمن السخف أن نعتقد أن انكلترا كانت لا تهرق دماء ابناءها في سبيل التوسع الاقتصادي . فقد كانت انكلترا تستخدم المرتزقة لكسب الحروب وبذل الدماء ، ولكنها في نفس الوقت كانت تجود

بدم ابناءها في الحالات التي لم يكن فيها بداً من التضحية .
ولكننا في ألمانيا ، كنا نعتقد أن الرجل الانكليزي رجل أعمال وتجارة ،
واسع الحيلة ، بليد وجبان . ولم يخطر في بالنا أن امبراطورية واسعة كالامبراطورية
البريطانية لا يمكن أن تكتسب بالخداع واللين . أما الألمان القلائل الذين وقفوا
ليحذروا مواطنيهم من قوة الانكليز كشعب مقاتل ، فقد اعتبروهم انهزاميين
ولم يأخذ برأيهم .
ما زلت أذكر الدهشة التي كانت تستحوذ على رفاقي في جبهة الفلاندر ،
عندما جابهنا الانكليز في إحدى الملاحم القاسية ، فقد أدركنا جميعاً أن هؤلاء
الاسكتلنديين محاربون أقوياء . وان الصحف والبلاغات كانت تشبعنا حين
صورتهم لنا بصورة الجبناء .

*

ان تسرع ألمانيا بالتحالف مع النمسا قد قعد بها عن التوسع في اوربا معتمدة
على صداقتها مع روسيا . وان الاعتماد على دوله مهترئه مفككه كالنمسا
للاقدام على التوسع هو ضرب من الجنون .
فقد كان اندلاع الحرب العالمية بسبب النمسا ، من حسن حظ ألمانيا . فقد
حالت الحرب بين آل هابسبورغ وبين التهرب من التزاماتها تجاه المحالفة المعقودة
ولو كان الأمر على عكس ذلك لما عتمدت فينا أن وجدت وسيلة لتهرب من
التزامها وتقف على الحياد . وما كان السلاف ليقبلوا بإرسال الجيش النمساوي
ليحارب إكراماً لألمانيا التي تحمي العنصر الجرمني في النمسا .
لقد كان للنمسا أعداء كثيرون يطمعون باقتسامها ، وبالتالي سيناصبوا ألمانيا
العداء باعتبارها تقف حجرة عثرة في سبيل مطامعهم . ومن أجل النمسا أبغض
الايطاليون ألمانيا . وقد كان بالامكان التفاهم مع روسيا ما دام الألمان يريدون
التوسع اقتصادياً ، ولكن اليهود والماركسيين جعلوا الحرب محتمة . ولولا الحلف
الثلاثي لما تمكن أعداء ألمانيا من حمل دول أوروبا الشرقية وروسيا وإيطاليا على
خوض الحرب ضد ألمانيا ، فقد كان أمل الطامعين هو اقتسام النمسا بعد تصفية

حسابها . وزاد رغبتهم في دخول الحرب هو وجود تركيا في عداد حلفاء المانيا باعتبار ان تركة السلطنة كانت مما يغري ويسيل اللعاب .
ان الرساميل اليهودية كانت وراء هذه الاغراءات التي لوححت بها للطامعين ،
على أمل الوصول الى هدفها وهو القضاء على المانيا التي لم تكن خاضعة للنفوذ
اليهودي المالي والاقتصادي .

* *

لنرجع الى السياسة الاقتصادية لألمانيا خلال السنوات التي سبقت نشوب
الحرب . فقد كان النجاح الذي أصابته المانيا في ميادين التجارة باهراً لدرجة ان
البعض ذهب في غروره للاعتقاد ان وجود الدولة مرهون باستمرار الازدهار
الاقتصادي والتجاري ، والدولة هي قبل كل شيء مؤسسة اقتصادية كبرى . علماً
ان استمرار الازدهار هو رهن بقيام دولة قوية تدعمه . ان الاقتصاد وسيلة من الوسائل
الضرورية لتحقيق الغرض من وجود الدولة ، ولكنه ليس سبب وجودها ، فالدولة
التي تجعل من الاقتصاد سبباً لوجودها ليس لها ما لبقية الدول من مقومات البقاء .
ان في تاريخ المانيا اكثر من دليل على ان المستوى الاقتصادي لالمانيا كان
يرتفع بارتفاع وازدياد نفوذها السياسي في المجال الدولي .
ان العقل والادارة والتضحية والمثل العليا هي القوى التي تنشئ الدولة
وتصونها . فالانسان لا يقدم على التضحية بنفسه من أجل صفقة تجارية ولكنه
يفعل من أجل فكرة او مثل أعلى .

لقد حاربنا في الحرب العالمية من اجل لقمة الخبز ، بينما حاربت انكلترا
دفاعاً عن الحرية . وقد حارب الانكليز حق النهاية بقوة واخلاص . أما نحن
فقد استبسلنا في بداية الحرب ولم نلبث ان تخاذلنا وانهارت معنوياتنا حين علمنا
اننا نحارب من اجل اللقمة .

ان الدول تبقى وليدة غريزة حب البقاء ، بقاء العرق ، سواء كانت هذه
الغريزة في ميدان البطولة أو ميدان الدسائس . فإذا تجملت في الميدان الاول
نشأت دولا آرية يسودها العمل الجدي . اما اذا تجملت في الثاني فلأنها تنشئ

مستعمرات فضولية لليهود .

لقد أدركت خلال مشاهداتي في فينا والمانيا نفسها ان الجمود الميت الذي سيطر على امتنا كان بسبب جرثومة الماركسية الرهيبة، والسموم التي كان ينفثها اليهود اساقذة الماركسية وحمايتها .

وانكبتت، للمرة الثانية ، على دراسة هذه العقيدة الهدامة على ضوء الاحداث السياسية الجديدة . وقد اطلعت على المحاولات التي حاولها بعض الرجال العظام للحد من انتشار هذا الوباء العالمي الفتاك، وقد أعجبت بمحاولة بسمارك والتشريعات التي سنّها والتي قطعت ذيل الأفعى ولكنها لم تقضِ على رأسها . فقد حارب بسمارك ضحايا الماركسية ولكنه لم يحارب الماركسيين بالذات . فقد حاول ان يقضي على الوباء بقتل المصاب وأغفل عن ناشر الجرثومة .

ومرة ثانية درست العلاقة بين الماركسية واليهودية ، وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميمهم في إشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى ويفرض مشيئته في كل مكان .

كنت انظر الى المانيا حين كنت في فينا نظري الى عملاق جبار، ولكن بعد انتقالني الى ميونيخ تغيرت نظرتي وصرت أشك في مقدرة هذا العملاق على الصمود في وجه الأعاصير . وصرت أنتقد سياسة المانيا الخارجية بشكل ظاهر وعلني وخاصة بما يتعلق بموقفها من خطر الماركسية الذي اخذ بالتفاقم . وقد أدهشني عدم الاكتراث من قبل المسؤولين لهذا الخطر الهدام الذي يوجهه اليهود ، ومما زاد في نقمتي ان فئة من المفكرين قاموا بحملة تحذير للحكام الذين شعروا بخطر الماركسية ، زاعمين ان هذه العقيدة لن تعيش في المانيا لأن لشعبنا مناعة طبيعية ضد هذا المرض الفتاك . وقد سها عن بالهم ان هذه العقلية المريضة قد أودت بحياة امبراطورية ضخمة .

وأخذت على نفسي منذ عام ١٩١٣ مهمة تحذير الشعب من هذا الخطر ، وأوضعت اكثر من مرة ان مستقبل المانيا يتوقف عليه القضاء على الماركسية

قبل انتشارها . وقد كان لهذا التحذير صدى المستحب عند المواطنين الذي هم الآن جنود الحركة القومية الاشتراكية .

وقد تأكد لي مع الأيام أن الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسؤولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كان نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الاخلاص لوطنهم . فعندما أقامت ألمانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية كان اليهود أول المهللين لها ، يقيناً منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا إلى الانهيار ، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يملكون بها . دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود .

وقد لاحظت في الصحف الاشتراكية الديمقراطية المقالات المسمومة والتي كان يحررها يهود جنباء يذيلون مقالاتهم المحشوة بالسموم بتواقيع مستعارة . وهذا لم يكن له وجود في النمسا .

★★

هتلر والشيوعية

الفصل الرابع

- ١ -

الحرب العالمية

في عام ١٩١٤ انقضت صاعقة عظيمة على الارض ، وأصم الآذان صوت مدافع الحرب العالمية .

عندما أعلن في ميونيخ نبأ مقتل الأرشيدوق فرنسوا فرديناند أصابني قلق شديد ، وكنت اتساءل عند وصول الخبر المشؤوم ، هل قتل الأرشيدوق برصاص طلبة ألمان عز عليهم أن يعمل ولي العهد على إكساب النمسا الطابع السلافي ، فقرروا التخلص منه وإنقاذ الشعب الألماني من عدو داخلي ؟ وإذا كان إفتراضي صحيحاً فمعنى ذلك أن فينا ستجد مبرراً لزيادة اضطهادها للألمان تجاه العالم كله . ولكن عندما علمت أن الصرب هم المتهمين الرئيسيين بالقتل ، دهشت لسخرية القدر ، فقد سقط أوفى أصدقاء السلاف برصاص أشد المتعصبين للسلاف .

ان من اتيح لهم تفهم موقف النمسا من صربيا علموا انه لا بد للصخرة التي ابتدأت بالتدحرج من ان تستقر في قعر الهاوية ..

لا يسعنا مؤاخذه الحكومة النمساوية على الانذار الذي وجهته عقب الاعتداء فقد كان تصرفها سليماً . فقد كان على حدود النمسا الجنوبية الشرقية عدواً

لدوداً ، ما برج يتربص بها . ويتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها . ولكن خصوم المملكة كانوا يعتقدون أن زوالها قد أصبح محتوماً بعد توارى الامبراطور فرانسوا جوزيف ، فهو الوحيد الذي كان يحسد الامبراطورية في نظر غالبية الشعب وقد عمل الساسة السلاف على ترسيخ هذا الوم في نفوس الشعب مدخلين في روعهم أن الدولة مدينة بوجودها لعبقرية الامبراطور وحسن سياسته . وكان هذا المديح يلاقي وقماً حسناً في نفس الامبراطور فرانسوا جوزيف ورجال حاشيته ، ولكنه في نفس الوقت يحوي في طياته خنجراً مسموماً ليكون أداة لتمزيق فريستهم .

لقد أدى مصرع ولي العهد إلى دفع عجلة الحرب إلى الأمام ، وبالرغم من ان الناقدين قد اهتموا فينا في تسبب الحرب ، إلا ان الحرب كانت واقعة لا محالة . فلو عملت حكومتى المانيا والنمسا على تفادي الحرب بعد مقتل الأرشيدوق لأدى هذا إلى تأجيل الكارثة إلى ظرف أكثر ملائمة لخصومها فقط .

ان من يتبجحون بلوم الذين ايقظوا إله الحرب من نومه ، ويسدون النصائح السخيفة ، يجب ان يحملوا وقبل سوام وزر الحرب وجرفا اليها . فمئذ عشرات السنين والاشتراكية الديمقراطية الألمانية تحرض على الحرب ضد روسيا ، اما بالنسبة لأحزاب الوسط فقد ساهمت في جعل النمسا حجر الزاوية في محور السياسة الألمانية ، وذلك لاعتبارات دينية بحتة . وقد جنت البلاد ما زرعت الأحزاب السياسية وتحملت أخطاء هذه الأحزاب . أما بالنسبة لألمانيا فقد كان خطأها الوحيد هو حرصها على السلام ، فقد تركت الظروف الملائمة للهجوم تفوتها للحفاظ على السلام التي ذهبت هي ضحيته ، بل ضحية التحالف العالمي لإشعال الحرب العالمية .

إن الإنذار الذي صاغته فينا في قالب معتدل قد أثار نقمة الشعب واعتبره إنذاراً ضعيفاً . فالحرب عام ١٩١٤ لم تُفرض على الشعب ، فقد أرادها الشعب برمته ، إذ تقدم للجهاد مليوني ألماني بين رجل وفق متأهبين جميعهم للدفاع عن الوطن وبذل دماهم في سبيله .

أما بالنسبة لي شخصياً فقد حررتني الحرب من جو الكآبة المسيطر علي ، إذ سرعان ما دب في الحماس فجثوت أشكر السماء لأنني ولدت في هذا العهد بالذات .

بدأ النضال المرير من أجل الحرية ، فقد أدرك الشعب أنه مدعو إلى الكفاح والبذل لا من أجل النمسا بل من أجل الأمة الألمانية ذات التاريخ المجيد . وهكذا بدأ الشعب يتبين مستقبله بعد سنين من التعامي .

لقد مرت بذكريتي فكرتان بعد صدور البلاغ الرسمي حول مقتل الأرشيديوق ان الحرب باتت محتمة ، وان الظروف ستفرض على النمسا احترام اتفاقاتها المعقودة . فقد كنت أخشى أن تضطر المانيا إلى دخول الحرب باسم الحلف الثلاثي دون ان تكون النمسا السبب الرئيسي للحرب ، وربما لاعتبارات سياسية داخلية ستجبن فينا عن القيام بواجباتها كحليفة لألمانيا ، ولكن وبما ان الواقعة وقعت بسبب النمسا (في الظاهر على الأقل) فلم يبقَ أمام النمسا إلا أن تضع يدها في يدنا لنواجه الموقف سوية متحملين جميع النتائج .

ان موقفني من النزاع كان واضحاً ، فقد علمت منذ اللحظة الأولى ان المسألة بالنسبة لألمانيا كانت أخطر من تأديب صربيا . فقد كانت كفاح الأمة الألمانية بأسرها في سبيل وجودها وحريتها . ادركت ان المانيا التي حقق لها بسمارك وحدتها ، مدعوة مرة أخرى إلى البذل والتضحية ، وان ما قام به اجدادنا من تضحيات وبذل في ميدان المعارك الرهيبة من فيسمبورغ إلى سيدان وباريس ، يفرض على الجيل الحاضر ان يحرقه من جديد ، فإذا تمكنا من الكفاح حتى النهاية ، نكون قد حققنا النصر وأصبحنا في مصاف الأمم الكبرى ، فتصبح الامبراطورية الألمانية من جديد موثلاً للسلام دون ان تضطر إلى حرمان أبنائها من قوتهم اليومي إكراماً للسلام .

ما ان نشبت الحرب ، حتى سارعت لتلبية نداء الواجب فوضعت كتي على الرف بعد أن قررت أن أحمل السلاح لأدافع عن وطني ، وفي الثالث من شهر آب عام ١٩١٤ وجهت رسالة إلى جلالة الملك لويس الثالث أطلب قبولي في إحدى القطعات العسكرية البافارية ، وكم كان سروري عظيماً عندما وصلني

في اليوم التالي القبول والموافقة على تطوعي بفيلق بافاري معين . وأقمت أنتظر بزوغ فجر اليوم التالي لأسافر إلى الجبهة ، وقد كان هي الوحيد أن أصل إلى ساحة القتال قبل أن تنتهي الحرب ، لأن الأخبار كانت تجمع على أن الحرب ستكون قصيرة .

وأخيراً سافرنا إلى الجبهة ، وأبصرت لأول مرة نهر الراين عندما اتجهنا غرباً لنسهم في الدفاع عن النهر الألماني العظيم .. وعندما شاهدت تمثال جرمانيا رمز السيطرة الألمانية على رينانيا ، امتلأت صدورنا بالفخر والاعتزاز ونشدنا نشيد « الراين » وكلنا حماس وأمل بالنصر الكبير ...

وصلنا سهول الفلاندر ، وشرعنا بالزحف تحت ستار الظلام دون أن نلقى أية مقاومة من العدو ، ولكن ما ان بزغ الفجر حتى بدأ الرصاص ينهمر علينا ، فتعالى هتافنا ترحيباً بالموت والتحمنا مع العدو وسط حقول الملفوف ، وعلت أصواتنا بالأناشيد الحماسية ، ومشينا إلى الموت نشد « ألمانيا فوق الجميع » . بعد أربعة أيام تراجعنا إلى حيث بدأنا الهجوم ، لكن المدة القصيرة كانت كافية لنصبح رجالاً مجربين مكتملي الرجولة . فقد كان فيلقنا ، فيلق « ليست » غير مدرب على القتال كما يجب ، ولكننا على استعداد تام للموت ميتة الأبطال العريقين في فنون الجندية والقتال .

توالى السنون ، وانطفأت جذوة الحماسة في صدورنا ليدخل مكانها الرعب والخوف من الموت ، وقام في داخلنا صراع عنيف بين الواجب وحب البقاء . فقد كان الجبن يسيطر علينا محاولاً إقناعنا بضرورة التوقف والتمرد والثورة على قادتنا ، ولكن ثباتنا وعنادنا كان يقوى على هذا الشعور المتخاذل إلى أن انتهى هذا الصراع الداخلي ، فاستعدت رباطة جأشي خاصة في معارك عام ١٩١٥ ولم يعد يرادني هذا الشعور منذ ذلك الحين . وكان هذا ينطبق على بقية رجالنا ، فقد تمكن الجيش كله من التغلب على الخوف والضعف وجعلته المعارك المتواصلة صلباً فولاذي الأعصاب . فقد أثبت الجيش الألماني ، باعتراف المؤرخين ، أنه فريد عصره بما أظهره من شجاعة وجلد في مقارعة خصومه الذين يفوقونه عدداً

وعدة . ولن ينسى العالم كله أن الجيش الألماني الباسل ضرب أروع الأمثلة في التفاني ونكران الذات .

لم يكن لدي الوقت ، في ذلك الحين ، للاهتمام بالسياسة إلا أن بعض الصحف المعينة منذ إحرازنا أولى انتصاراتنا ، بدأت في تعكير صفو الابتهاج العام بأسلوب بارع خبيث استعمل معه تبين خطر هذه الألاعيب وأهدافها الحقيقية . فقد عارضت الاحتفالات التي كانت تقام ابتهاجاً بالانتصارات العسكرية ، بحجة عدم لياقتها بأمة عظيمة كالأمة الألمانية . فالشجاعة والأعمال البطولية ، لا يبرران هذا الاسراف في الابتهاج بل على العكس قد يسيء إلى ألمانيا باعتبارها دولة محبة للسلام وهي لم ترد الحرب في الاصل ، بل هي راغبة في التعاون مع الدول على قدم المساواة .

نتيجة لهذه الحملات الخبيثة ، قامت السلطات باتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الابتهاج العام الغير لائق ، بدلاً من أن تأخذ بهؤلاء الثرثارين إلى ساحة الإعدام وتريح الشعب من فلسفتهم . ولكن السلطات شاءت أن تكبت الحماس وتخنقه في صدور المواطنين ، بدلاً من أن تدعهم يواصلون النضال وهم زاخرين بالقوة والحماس .

والشيء الثاني الذي كان يقض مضجعي منذ اشتعال نار الحرب الكبرى ، هو التفاضي التام عن نشاط الماركسيين ، وكانت حجة السلطات أن المصلحة تقتضي تكاثف جميع الاحزاب ، ولا يجوز استثناء الماركسيين . ولكن الماركسية لم تكن حزباً بل عقيدة يقضي انتشارها إلى تغيير المقاييس التي حفظت الكائنات ويترقب على نجاحها القضاء على البشرية قضاء تاماً وقد صرح وزير الداخلية بأن حزب الماركسيين قد دلل على صدق وطنيته وعاد إلى حظيرة الوطن ... وهذا هو الجهل بعينه ...

لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن وراءهم اليهود . كان على الحكومة أن تقتضي على أعداء ألمانيا ، على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الامام

تُجود بدمائها في ساحة القتال . لكن جلالة الامبراطور شاء أن يمد يده إلى المجرمين ، فعفا عن مصاصي دماء الشعب ، متيحاً لهم فرصة العمل بجذر وحكمة مهيدين الطريق أمام الثورة ..

لقد زادت تعمقي على الأوضاع وكنت أتساءل عن السبب الذي دعا المسؤولين إلى هذا التسامح بدلاً من استعمال الشدة والعنف لتأديبهم ؛ وهل تتمكن القوة من القضاء على العقيدة ؟ ورجعت إلى التاريخ أستقرأه ، وخرجت بالمبدأ الأساسي التالي :

تصبح العقائد والمبادئ المرتكزة على الفكرة الفلسفية ، بعد أن تبلغ مرحلة معينة ، أمتن وأقوى من أن يقضى عليها بالقوة المادية ، إلا إذا وجدت هذه القوة المادية لتقديم فكرة أو عقيدة جديدة . وإلا لا يمكن القضاء عليها أو منع انتشارها ، اللهم إذا أبيد جميع أنصارها ومؤيديها من الوجود ، وهذا يؤدي إلى الإطاحة بالدولة لأن مذبحة كهذه ستقضي على الفريق الصالح من المواطنين مع غيرهم . فإن كل حركة اضطهاد لا تركز على أساس فكري تظهر للعالم وكأنها حركة ظالمة ، وتدفعهم إلى العطف على المضطهدين ، وبذلك يزداد قوة الأنصار تبعاً لاتساع حركة الاضطهاد .

إن الشبه الكبير بين العقيدة المحصورة في نطاقها الضيق وبين السكائن الحي وهو لا يزال طفلاً . فهو يتعرض للأمراض في مرحلة الطفولة ، إنما السنين تكسبه مناعة كافية . وهكذا الفكرة أو العقيدة يسهل القضاء عليها قبل أن تنمو وتنتشر ، أما إذا جاء التدبير بعد انتشارها ، فإن النتائج ستكون مخيبة للآمال للأسباب الآتية :

إن الشرط الأساسي لنجاح فكرة القوة لمكافحة عقيدة ما ، هو الاستمرار في محاربتها بدون هوادة ، أما إذا كان هناك قليلاً من التسامح ، فالعقيدة لا تلبث أن تستجمع قواها وتعود إلى نشاطها من جديد . لكن الاستمرار في المكافحة يجب أن يقوم على أساس عقيدة أخرى ، وإلا كان الاستمرار بالقمع يبدو متردداً لافتقاره إلى الركائز التي تدعّمه ... لهذا نجد أن جميع المحاولات

التي بذلت لقمع فكرة الماركسية قد باءت بالفشل .

إن ما اتخذ به سبارك من تدابير ضد الاشتراكيين لم يؤدي إلى نتيجة مرضية ، وذلك لعدم وجود فكرة أو عقيدة مضادة . وقد اضطر في النهاية لا سيما بعد أن جنح الاشتراكيون نحو الماركسية اضطر سبارك إلى الاستعانة بالديمقراطية البورجوازية ، أي بكلمة ثانية بالاشتراكيين المعتدلين لمكافحة الماركسيين ، وكان بعمله هذا كالذي يوصي القط بقطعة الجبنه ...

الفصل الخامس

الحرب والدعاية

كانت الدعاية على جانب عظيم من الأهمية ، فهي أداة لتتوير الأذهان من جهة ولخداع من يراد خداعهم من جهة ثانية . وقد لفت نظري أن الأحزاب الاشتراكية والماركسية كانت تتقن هذا الفن الذي لم يتعلمه سواهم من الأحزاب المناوئة عدا الحزب المسيحي الاشتراكي الذي كانت لديه دعايات منظمة في عهد الدكتور لوجر .

وقد لعبت الدعايات دوراً بارزاً في الحرب ، وكنت وأنا أراقب نشاط العدو في هذا الميدان ، أكاد أتفجر غيظاً لاغفالنا خطر هذا الفن الفعال . والأدهى من ذلك أن قادتنا لم يفكروا باللجوء إلى هذا السلاح ، مع أنهم لمسوا مدى تأثيره في معنويات الشعب والجيش .

نعم لم تكن لنا دعايات منظمة ، وكانت الدعايات المسوخة التي نوجهها تعطي نتائج عكسية ، لأن الذين أوكل إليهم تنظيمها لم يحملوا أنفسهم عناء تحديد الغرض منها ومعرفة ما إذا كانت وسيلة أم غاية ..

لقد كانت غايتنا من أنبل الغايات وأشرفها . فقد كنا ندافع عن حرية شعبنا واستقلاله وتوفير طعامه وضمان مستقبله . لذلك كان المفروض في الدعايات أن تركز على هذا الهدف لتذكى روح النضال في شعبنا لبلوغ النصر .

عندما ندافع من أجل كياننا ، لا يبقى هناك مجالاً للاعتبارات الانسانية ، لأن هذه الاعتبارات هي من صنع نخيلة الانسان ، فمق زال هو زالت معه الاعتبارات الانسانية لأن الطبيعة لا تعترف بها .

قال مولكتة : : ان أساليب القتال العنيفة هي أكثر الأساليب إنسانية

لأنها تعجل في وضع حد للحرب ، والنضال من أجل الكيان ينفي كل اعتبار جمالي ، لأنه ليس هناك أقبح من ظلم الاستعباد .

نعم لقد كان مولكته محقاً ، وقوله هذا ينطبق على القتال وعلى الدعاية . فالشعب قد حمل السلاح ليدافع عن كيانه ، والدعاية التي تهدف إلى إذكاء حماسه الوطنية هي غاية يجب الوصول إليها مهما كانت الوسائل . فكل سلاح ، مهما يكن منافياً لمبادئ الإنسانية ، يصبح وسيلة إنسانية ما دام الغرض من استعماله الدفاع عن حريتها .

هل توجه الدعاية إلى المتعلمين أم إلى العوام ؟

يجب توجيه الاعلان إلى عامة الشعب فالمتعلمين يوجه لهم التفسير العلمي للدعايات . لأن الدعاية لا تحوي من العلم أكثر مما يحويه الاعلان من عناصر فنية . ففن الاعلان يقوم على براعة الرسام في لفت النظر إلى إعلانه المرسوم . فمثلاً الاعلان عن معرض فني ، يطلب أولاً إبراز الفن في المعرض المعلن عنه ، وإعطاء فكرة عن معنى هذا المعرض ، أما الفن فلا يمكن للرسام أن يعطي أي فكرة عنه إلا بزيارة المعرض والنظر إلى كل لوحة على انفراد .

إن الدعايات تهدف إلى لفت نظر الجمهور إلى وقائع وأحداث ، لا على تنوير الشعب على أساس علمي . لذلك وجب التوجه إلى قلوب الشعب لا عقله .

يجب أن تكون الدعاية شعبية لتكون في مستوى تفكيره . وكلما كان عدد الذين تنقل لهم الدعاية كبيراً ، كلما وجب خفض مستواها العلمي ، ليتسنى لجميع الطبقات تفهمها واستيعاب القصد منها . فالدعاية التي تتوجه إلى قلب الجمهور وحواسه قبل عقله هي التي تكون أشد تأثيراً به ، شرط أن لا تعتمد التضليل وقلب الحقائق .

لقد ركزت الصحافة الألمانية والنمساوية على السخرية من العدو ، وإظهاره بمظهر الجبان . ولكن هذه الدعاية كانت تعطي نتائج معكوسة ، لأن قراء هذه الصحف كانوا يحدون في ساحات القتال جنوداً من الأعداء شجعاناً وأقوياء لذلك عوضاً عن تقوية روح المقاومة في الجنود ، أضعفت من معنوياتهم وأثارت نفقهم . بعكس الدعاية الانكليزية التي كانت تبدو معقولة بارعة ، فقد كانت

تصور الألمان كقبائل « الهون » البرابرة . فهي كانت تعد الجندي الانكليزي للثبات واليقظة . وعندما يحيد في الألمان الشدة في القتال ، يتأكد من أن الدعاية التي زودته بها حكومته لم تكن مضللة ، فيقتنع أن الألمان برابرة ... لذلك كسبت الحكومة ثقة جنودها ، فأيقنوا أن حكوماتهم تصارحهم بالحقيقة مهما كانت جارحة . بعكس الجندي الألماني فقد انتهى به العدو إلى اعتبار جميع ما تعلنه حكومته تضليلاً ونفاقاً . وكان فشل الدعاية الألمانية يعود إلى إهمال الاعتبارات السيكولوجية ، وعدم إبراز موقف ألمانيا في شتى الميادين دون اللجوء إلى المقارنة بين ألمانيا والدول الأخرى . ليس من السذاجة أن يعلن أحد معامل الصابون عن إنتاجه الجيد ذاكراً أن الصابون الذي تنتجه المعامل الأخرى جيد أيضاً ؟ فقد كانت دعاياتنا تقوم على هذا المنطق الأعوج . فالدعاية لا تكون إلا لمصلحة الفريق الذي تعمل له .

لقد وقعت الدعاية الألمانية في هذا الخطأ الكبير حينما أكدت أنه لا يجوز أن تتحمل ألمانيا وحدها مسؤولية جرم العالم إلى الحرب ، وأن العدو يجب أن يتحمل قسماً من هذه المسؤولية . فهي قد اعترفت ببعض الحق للعدو ، أمام شعبها الذي يسوده الشك والارتباب في حكومته ، فما لبث هذا الشعب أن وقع في دوامة القلق وأصبح عاجزاً عن التمييز بين مسؤولية العدو ومسؤولية وطنه ، وزاده تردداً وتشكيكاً دعاية العدو المضادة التي كانت تضع كل المسؤولية على ألمانيا وحدها وتحملها جميع التبعات ، فانتهى به الأمر إلى الوقوع في حبال الدعاية المضللة .

لقد أدرك الانكليز أن أكثرية الشعوب في الازمات تأتي آراؤها وتصرفاتها نتيجة المؤثرات لا نتيجة التفكير المجرد . فالتأثير الذي يسيطر على الشعب ليس إلا الشعور بالحب أو البغض ، بالصدق أو الكذب ، بالقوة أو الضعف . لقد اكتشف الانكليز سر الدعاية ، وعرفوا كيف يستخدمونها كسلاح أسامي . فجنّدوا لها رجالاً أكفاء ، فنجحوا نجاحاً باهراً .

أما نحن فقد اعتبرنا الدعاية كسلاح ثانوي ، وعهدنا بها إلى نفر من حملة الاقلام البعيدين عن الجمهور ، فكانت النتيجة الفشل ...

الفصل السادس

الثورة

بدأت حملة العدو الدعاية عام ١٩١٥، وخلال عام ١٩١٨ تدفقت الاشاعات والأكاذيب على المانيا بشكل ظاهر مما أثر تأثيراً مباشراً على الجيش ، وبدأ يحول تفكيره نحو تصديق ما كان يقوله العدو . وفي الصيف وبعد إخلاء الضفة الجنوبية لنهر المارن ، وقفت صحافتنا الألمانية موقفاً مخزياً إن لم نقل مجرمًا ، وقد رحت أساءل نفسي بآلم : ماذا تنتظر السلطات لوقف هذه الحملات المسعورة المضعفة لمعنوياتنا .

ماذا صنعت فرنسا عام ١٩١٤ عندما اجتاحت جيوشنا اراضيها ؟ وما هو الموقف الذي وقفته عام ١٩١٨ عندما أوشكت جيوشنا على دخول باريس ؟ لقد قامت الدعاية لتلعب دورها المنظم في إلهاب صدور الشعب بالحماس مدخلة في عقولهم أن النصر النهائي سيكون لهم .

كم تأملت لأنني لم أكن مكان المسؤولين عن الدعاية الألمانية ، وهم العاجزين أو المقصرين . ولكن شاءت الظروف أن أكون في وضع يسمح لأي زنجي أن يصرعني برصاصة ، مع العلم انني لو كلفت بمهمة أخرى لأسديت لبلادي خدمات كثيرة ، ولكن ما حيلتي أنا الجندي البسيط بين ثمانية ملايين رجل !

في أحد أيام الصيف من عام ١٩١٥ وقعت على إحدى النشرات الدعاية التي كان يوجهها العدو ، فقرأت فيها أن الجماعة بدأت تنتشر في المانيا ، وان الحرب

طويلة ولم يعد هناك من أمل لألمانيا في كسب الحرب ، لذلك فإن الشعب الألماني يريد السلم لكن العسكريين والقيصر لا يريدون له السلم بل الحرب ، وإذا كان العالم قد حمل السلاح ، فليس معنى هذا أنه يحارب شعب ألمانيا ، ولكن غاية الحلفاء هي معاقبة المسؤول الوحيد ! القيصر غليوم ، ولن تنتهي الخلافات إلا بعد إقصاء القيصر عدو البشرية . ومتى انتهت الحرب ستفتح الشعوب الحرة والديمقراطية ذراعيها للشعب الألماني كي تتعاون وإياه تحت جناح السلم العالمي الدائم ، هذا السلم الذي ستقوم دعائمه على انقراض الروح العسكرية البروسية ... كانت هذه النشرات تقابل بالسخرية التامة ، ولكن العدو استمر في إرسالها بواسطة الطائرات . وقد لاحظنا ان النشرات التي كانت تلقى فوق الاراضي التي يسكنها بافارون تتضمن هجوماً عنيفاً على بروسيا ، زاعمة انها المسؤولة عن نشوب الحرب ، مع أن الحلفاء لا يريدون الحرب مع بافاريا ، ولكن لا يسعهم ان يساعدوها طالما هي مع البروسيين . ولم تلبث هذه الدعاية المسمومة أن أثرت تأثيراً كبيراً ، فازدادت النقمة على بروسيا خاصة في الجيش دون ان تكثر لها السلطات ، ولما قررت التدخل كان الوضع قد أصبح خطيراً وأقلت زمامه من يدها ، ودفع ثمن تهاونها الشعب الألماني كله

وقد ساهم في إضعاف معنويات الجنود ، الرسائل التي كانت ترسلها النساء إلى أزواجهن يشكون فيها ما يقاسونه من عذاب وحرمان ... وقد حصل العدو على بعض الرسائل مع الاسرى فاستغلها في دعاياته أحسن استغلال ... وهكذا بدأت الأزمة تتفاقم ، ولكن بقيت هناك معنويات طيبة بين الجنود ، بحيث أنهم كانوا يؤدون واجبهم على أكمل وجه ويدافعوا عن كل شبر من ارض الوطن .

في شهر ايلول عام ١٩١٦ تلقينا الأوامر للالتحاق بالفيالق المقاتلة قرب نهر « السوم » حيث شاركنا في قتال رهيب مع العدو ، وكان سلاحنا جديداً جعل من المعركة جحيماً . وفي السابع من تشرين الأول اصبت بشظية ، فنقلت إلى المؤخرة حيث أُلقيت القطار إلى ألمانيا ، وادخلت إلى مستشفى بيليتز في ضواحي

برلين . وهناك قدر لي ان ألمس الفرق بين الروح الوطنية المسيطرة في الجبهة وبين المؤخرة . فقد سمعت ما لم اسمعه في ميدان القتال . سمعت جريماً يتحدث ويفاخر بفشله وجبنه ، وسمعت آخرأ يقول انه جرح يديه بالاسلاك الشائكة كي ينقلوه إلى المستشفى ، وقد لاحظت أن بعض المستمعين كان يصغي إليه مستحسنين ما يقوله

ما ان تمكنت من المشي دون تعب ، حتى طلبت الاذن باخراحي من المستشفى حيث انتقلت لبرلين التي كانت في حالة غليان شديد ، فالمجاعة متفشية والأمراض تفتك بالناس والنقمة على الاوضاع ظاهرة على وجوه الجميع . بعد شفائي التام الحقت بفوج الاستبداد في ميونيخ . وهناك كانت الحالة أسوأ من برلين . وقد اذهلني الروح الانهازمية المستسلمة التي سيطرت على مدينة الفن . وكانت ممنويات الجنود في الفوج الذي الحقت به أسوأ من ممنويات السكان ، فقد كان مدربي الفوج من الضباط المستجدين الذين لم يذهبوا إلى الجبهة قط ، لذلك لم يتمكنوا من تفهم نفسية الجنود الذين قاتلوا وأصيبوا ودفعوا ضريبة الدم .

ومن جملة ما لاحظته ان الحالة الروحية إجمالاً لم تكن مرضية . فاليهود كانوا يشغلون معظم الوظائف المدنية ، والحياة الاقتصادية أصبحت معلقة بيدي اليهود الذين بدأوا بامتصاص دم الشعب الألماني بأسلوبيهم الناعم ، فقد وجد اليهود ان حصر الانتاج الحربي هو الأداة الأساسية لضرب الاقتصاد القومي ، وهكذا كان ، إذ لم يأت شتاء ١٩١٧ حتى أصبح الانتاج الحربي بأمره خاضعاً للرسماء اليهودية .

وكان الشعب الألماني ، في هذه الأثناء ، يغذي الأحقاد في صدره . فقد كانت الدعايات تحرض الناس على معاداة البروسيين ، بينما بقيت السلطات على الحياد من هذه الدعايات ، مع العلم انه لو انهارت بروسيا فهذا لن يدعم موقف بافاريا ، بل على العكس فإن سقوط أحدهما سيؤدي إلى سقوط الاثنى معاً . وكان اليهود ، كمعادتهم ، وراء هذه الدسائس ، فقد شغلوا بروسيا وبافاريا بالخلافات ،

بينما راحوا يمتصون دماء الشعب وموارد رزقه . وبينما كان البافاريون يشتمون بروسيا ، كان اليهود يهيمون الثورة فيقوضون دعائم بروسيا وبافاريا معاً .
لم اعد أحتمل هذه الحالة ، لذلك قررت العودة إلى الجبهة ، وغادرت ميونيخ في آذار عام ١٩١٧ . وقد لاحظت ارتفاع معنويات الجيش الألماني ، فقد انعش الأمل في نفسه انهيار المقاومة في روسيا ، وانهازم الايطاليين في خريف عام ١٩١٧ ، فشدد هذا من عزائمهم وزاد من ثقتهم بانفسهم ، ومر الشتاء عام ١٩١٨ هادئاً ، ولكن الهدوء الذي يسبق العاصفة .

فبينما كانت استعدادات الجيش الألماني قائمة على قدم وساق ، استعداداً للهجوم الكبير في الربيع المقبل ، حدثت المفاجأة الغير منتظرة ... فقد لجأ أعداء الأمة إلى طريقة بدت لهم انها ستوقف هجوم الربيع المنتظر .
فقد هبوا لاضراب عمال مصانع الذخيرة ...

قدروا أن الاضراب سيترتب عليه شل حركة الجيش في هجومه المنتظر ، مما سيدفع بالحلفاء إلى الهجوم وفتح ثغرات عديدة في الجبهة الألمانية . وبذلك يتفادى أعداء ألمانيا الهزيمة ، وتسيطر الرساميل الدولية على ألمانيا وتبلغ الماركسية الحداثة هدفها الرئيسي .

لكن هذا الاضراب المصطنع لم يعط النتائج التي أرادها الأعداء ، لأن الاضراب لم يستمر إلا وقتاً قصيراً ولم تفتقر الجبهة إلى الذخيرة . إلا أن الاضرار المعنوية كانت كبيرة . فقد بدأ الجنود يفكرون كيف يمكنهم القتال ولأجل من يقاتلون ، طالما أن بلادهم تضرب لتمنع عنهم الذخيرة ؟
ولكن ما كان صدى هذا الاضراب عند اليهود ؟

في شتاء عام ١٩١٨ خيم التشاؤم على صفوف الحلفاء . فمنذ أربع سنوات والجيوش الحليفة تهاجم العملاق الألماني بدون طائل ، مع العلم أن الجيش الألماني كان يحارب على ثلاث جبهات . أما الآن وبعد أن قضى على الحليف الروسي واطمئن إلى موخرته ، تفرغ نهائياً لمنازلة اعدائه الباقين . وبذلك أصبح من المتوقع أن يبدأ الجيش الألماني بشن هجومه الكبير .

ساد الصمت الرهيب على طول الجبهة، وكف العدو عن ثروته في إيهام الرأي العام عن انهزام المانيا .

لقد مرت ثلاث سنوات وجنودنا يقارعون العملاق الروسي وكان الرأي السائد في عواصم الدول الحليفة أن النصر سيكون للعملاق الروسي الذي كان يتميز بالتفوق العددي .

بعد معركة تاننبرغ بدأت قوافل الأسرى من الروس تصل إلى المانيا ، ولكن كثرة عدد الروس بدت كأنها لن تنفد ، فكل جيش نسحقه كنا نجد مكانه جيشاً آخرأ يحمل محله . ولكن الجبار الروسي سقط ، ولم يبق أمامنا إلا الهجوم الصاعق بعد توحد شطري جيشنا الباسل .

لقد كان الحلفاء في موقف حرج . فبينما كانوا يقفون بانتظار مصيرهم المحتوم ، وبينما كانت القيادة الألمانية تستعد لإصدار تعليماتها للهجوم ، أعلن الاضراب العام في المانيا . وتنفس العدو الصعداء ، وبدأت دعاياته تنصب على رفع معنويات جيوشهم . محاولة إقناعهم أن مصير الحرب لن يقرره الهجوم الألماني ، بل النصر سيكون حليف الذي يثبت للنهية .

*

كان لي شرف المشاركة في الهجوم الأول والهجوم الأخير ، ولن يمكنني نسيان تلك التظاهرات الحماسية التي رافقت انتقالنا من الدفاع إلى الهجوم ، فعادت كتائبنا المظفرة تهز الويتها وتشد أناشيدها ، متأكدة أن النصر سيكون حليفها في الغرب كما كان لها في الشرق .

لكن القدر كان يعد مفاجأة لشعبنا . ففي الصيف من عام ١٩١٨ ، ظهرت علامات الإعياء في الجبهة ، بينما بدأ الشقاق يدب بين صفوف المواطنين في المؤخرة ، ولم تلبث الأخبار والاشاعات أن وصلت إلى الجبهة ، فمن قائل ان الشعب يرفض القتال ومن قائل أن النصر قد افلتت من يد المانيا ، وان الرأسماليين والقيصر غليوم هم أصحاب المصلحة في استمرار الحرب .

في ليل ١٤ تشرين الأول من العام نفسه انصبت المدافع الانكليزية على

خطوطنا بامطار من قنابل الغاز المعروف باسم « الغاز ذي الصليب الأصفر » ومن مميزات ان المرء لا يشعر بوجوده كي يتجنبه . وكانت فرقتنا تعمل على الجبهة جنوب نهر « الايبر » عندما فوجئنا بالغاز ، وفي الليل بدأ نقل المصابين إلى المؤخرة وكنت واحداً منهم فنقلت إلى مستشفى « باسفلك » حيث شاء سوء حظي ان اشهد هناك الثورة .

لم تكن الثورة مفاجئة لكثيرين منا ، فقد كان منتظراً نشوبها بين يوم وآخر . وفي تشرين الثاني عام ١٩١٨ انطلقت الشرارة الأولى فوصل ذات صباح جمهور من رجال البحرية في كمبونات للجيش وبدأوا يحرضون الشعب على التظاهر ، تحت راية العمل من اجل حرية شعبنا وكرامته ، وقد لاحظت ان زعماء هذه الحركة كانوا من الشبان اليهود الذين لم يسبق لهم ان حملوا السلاح .

امتدت العدوى إلى ميونيخ ، وكنت لا أزال اعتبرها ثورة ضيقة النطاق يقوم بها نفر من رجال البحرية . لكن الأيام أظهرت لي أن الثورة قد تفاقمت وعمت البلاد ، حتى أنها وصلت إلى الجبهة حيث بدأت الاشاعات عن إلقاء السلاح .

وحدث أن جاء إلى المستشفى أحد رجال الدين ليلقي فينا موعظة ، ومنه علمت كل شيء . فقد كان يتكلم بصوت متهدج ويقول أن آل هوهنزولرن قد فقدوا حقهم بالعرش ، وان المانيا قد بدلت النظام الملكي بالنظام الجمهوري ، ودعانا إلى الصلاة للنظام الجديد ، ثم اخبرنا أن بلادنا خسرت الحرب ، واصبحنا الآن تحت رحمة العدو ، وعلينا أن نقبل بالأمر الواقع ونستسلم للشروط المفروضة دون أن نقنط من رحمة العدو وتساحه .

عندما وصل القسيس إلى هذا الحد ، لم اتمالك نفسي فخرجت من الغرفة أتلس طريقي إلى السرير حيث ارتقيت عليه ودفنت رأسي تحت الغطاء . لقد خسرننا كل شيء وأكثر من ذلك خسرننا مليوني شهيد قتلوا في ساحة الشرف .

كيف سنبرر موقفنا للأجيال المقبلة؟ وكيف سنكتب غداً تاريخ هذا الحدث؟ ان الذين تسببوا في وقوع الكارثة ، ولطخوا بالعار تاريخ شعبنا المجيد ، قد

جنوا على هذا الشعب دون أن يشعروا .

إن الحقديغلي في صدري على أولئك الذين سببوا الكارثة . ومرت الأيام وأيقنت ان الاعتماد على سخاء العدو هو تسامحه ونوع من الجنون بل هو الخيانة بالذات .

قررت الاشتغال بالسياسة واضعاً أمامي إنقاذ ألمانيا من عدوين : الماركسية واليهودية . إن غليوم الثاني كان أول امبراطور ألماني مديده إلى الماركسيين الذين صافحوه وبيدهم الأخرى يخفون الخنجر المسموم ...



الفصل السابع

نشاطي السياسي

في شهر تشرين الثاني عام ١٩١٨ رجعت إلى ميونيخ لكي أنضم إلى البقية الباقية من أفراد فيلقي في الاستبداد ، وقد وجدت الفيلق تحت عهدة « المجلس العسكري » الذي سرعان ما برمت به وبأساليبه ، فانتقلت إلى « ثروتشتين » مع صديقي ارنست شميت ، ولم أعد إلى ميونيخ بعد ذلك إلا عام ١٩١٩ . كانت الحالة في المدينة غير مستقرة ، فبعد وفاة « إيرنز » سادت الدكتاتورية السوفياتية وخفت سيطرة اليهود الذين بذروا بذرة الثورة .

لم تمنعني الحوادث الجارية من الجهر بآرائي ، مما حدا بالسوفييت المركزي في ميونيخ على وضع اسمي في اللائحة السوداء ، لائحة اعداء الثورة . وقد اضطررت إلى شهر السلاح في وجه ثلاثة رجال جاؤوا لاعتقالي ، فعادوا من حيث أتوا ولم يعاودوا الكرة .

بعد إنقاذ ميونيخ انتخبت عضواً في لجنة التحقيق في حوادث العصيان والثورة التي شطرت فيلق المشاة الثاني إلى قسمين . ثم تلقيت أمراً بمتابعة دروس خاصة في التنشئة الوطنية التي كانت تلقى على أفراد القوى المسلحة . وهناك تعرفت إلى رفاق كثيرين يوافقوني الرأي عن الحالة السياسية وكانوا جميعهم مقتنعين أن الذين ارتكبوا جريمة تشرين الثاني لن يتمكنوا من إنقاذ ألمانيا ، أما بالنسبة للأحزاب البورجوازية القومية فهي عاجزة عن إصلاح ما أفسده المفسدون .

وقمنا بوضع الخطوط الأولى لتأليف حزب جديد. يقوم على مبادئ، تقديمية . وقدقررنا أن نعطي الحزب اسماً يروق للجماهير الشعبية كي تلتحق فيه ، فسميناه « الحزب الاجتماعي الثوري » باعتبار المبادئ الاجتماعية لحزبنا الجديد كانت ذات طابع تقدمي ثوري . وقد كان هناك سبباً هاماً دفعني على اختيار هذا الاسم ، ذلك ان اهتمامي بالمسألة الاقتصادية لم يتح لي دراسة المشاكل الاجتماعية، فلما تعمقت بدراساتي اتضح لي أن سياسة المحالفات الألمانية كانت نتيجة لتقدير خاطيء لأسس الحياة الاقتصادية . كما اتضح لي أن معرفة المسؤولين عن رأس المال كانت ضعيفة وسطحية . فما هو رأس المال ؟

انه نتيجة العمل ، وهو غير ثابت لأنه خاضع كالعمل نفسه إلى العوامل المؤاتية لنشاط البشر أو المعركة لها . وعلى هذا تبقى أهمية رأس المال مرتبطة بقوة الدولة وحريتها . فتوجيه رأس المال تملية مصلحة حرية الدولة واستقلالها يحره بالتالي إلى خدمة حرية الدولة وعظمتها . وبذلك يجب على الدولة إبقاء رأس المال خاضعاً لها بدلاً من أن تتركه يطغي على الأمة . وهذا لا يتم إلا إذا أصبح الاقتصاد القومي مستقلاً ، وأصبحت حقوق العامل الاجتماعية مضمونة . لم يكن هناك فرق كبير بين رأس المال الذي هو ثمرة العمل المنتج ، وبين رأس المال الذي يقوم على المضاربات . وكان الفضل يعود إلى الأستاذ فيدرالذي لفت نظري الى أهمية رأس المال الذي وجدت فيه الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه الحزب الجديد .

كان الأستاذ فيدر يشدد على ضرورة التمييز بين رأس المال الدولي الخاضع لسياسة المضاربات ، ورأس المال المرتبط بالاقتصاد الشعبي . وقد حاول النقاد إيجاد ثغرات في نظريته لكنهم اعترفوا أخيراً بصحتها ولكن لم يثقوا بإمكانية تطبيقها عملياً .

إن ما ظهر للنقادين ضعيفاً في نظرية الأستاذ فيدر ، يشكل بنظري موطناً للقوة . إذ ان ما يجب على صاحب مشروع ما ان يهتم به كغاية قبل الواسطة . وبالتالي ينبغي على من يضع مشروعاً لحركة ما ، ان يحدد الغاية منها ، أما تحقيق هذه الغاية فيسلم إلى رجل السياسة . فتتجلى عظمة الأول في صحة نظرياته

وآرائه ، وتظهر عظمة الآخر في تقديره للأمور ومعالجته لها واستخدامها على ضوء التشريعات التي حددها رجل الفكر .

إن فكرة مثالية ذات أهداف كبيرة لا يمكن تحقيقها بالطرق والوسائل البشرية المعروفة كما صورها عقل صاحبها . لذلك لا يجوز أن نقيس عظمة صاحبها بمقدار ما تحقق من فكرته ، ولكن بمدى تأثير هذه الفكرة في تقدم البشرية . أما إذا افترضنا أن نجاح الفكرة نجاحاً كلياً هو المقياس لعظمة موجدتها ، فإننا لن نجد مكاناً بين العظماء لمؤسسي الأديان السماوية ، لأن تطبيق تعاليمهم الروحية بشكل عملي هو من الأمور المستحيلة . وإنما أهميته تقوم على الفكرة الموجهة التي أراد مؤسسها أن يوصل الاخلاق والعادات البشرية .

وهذا الفرق الكبير بين مؤسس الفكرة وبين رجل السياسة يجعل من النادر جداً أن يجتمع كلاهما في شخص واحد . وهذا ينطبق على رجال السياسة العاديين الذين مارسوا نشاطهم ضمن نطاق الممكن . وقد أشار بسمارك إلى هؤلاء عندما حدد السياسة بقوله انها « فن العمل في حدود الممكن » .

من المؤسف ان نرى مشاريع رجال السياسة البعيدة عن الأفكار السامية والواضحة ، تصادف نجاحاً كبيراً وبوقت قصير لكن هذه المشاريع تكون قصيرة الأجل ، فإنها تموت بموت صاحبها فهي لا تعود بأي نفع على الأجيال المقبلة لان نجاحها يقوم على إهمال المشاريع البناءة البعيدة الاثر ، ومن الغريب أن نرى أن متابعة هذا النوع من الاهداف السامية لا يرى تشجيعاً من جانب المواطنين فهم يهتمون بالزعماء الذين يؤمنون لهم بطاقات الحليب والبيرة وطعامهم اليومي ، تاركين الذين يفكرون بالمشاريع البعيدة الهدف التي لا يستفيد منها إلا الاجيال القادمة .

لهذه الاسباب نرى معظم رجال السياسة ينصرفون عن المشاريع ذات الهدف البعيد ، حرصاً منهم على ترضية جمهورهم الذي يهيمه الوقت الحاضر .

*

لقد ادركت على ضوء نظريات الاستاذ « فيدر » أن جهودنا يجب أن توجه

ضد فكرة رأس المال الدولي ، وقد اثبتت الحوادث صحة هذا الرأي ، فحق نوابغ السياسة البورجوازيين في هذه الايام أدركوا مدى خطورة رأس المال الدولي ، فهو لم يكتف بإثارة الحرب العالمية ، بل جعل من السلم جحيماً لا يطاق . ولم يبق شخص مخلص واحد إلا وادرك ان محاربة رأس المال المعد للقروض أصبح واجباً وطنياً لإنقاذ الامة وإنقاذ حريتها واقتصادها .

فإلى الذين يتخوفون من هذا الاتجاه ، اطمئنهم أن غاوفهم ليست في محلها ، فقد جربت ألمانيا عدة تجارب اقتصادية على غير طائل . وذكروني تحفظ هؤلاء بتلك الآراء السخيفة التي طلع بها مؤتمر الأطباء البافاريين عندما تناودوا ضد مشروع إنشاء السكك الحديدية ، وكانت حجتهم أن المسافرين سيصابون بالدوار وكذلك السكان الذين سيمر بهم القطار ، وأوصى المؤتمر بإقامة حواجز من الخشب أو غيره يحول دون رؤية الجمهور للقطار وهو يمر بسرعة كي لا يؤثر هذا المشهد على أعصابهم .

فنصيحتي للذين يريدون التطور التدريجي أن يدعوا هذا العمل لغيرهم من المخلصين الذين يقدمون لعرفنا وشعبنا أسباب النمو ، بحيث يمكنه أن يغذي ابنائه ويحفظ دمه نقياً .

عدت إلى دراسة نظريات اليهودي كارل ماركس ، فتوضعت لي هذه المرة أهداف رأس المال كما حدده هو ، وتبينت بوضوح ما تهدف إليه الاشتراكية الديمقراطية من جراء محاربتها للاقتصاد القومي ، فهي تهدف إلى تسخير مالية البلاد واقتصادياتها لخدمة وسيطرة الرأسمال اليهودي وقد اشتركت في عدة مناقشات حول هذا الموضوع . وفي أحد الايام وقف احدهم ليدافع عن اليهود والماركسية بشكل لفت نظر المستمعين ، وقد رددت عليه بشكل عنيف مقنع مما حمل الكثيرين على تبني وجهة نظري .

بعد أيام ألحقت بإحدى الثكنات العسكرية في ميونيخ بصفة مربى عسكري . بدأت مهمتي الجديدة بحماس شديد ، مع أن روح الانصباط كانت ضعيفة فكان علي أن أدرب الجنود على التفكير قومياً ووطنياً مما فتح أمامي فرصة

صقل موهبتي في الخطابة والتحدث في حفل كبير ، وسرعان ما أصبحت محدثاً بارعاً وخطيباً قوي الصوت .

لقد تكلمت جهودى بالنجاح ، فتمكنت من إعادة مئات من الجنود ضحايا الماركسية ، إلى فكرة الوطن والشعب ، كما تمكنت من إعادة الانضباط إلى عهده السابق .

وخلال هذه الفترة تعرفت إلى رفاق تمكنت وإياهم فيما بعد من وضع أسس الحركة الجديدة .

*

الفصل الثامن

حزب الفلاح الالماني

وصلني في احد الايام الامر من رؤسائي ان أتعرف الى حقيقة منظمة جديدة سياسية المظهر تدعى « حزب الفلاح الالماني » وكان من المقرر ان يعقد هذا الحزب اجتماعاً يلقي فيه الاستاذ فيدر خطاباً هاماً .

لقد اعترفت الثورة للجيش بحقه بالاشتغال بالسياسة ، وقد استهوت هذه الخطوة الجديدة التي خاضها دون ان يكون مهياً لها . ولم تلبث أحزاب الوسط ، والحزب الاشتراكي الديمقراطي ان سمعت الى إعاداته الى عزلته السابقة مجردينه من حق الاقتراع وحق العمل في الحقل السياسي . وكان السبب هو أن الجيش قد ابتعد عن الاحزاب اليسارية واتجه نحو الحركة القومية والانعاش القومي .

لقد أراد اليساريون بالاشتراك مع حكومة تشرين الثاني ، ان يبقوا على حالة الحزبي والعار ، فقد كان الجيش يسلك طريق الخلاص ، خلاص الامة من الذين كانوا يمتصون دمها خدمة للحلفاء . والأغرب من ذلك ان الاحزاب القومية قد ساعدتهم لإبعاد الجيش عن السياسة مفوتين حتى حركة الانعاش القومي فرصة الاستفادة من أداة فعالة للانعاش ...

والظاهر أن هذه البورجوازية العقيمة قد تبعت الماركسيين وحلفاءهم ، ظناً منها ان إعادة الجيش الى عزلته السابقة ستكون درعاً قوياً للوطن ، مع ان هدف الماركسيين هو منع الجيش من مناصرة الاحزاب ذات النزعة القومية ،

ومنع نهوض العسكريين بالبلاد للمسترد مكانتها السابقة .
أبرزت هذا الموضوع بسبب صدور الأمر إليّ للسمي لمعرفة حقيقة الحركة الجديدة ، أي حركة حزب الفلاح الألماني . وقد حرصت على حضور الاجتماع المقرر كي أسمع وأدون الملاحظات التي تمكنني من وضع التقرير .
عندما وصلت إلى حانة « سترنكر » في ميونيخ ، وجدت أن الاجتماع لم يكن يحوي إلا عشرين رجلاً ينتمي معظمهم إلى الطبقة الكادحة . أما محاضرة « فيدر » فكانت عبارة عن إعادة لأقواله السابقة ، لذلك حصرت اهتمامي بمراقبة المستمعين اليه . وقد تنبأت قبل دخولي الاجتماع أن الحزب الجديد لن يكون مختلفاً عن بقية الأحزاب التي نشأت مباشرة بعد الكارثة . وكان رأيي في محله . فقد كانت ألمانيا في فترة من الارتباك وكان كل ألماني يعتقد أنه هو المنقذ الوحيد للشعب من الفوضى التي كان يتخبط فيها . فكانت الأحزاب تقوم وتختفي دون أية ضجة ، لأنها كانت تقوم على أسس واهية ضعيفة .
و حين هممت بالخروج ، سمعت المشرف على الاجتماع يقدم « أستاذاً » لم أعد أذكر اسمه يريد مناقشة آراء فيدر وينقض حججه . وبدأ الأستاذ خطابه بأن أوصى الحزب الجديد بوجوب العمل على فصل بافاريا عن بروسيا ، وشدد على أهمية هذا العمل مدعياً أن النمسا الألمانية ستلتزم إلى بافاريا بعد الانفصال . فاستفزني بكلامه واندفعت لأرد عليه وأفحمه ، ولكنه لم يلبث أن انسحب يجر أذيال الخيبة قبل الانتهاء من كلمتي . وقد بقي معظم الأعضاء يصفون إلى كلمتي باهتمام كبير ، وصافحني معظمهم مهتماً . وقبل أن أغادر المكان قدم لي أحدهم كراساً وطلب مني أن أقرأه . فقبلت الكراس لأنه سيوفر علي مشقة الحضور إلى اجتماعات الحزب لمعرفة حقيقة مراميه ...

وفي غرفتي في السكنة جلست أطالع صفحات الكراس ، وقد حسبته ميثاق الحزب الجديد ، فإذا هو عبارة عن اعتراف عامل ألماني ربما كان الرجل الذي أعطاني الكراس ، يسرد فيه ببساطة عما دعاه « يقظتي السياسية » . وسرعان ما شعرت بالاهتمام فانكسبت على مطالعته بشغف لأن الكاتب قد مرّ بالمراحل

التي سبق لي أن مررت بها ، وتطورت نفسيته كما تطورت نفسيتي ، فقد التحق الرجل في الحركة النقابية وضحي في سبيلها ، ولكنه أدرك أن الماركسية هي عدوة الوطن وعدوة الفضائل والقيم ؛ وان الألماني الصميم هو الذي يضع مصلحة الأمة فوق جميع المصالح ...

بعد اسبوعين واصلتني في البريد رسالة تعلمني أنني قد أصبحت عضواً في حزب الفلاح الألماني ، وتدعوني إلى حضور اجتماع اللجنة .

في الموعد المحدد ذهبت إلى نزل روزنباه ، مكان الاجتماع ، بعد أن ترددت كثيراً في الذهاب . فأدخلت إلى قاعة فسيحة في وسطها طاولة يجلس حولها أربعة شبان ، عرفت منهم صاحب الكراس الذي صافحني وقدمني إلى رفاقه ، ثم دعيت إلى الجلوس . بعد دقائق وصل رئيس الحزب فعرفت أنه هو الذي ترأس الاجتماع في الحانة . وقبل الابتداء علمت أن الرئيس الأعلى يدعى هاربردان وان رئيس فرع ميونيخ يدعى انطوان دركسلر .

تلي محضر الاجتماع السابق ، ثم تكلم أمين الصندوق وقال ان مجموع ما في الصندوق هو سبعة ماركات ونصف ، وأنه يأمل أن يتضاعف المبلغ في وقت قريب ... وقبل الانتقال إلى جدول الأعمال تلا الرئيس ثلاث رسائل أعدها جواباً على رسائل جاءته من برلين وكيبيل ودوسلدورف ، ثم تلا ثلاث رسائل جديدة وصلت من المدن الثلاث ، فأبدى المجتمعون اهتماماً بالغاً لتبادل الرسائل لأن هذا يعتبر دليلاً على نمو الحزب وانتشاره .

بعد ذلك وصل المجتمعون إلى جدول الأعمال ، وبدأوا بحث مسألة المرشحين للدخول في الحزب . فسألني الرئيس : هل أنت مصمم على أن تتعاون معنا في حزب الفلاح الألماني ؟ فلم أجبه على السؤال بل بدأت أسأله عن حزبه وعن مبادئه وأهدافه وأساسه الفلسفية وطريقته في العمل . ولكن الأجوبة كانت مبهمه غامضة . ففهمت بعد جهد أن الحزب يعمل وليس لديه من أساليب الأحزاب المنظمة سوى الرغبة الأكيدة في العمل . وقد ظهرت لي الإرادة الحسنة بعد أن اعترف لي الرئيس والاعضاء انهم لم يضعوا منهجاً واضحاً للحزب . ولكن

غاية الحزب هي النهوض بألمانيا واعادة أمجادها السابقة .

لقد أدرك هؤلاء الشباب أن وطنهم يقف على حافة الهاوية وان الاحزاب الموجودة ليست مؤهلة لانقاذه ، فعمدوا النيه على إنشاء الحزب لدعم التفكير في الداخل ، ومحاولة تحرير ألمانيا من ذل العبودية . والخلاصه كانت حسن النية السبب الوحيد المبرر لوجوده .

عندما رجعت الى الثكنة وجدت نفسي في حالة من القلق النفسي فهل انضم الى الحزب الجديد أم لا ؟ فكان تفكيري وعقلي ينصحاني بعدم الانضمام اليه ، وكانت عاطفتي تشدني الى حزب الفلاح الالماني الجديد ...

بعد صراع مع نفسي دام اسبوعين قررت الانضمام الى الحزب الجديد ، فقد كان الحزب بحاجة ماسة الى شخص يخطط له طريق العمل ويقوده نحو أهدافه السامية ، وان انضمامي اليه وهو لا يزال في أول الطريق يمكنني بالتالي من تلقيحه بالمبادئ التي اؤمن بها . ولكن هل أنا مؤهل لذلك ؟

لقد كنت على مفترق الطريق لأخرج من دائرة المواطنين المغمورين وان افتقاري الى الشهرة لن يمنعي من تقدم الصفوف وقيادة الحركات السياسية في البلاد التي كانت تفص بالقادة والزعماء . أما تحصيلي فيمكن زيادته بانكبابي على الدرس والمطالعة دون حاجة الى الشهادات العالية . لذلك يجب علي ان أحزم رأيي وأنضم الى الحزب ...

وهكذا أصبحت عضواً مؤقتاً في حزب الفلاح الالماني أحمل الرقم ٧ .

*

الفصل التاسع

أسباب الانهيار

إن مقياس عمق سقطة جسم ما تقاس بالمسافة بين مكان سقطته والمكان الذي سقط منه ، وهذه النظرية يمكن تطبيقها على سقوط الشعوب والدول ... لقد كان سقوط الامبراطورية من ارتفاع شاهق ، فكان الانهيار هائلا ، فالامبراطورية لم تبنى على ثروة البرلمانيين ، بل على سواعد جنودها واعمالهم البطولية الخارقة . ففي الحرب السبعينية وبينما كانت المدافع تقصف باريس ، اختمرت فكرة تأسيس الامبراطورية وجعل الناج الامبراطوري من جديد رمزا للوحدة المقدسة .

لقد نشأت دولة بسمارك على سواعد جنودنا في ساحات القتال وأحيطت ولادتها الامبراطورية بهالة من المجد التاريخي ، وعندما بدأت تتساقط درج التقدم ، أيقن العالم أنها ستبلغ ذروة المجد ... وينعم شعبها بالحرية والطمأنينة والبحبوحة .

من هذه القمة العالية سقطت الامبراطورية .. وانتاب الذهول شعبها فباتوا عاجزين عن تكوين فكرة صحيحة عما كانت عليه بلادهم قبيل انهيارها ، فكيف يمكنهم أن يلمسوا العوامل التي أدت إلى هذا الانهيار .

ما أقل الذين شعروا بأعراض الاغلال ، فالذين كشفوا موطن الداء حاولوا علاجه ، لكن المخلصين منهم خلطوا بين أعراض المرض وعلمته . فاليوم نعتبر

أن ضعف الجهاز الاقتصادي، هو السبب المنطقي للهزيمة ، فالمثقفين يعتبرون ان الهزيمة كانت هزيمة اقتصادية قبل أن تكون عسكرية. لذلك يحاولون بناء الأمة على أساس اقتصادي سليم .. لكن العامل الاقتصادي يأتي في المرتبة الثانية لأن أهم سبب أدى إلى الانهيار هو عامل السياسة والمعنويات وعامل الدم . وانطلاقاً من هذه الحقيقة يمكننا تشخيص المرض وإيجاد الدواء الشافي .

ان من الأقوال المنتشرة لتعليل انهيار الامبراطورية : «يجب علينا ان نتحمل نتائج الحرب ، أي الأزمة التي نعانينا من جراء الحرب الخاسرة» . وبلا شك هناك من يأخذ بهذا التعليل عن حسن نية .. ولكن هناك من يتعمد تضليل الناس بهذا التعليل ، فنجد قسماً كبيراً من هؤلاء الخبثاء في أوساط الحكومة بالذات .

لم ينس المواطنون عتاب دعاة الثورة من ماركسيين ويهود على الشعب لأنه لم يلجأ إلى العصيان حين كانت الحرب في بدايتها ليفوت على الرأسمالين لذة النصر وفوائده. ألم يؤكد هؤلاء الخونة على وجوب القضاء على الروح العسكرية البروسية ، لأن هذا باعتقادهم هو الضمان الوحيد للاستقرار وللحرية ؟ أما بعد الكارثة فقد رأيناهم يلقون تبعة الانهزام على الجيش . وفي نفس الوقت يعللوا متاعب البلاد ومشاكلها الخائفة إلى هزيمة الجيش العسكرية ...

لا أنكر أن تأثير الهزيمة كان سيئاً على مستقبلنا ، ولكن هذه الهزيمة لم تكن عاملاً مسبباً، بل كانت نتيجة عوامل أخرى يعرفها الخونة الذين يتجاهلوننا اليوم ، لأن الهزيمة كانت نتيجة تأمرهم ودسائسهم . ولم تكن الهزيمة كما يدعون بسبب سوء تصرف القيادة العامة . فالكل يعلم اننا جابهنا جيوشاً تفوقنا بالعدد والعتاد ومع ذلك انتصرنا عليها طوال أربع سنوات ، بفضل قيادةتنا العسكرية الحكيمة .

ان المحنة الحالية لم يسببها تداعي الجبهة ، بل كانت نتيجة لجرائم اقترفها الذين جعلوا من الجيش كبش الغداء في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات المطالبة بتحدد المسؤوليات ومحاكمة المسؤولين . متى كانت الهزيمة العسكرية تسبب

انهياراً كاملاً للدولة والأمة ؟ ومتى كانت خسارة الحرب تحتم هلاك الشعب ؟
ان الشعب الذي يصل إلى هذا الدرك هو شعب فاسد وجبان ونذل . أما
الشعب الذي يتمتع بمعنويات وفضائل سليمة فإن خسارة الحرب تصبح بالنسبة
له كالدواء المقوي ليدفع به إلى الأمام .

كانت الهزيمة العسكرية قصاصاً أنزلته بنا العدالة السماوية . وهي تشكل
ظاهرة ملموسة تتم عن وجود التشقق والتصدع الذي تعانيه الشعب عن رؤية
عوارضه ، وقد افترض امره وظهر للعيان بصورته البشعة بالطريقة التي تقبل بها
شعبنا الألماني الهزيمة الشنعاء .

ألم يتلق الماركسيون واليهود ومن لف حولهم نبأ الهزيمة بالفرح والابتهاج ؟
ألم نسمع تشدق البعض بأنهم أصحاب الفضل في هذا الانهيار ، وان العدو لم يفعل
سوى الاجهاز علينا ؟ ألم يحمل فريق منا المانيا تبعة الحرب وما سببته من
ويلات ؟ لقد تقبل الشعب الألماني نبأ الهزيمة بطريقة لا تشرفه ، وبذلك يكون
قد استحق القصاص الذي أنزل به . فلو كانت الأقدار مسؤولة عن الهزيمة لما
وجد بيننا من يبتهج للمحنة ، ولما تشدق المتشدقون بأنهم أصحاب الفضل في
إضعاف الجبهة ، ولما راح الماركسيون يكرسون الهزيمة ويهينوا الجيش المهزوم
ويدوسوا الأعلام بأرجلهم . ولما كان لضابط إنكليزي أن يقول : « بين كل ثلاثة
ألمان تجد واحداً خائناً » .

إن الهزيمة التي لحقت بنا كانت نتيجة الداء الذي أصاب الأمة في زمن
السلم ، فقضى على مناعتها وأضعف معنوياتها وشل منها غريزة حب البقاء .
لكن اليهود وأتباعهم الماركسيين الذين ينفذوا لهم خططهم أرادوا أن يحددوا
المسؤوليات ويحصروها ويلقوا بتبعة الهزيمة على شخص واحد هو لودندورف ...
هذا القائد الفذ الذي عمل جاهداً ليجنب الأمة الانهيار الكامل .

لقد جردوه من سلاحه المعنوي الوحيد الذي يستطيع أن يشهره في وجه
الخنونة ، لأن « التهم » لا يصلح كشاهد إثبات يوم يأتي يوم الحساب ويصار إلى
تحديد المسؤوليات ...

فالماركسيون وأساتذتهم اليهود عندما أطلقوا كذبتهم الجديدة، كانوا يعلمون أن الشعب لن يتبين ما وراء هذه اللعبة ، وهذا كاف لخلق جو من البلبلة يحول الانظار عن المسؤولين الحقيقيين ... ان اتقان الكذب هو فن يجيده اليهود ، لأن كيانه من أساسه يقوم على كذبة ضخمة ألا وهي زعمهم أنهم طائفة دينية، مع أنهم في الواقع جنس وأي جنس ؟
لقد وصف شوبنهاور اليهود بأنهم أساتذة عظام في فن الكذب . ولا شك أن الرجل لم يظلمهم ...

عندما بدأ ازدياد عدد السكان يشكل خطراً على ألمانيا ، اهتم المسؤولون بمسألة تأمين القوات اليومية للمواطنين ، فبدلاً من أن ينشدوا الخبز مثلاً من اوروبا بالذات بسياسة التوسع ، اعتمدوا سياسة غزو العالم اقتصادياً . فترتب على هذه السياسة توسع في الانتاج . وكان من نتيجة هذا التوسع ، انخفاض مستوى الفلاحين ، وازدياد عدد العمال في المدن الكبرى بشكل كبير أدى إلى اختلال التوازن بين عنصري الأمة المجيدين . وانقسمت الأمة إلى قسمين : الأغنياء والفقراء . وقد لفت هذا الانقسام نظر الماركسيين إلى ضرورة استغلال الضائقة المسيطرة على العمال ، واستطاعوا بالتالي أن يوسعوا الهوة بين الطبقات .

في الوقت الذي أصبح الاقتصاد فيه كالعمود الفقري للدولة ، ارتكبت غلطة فظيعة ، فقد شجع الامبراطور غليوم النبلاء إلى الانصراف للشؤون المالية . فاستهوت الصفقات المالية الضخمة النبلاء ، فانصرفوا عن الاهتمام بالمعارك الحربية ، وبدأت المؤامرات تحاك من الداخل والخارج ، بينما ظل النبلاء الذين كانوا اخدام الامبراطورية وحراسها في شاغل عنها لأن المال أخرجهم من مركزهم النبيل وجعلهم عبيداً لليهود في حقل الصفقات المالية .

وكان من مظاهر انحلال الاقتصاد القومي ، اختفاء الثروة العامة أو الدخل الفردي بسبب الاحتكارات الدولية ودسائس الماركسيين . وقد حاولت الصناعة الثقيلة مقاومة هذه الظاهرة لكن الماركسيين وقفوا بوجه محاولاتها هذه خاصة وان ثورتهم نجحت عدة ، الهزيمة العسكرية ، فاستطاع أعداء الوطن أن

يدولوا الاقتصاد الألماني . وكان انتقال الخطوط الحديدية من ملكية الدولة إلى ملكية حاملي الأسهم أول نجاح لهم في هذا الحقل .
ولما تم لليهود والماركسيين تقويض الاقتصاد القومي ، وقفوا بعد انتهاء الحرب يزعمون أن الاقتصاد سينهض بالبلاد وينعشها من جديد . وقد تبنى هذه المزاعم الذين قدر لهم أن يكونوا في سدة الحكم .

*

من أعراض التفسخ التي ظهرت على الدولة الألمانية قبيل الحرب انعدام الحزم والشجاعة الأدبية التي كانت من شيم آباءنا وأجدادنا ، وحل محلها التراخي والميوعة والتردد والتزلف . ولا شك أن مناهج التربية كانت المسؤولة عن هذا التفسخ الخلقي لأنها أهملت تقوية شخصية الفرد وكانت هذه النقائص والعيوب تظهر بشكل واضح في مسلك رجالتنا تجاه الامبراطور . فكانوا يتقبلون كل شيء يقوله لهم ويعتبرونه مقدساً ، ولم يكن بينهم رجلاً واحداً لديه من الشجاعة بأن يقول له لا . . فهذا التزلف هو الذي أوصلنا إلى هذا الدرك .
ان الذين يحيطون بالعرش ويستأثرون بعطايا صاحبه ويتظاهروا بالولاء له ويدعوا أنفسهم ملكيين ، هم الذين ينقمون عليه بعد أن تحل به كارثة ما ، فنجدهم أول المطالبين بالاقتصاص منه . فهل يرجى من هؤلاء المتزلفين أن يفتدوا ولي نعمتهم بأرواحهم ؟

إن المخلص الحقيقي للعرش هو الذي يقدم النصح لجلالته ويلفت نظره إلى مواطن الزلل فينهيه عنها بحكمته وبعد نظره .

فمن تزلف الساسة إلى سوء التربية المدنية تولد مركب النقص في عند أوساط المهتمين بالشؤون العامة ، فصاروا يتهبون من تحمل المسؤولية ويخافون الاقدام حيث تدعو الحاجة لذلك . وقد ساهم النظام البرلماني على تقوية نزعة التهرب من المسؤولية ، فقامت في البلاد حكومات ضعيفة لم تتمكن من معالجة المشاكل المسيطرة .

وقد لعبت الصحافة دوراً بارزاً في إبعاد التربية المدنية عن أهدافها السامية .

فالصحافة هي مدرسة الشعب ومهمتها توجيه الرأي العام . أما قراء الصحف فكانوا ثلاثة أقسام :

١ - الذين يصدقون جميع ما تنشره الصحف .

٢ - الذين لا يصدقون شيئاً مما تنشره الصحف .

٣ - الذين يفكرون بما يقرأون .

فالقسم الأول من القراء هم الأغلبية الساحقة ، وهم الفئة الغير متعلمة من الشعب التي تعتمد على طبقة المثقفين بالتفكير وإعطاءهم الخلاصة ، باعتقادهم أن **الذي** يقرأ ويفكر ويدون آراءه لا بد أن يكون مدركاً إدراكاً تاماً للأمور . إن هذه الفئة التي لا تفكر هي فريسة سهلة للصحافة التي تعتمد تضليل الشعب بحجة تنويره .

والقسم الثاني يضم بعض العناصر من القسم الأول ، انتقلت مع مرور الأيام من الايمان المطلق الى الشك المطلق فأصبحت لا تصدق شيئاً من ما تكتبه الصحف . وهذا الفريق لا يصلح لأي عمل ايجابي .

أما القسم الثالث فيضم عدداً محدوداً من المواطنين المؤهلين لان يفكروا تفكيراً صحيحاً فيميزوا بين الصالح والطالح . ولكنهم مع الاسف لا شأن لهم أو تأثير في مقدرات البلاد .

فالأكثريّة الجاهلة هي التي تتحكم بالبلاد وذلك بفضل ما يدعى بنظام الاقتراع العام ، وهذه الاكثريّة أرسلت الى البرلمان رجالاً مغمورين جعلت منهم الدعايات الصحفية نجوماً لامعة . وقد رأينا هؤلاء الممثلين للأمة يحشون جيوبهم بالمال بينما كان شبابنا يضحي بأرواحه في ساحات القتال .

أليس من واجب الدولة أن تراقب الصحافة نظراً لتأثيرها القوي على الجمهور . ان حرية الصحافة شيء جميل ، ولكن هذه الحرية تصبح عاملاً من عوامل الفساد اذا لم تمارس حريتها في الحدود التي ترسمها مصلحة الدولة والامة ...

ان الموقف المخزي الذي وقفته الصحافة قبل الحرب لا يمكننا نسيانه .

وقد شددت الصحافة اليسارية إلى وجوب إنقاذ السلام بأي ثمن ، بينما كانت الدول المعادية جادة في إعداد عدة الحرب . ألم تدعو صحافتنا الى الديمقراطية الغربية وتمجدها وتطالب بتقوية شخصية الفرد وتدعو الى اضعاف الدولة ؟ ألم تسهم في محاربة تقاليد شعبنا العريق مزينة له الانغماس في الملذات التي أضعفت مناعته الخلقية ؟ ألم تحارب الصحافة مشروع التجنيد الاجباري ، وتحريض النواب على عدم منح الاعتمادات للجيش ، بينما كانت رائحة الحرب تنتشر في الأجواء ؟ ألم تكن مهمة الصحافة الماركسية الكاذبة اضعاف الشعب اجتماعياً وقومياً ليسهل إخضاعه للرسميل الدولية ولليهود أسياد الماركسية ؟

ماذا أعدت الدولة لدفع الخطر عن الأمة ؟

ان الدولة لم تفعل شيئاً يذكر ، مع أن معاول المفسدين من اليهود كانت تعمل في هدم صرح الدولة فقضوا على حيويتها وأخضعوا اقتصادها لرقابة أجنبية ... نعم لم تفعل الدولة شيئاً حيال الصحافة الماركسية اليهودية التي كانت تخدر الاعصاب بالدعاية للسلام فتشل حيوية الأمة بالدعاية الاباحية الرذيلة . ولم يكن تفاضي الدولة يرجع الى جهلها لخطر هذه الدعايات وضررها بقدر ما كان هذا راجعاً الى جبن المسؤولين واحجامهم عن التصدي لها .

لا بد لنا من القول ان اليهود قد اعتمدوا طرقاً بارعة تبعد عنهم الشبهات ، فبينما كانت صحفهم الماركسية تمنع في تسميم أفكار الشعب وتعمل على استفزاز الطبقات بعضها ضد بعض ، كانت صحافتهم البورجوازية الديمقراطية تعالج القضايا بأسلوب رصين هادئ . ذلك أن اليهود كانوا يعلمون أن العقول الفارغة تحكم على المظاهر ، هذه العقول التي اتخذت بنعومة الشعب المختار وميوله المسالمة ، لن تأخذه بحريرة الآخرين ، لعجزها عن كشف اللعبة المزدوجة . فقد كانت مثلاً صحيفه « لاغازيت دو فرانكفورت » نموذجاً للاعتدال اليهودي . وشعارها باعتماد المنطق ونبد العنف أكبر دليل على رصانتها واعتدالها . حتى أنها كانت تسدي النصح الى الزميلات النازيات بوجوب وقف الحملات العنيفة ، وبنفس الوقت كانت تدافع عنها باسم الحريه ، حريه

التعبير عن الرأي حين تلجأ السلطات الى استعمال حقها في محاكمة الصحافيين وتعطيل صحفهم .

وكانت السلطات تعفي عنهم كي لا تفضب الصحافة الطبية ، فتعود الى نفث سمومها من جديد في جسم الدولة الآخذ بالانحلال . وهكذا نجد أن تفسخ الامبراطورية يرجع الى الاهمال باتخاذ التدابير الكفيلة بصيانتها ، والانهيار الخارجي كان نتيجة حتمية للانحلال الداخلي ...

ان الشواهد على ضعف الحكومة الألمانية كثيرة ، فبعد أن اغفلت أمر اليهود والماركسيين وتقاest عن الاضطلاع بالمهام المنوطة بها ، رأيناها تقف حيال الأمراض مكتوفة الأيدي ، فتفشى داء الزهري وداء السل بين المواطنين تفسياً هائلاً بسبب سوء التغذية ، ووقف الشعب والحكومة من داء الزهري موقف من لا يستطيع شيئاً . وقد حاولت الحكومة مكافحة المرض بحصر الداء أولاً ولكنها أغفلت مسببات المرض وهو البغاء الذي ما ان ينتشر في بلد ما الا ويكون مصير الشعب الفناء إذ أن البغاء يعني تحويل الحب والعلاقات الجسدية إلى صفقات تجارية ، وانتشار البغاء يعني تراخي العلاقات والروابط التي تجمع بين المحبين ، فتسود الاباحية ويكثر اللقطاء وابناء الزنى . ويكفي أن نلقي نظرة على أبناء النبلاء والبورجوازيين لنفهم خطورة الخطوة التي خطتها أمتنا نحو الانهيار .. فقد انتقلت عدوى هذا الداء الويل اليهم عن طريق علاقاتهم الجنسية مع الموظفات اليهوديات في المحلات التجارية والأندية ، وكانت النتيجة أولاداً ضعفاء مشوهين .

فبدلاً من أن تتخذ الحكومة الاجراءات الكفيلة بالقضاء على البغاء ، هذه التجارة اليهودية الرابحة ، عمدت إلى تشجيع المؤتمرات الطبية لدرس هذه الظاهرة الخطيرة .

إن القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة تتطلب خطوات عملية وجريئة . فالزواج المبكر في مقدمة الأسباب التي تحد من انتشار البغاء . فالزواج يهدف إلى غاية سامية : هي حفظ النوع والجنس ، ومن حسنات الزواج المبكر أنه يعطي الأمة

أولاداً أقوياء البنية ، فيجب على الدولة قبل أن تشجع هذه الخطوة ، أن تعتمد إلى تأمين المستوى الاجتماعي اللائق للمواطنين .

أما الخطوة التالية فيجب ان تعتمد الدولة إلى تغيير مناهج التربية والتعليم ، ففي نظامنا الحالي لا نجد اهتماماً بالرياضة البدنية التي لمس آباؤنا أهميتها في تنشئة جيل قوي روحياً وجسدياً ، فالعقل السليم هو في الجسم السليم . ففي الفترة التي سبقت نشوب الحرب عمدت الدولة إلى رعاية العقل الذي يدعم نهضة الأمة . فلما انتشرت البلشفية في لأوساط التي لا تملك المناعة الخلقية ، تبين أن هذه المبادئ ما كانت لتلقى رواجاً لو القيم إلى عقول سليمة في أجسام سليمة . ان عدم اهتمامنا بالتربية البدنية قد فتح الطريق أمام النزوات والغرائز الجنسية ، فالشباب الذي يمارس الالعاب الرياضية يصبح أكثر قوة ومقدرة على كبح جماح غرائزه الجنسية ، فالنظام التربوي يجب أن يتعهد العقل والجسد معاً بالإضافة إلى الاخلاق . كذلك يجب القضاء على مظاهر الخلاعة التي تشير الفرائز الجنسية وذلك بتطهير الحضارة الألمانية تطهيراً كاملاً يشمل المسرح والفن والسينما والصحافة ، فصحة شعبنا تتطلب محافظتنا أيضاً على عرقنا ولو على حساب الحرية الفردية التي يتشدد بها اليهود المسؤولون أولاً وآخرأ عن الإباحية .

ان التدابير السابقة ليست كافية ، اذا تم تنفيذها ، للقضاء على داء الزهري قضاء مبرماً . بل هناك تدابير أخرى يجب اتخاذها على نطاق واسع وحاسم . أليس إجراماً بحق الأمة والعرق أن نترك المصابين بالزهري الذين لا أمل في إنقاذهم أن يمارسوا العلاقات الجنسية ، وبذلك ينقلوا العدوى إلى الأصحاء ؟ ألا يعادل هذا التسامح الشعور الانساني السخيف الذي يجعلنا نسمح بهلاك مئة شخص لندفع الاساءة عن واحد ؟

إن منع المصابين بالزهري ، الذين لا أمل في شفاءهم ، من ممارسة العلاقات الجنسية هو إجراء إنساني حكيم يهدف إلى التضحية ببعض في سبيل المجموع . ولكن يجب أن يكون المنع أكثر جدوى ، أي بعزل المصاب والقضاء على طاقته التناسلية . ان هذا الاجراء الذي يبدو وحشياً كقيل بانقاذ الأجيال المقبلة

وصون حيوية الأمة ...

* * *

من أعراض الانحلال التي بدت على الامبراطورية قبل الحرب تدهور المستوى الثقافي بفعل المؤثرات الغريبة ، لا سيما تلك التي كانت خاضعة لتوجيهات اليهود. فمئذ ابتداء القرن العشرين طرأ تحول كبير على الفن أبعدته عن القواعد المدرسية وأخضعه لأهواء قلة من المنحرفين فكرياً . فقد قام الفنانون اليهود والبلاشفة بفكرة التجديد والابتكار وذلك بالخط من قدر التراث الالماني الفكري والهزء بمقدسات الأمة ، فقد هزئوا من شيلر وغوته وشوبنهور وهيفل وغيرهم . لقد أرادوا أن يقطعوا كل صلة بين الماضي والحاضر ، فجعلوا من الادب الرخيص والفن الإباحي بضاعة سهلة التداول ، فامتلأت واجهات المكتبات وجدران المتاحف بإنتاج هزيل لا أثر فيه للفكر أو الفن .

ولم يكتف اليهود بهذا ، فشنوا الحملات على الدين ورجالهم بحجة تقديس حرية المعتقدات . وقد قاموا بترجمة المؤلفات الاجنبية التي لا يجوز ان توضع بين ايدي المثقفين ، فكيف بعامية الشعب ، اما رجال الكنائس فكانوا منصرفين عن هذه الاعمال التخريبية داخل البلاد ، للتسابق الى هدي زنوج افريقيا ، هذا التسابق الذي لم يؤد الى اية نتيجة بالنسبة الى النتائج الباهرة التي حققها الاسلام هناك ...

لقد ترك رجال الكنيستين نعاجهم الى الذئاب ، وكانت النتيجة تزعزع الايمان وتقلص شأن الوازع الديني ...

★ ★

وفي الحقل السياسي تجلّى التفكك والانحلال ، فالحكومات كانت ترتجل مشروعاتها في الداخل والخارج دون ان ترسم اهدافاً معينة . ولعل المسؤولين قد اتخذوا من كلمة بسمارك شعاراً لهم . ألم يقل المستشار الحديدي ان السياسة هي « فن العمل في حدود الممكن » ؟ ولكن هذا لا يعني ان السياسة هي تخبط وارتجال . ولكن مستشاري هذه الايام قد اعتبروا هذا القول تحريراً لهم من

قيود المبادئ والأهداف .

لقد أدرك المخلصون ، قبل نشوب الحرب ببضع سنوات ، ان أضعف جهاز في الدولة هو البرلمان او الريشستاغ ، مع انه أريد بهذه المؤسسة تقوية الصرح لا إضعافه . ففي هذه المؤسسة يجتمع الجبن والتهرب من المسؤولية ، وتكثر الثورات الفارغة ... فالبرلمان هو المسؤول عن انعدام الانسجام في سياسة الدولة ، كذلك عدم الاستقرار والارتجال ، فهذه كانت من العوامل الرئيسية التي أدت الى انهيار الامبراطورية . فكل خطوة خطتها الحكومة وجاءت ناقصة كانت نتيجة لإهمال البرلمان ان لم نقل لحيائته ..

ان سياسة المحالفات كانت مرتجلة وضعيفة . وسياستنا حيال بولونيا كانت ضعيفة ومرتبلة . فقد أثرت هذه القضية اكثر من مرة دون ان نتمكن من معالجتها معالجة جديّة وفعالة ، فجاءت النتيجة التي اردناها انتصاراً للجرمانية أو تفاهاً مع بولونيا ، جاءت لتباعد بيننا وبين روسيا .. وكانت الحلول التي قدمناها لمسألة الألزاس واللوزين غير مجدية . فعوضاً عن ان نسحق الفرنسيين بضربة واحدة ، ونعطي للألزاس الحقوق الممنوحة لباقي دويلات الرايخ ، رحنا نتودد الى الفرنسيين متجاهلين أماني الألزاسيين . كل ذلك لأن في أحزابنا السياسية أكبر الحونة المارقين .

وكانت الضحية الكبرى للسياسة المترددة الحائرة ، الأداة الوحيدة التي يتوقف عليها مصير الامبراطورية : الجيش .

لقد رأينا الاحزاب البرلمانية تجرد الأمة من سلاحها المعد للدفاع عن كيانها وحريتها وتأمين خبزها ولو قام أبطال سهول الفلاندر من قبورهم لاتهموا أعضاء البرلمان بالخيانة لدفعهم بمئات الألوف إلى أشدات الموت جنوداً غير مدربين . ذلك انه بينما كانت اليهودية العالمية تهاجم « الروح العسكرية الألمانية » في صحافتها الماركسية والديمقراطية ، محاولة أن تلقي بمسؤولية الحرب على المانيا ولو سلفاً ، كانت الاحزاب الماركسية والديمقراطية عندنا تقف في البرلمان ضد تدريب القوى الشعبية .

لم يقتصر الإهمال على الجيش البري فحسب ، بل تعداه الى الاسطول ، الذي لم ينل ما يكفي من العناية والاهتمام . مع ان القادة قد ادرکوا منذ عام ١٩٠٤ ان انكلترا الدولة البحرية الاولى ستقف ضدنا ايام الحرب .. لذلك كان علينا ان نجعل من القوة البحرية سلاحاً ضخماً وقوياً . فبينما كانت المصانع الانكليزية تصنع السفن الضخمة كانت مصانعنا تلتج سفناً صغيرة غير صالحة . وقد رأينا ان زيادة سرعة السفن الالمانية كانت تتم على حساب تصفيحها ، وكان المسؤولون يعززون انفسهم بأن المدافع الالمانية من عيار ٢٨ توازي مدافع السفن الانكليزية من عيار ٣٠ ، مع ان المهم هو التفوق لا مجاراة العدو ، وكان بإمكانهم تزويد السفن بمدافع من عيار ٣٠ .

وقد تركت القيادة البحرية المبادرة للعدو عندما عمدت الى جعل سفنها صالحة للاغراض الدفاعية . وهكذا قدمت النصر للعدو على طبق من فضة ، لأن النصر لا يتحقق إلا بالهجوم لا بالدفاع . وفي معركة سكاغرا كان النصر حليف الاسطول الانكليزي . فلو كان للسفن الالمانية حمولة سفن العدو وسلاحها وسرعتها لكان النصر حليفها بفضل المدافع من عيار ٢٨ . وقد كان على القيادة الالمانية ان تحذو حذو زميلتها اليابانية ، فقد جابهت اليابان في بور ارثور كل سفينة روسية بسفينة تفوقها سرعة وحمولة وسلاحاً .

لقد حرصت الحكومة والقيادة على التقيد بتوجيهات البرلمان وآرائه ، بل سمحت للبرلمانيين بالتدخل في الشؤون العسكرية وفي تعيين القواد وتحديد حمولة السفن وسرعتها . وقد تدارك الجيش أمره وعزل نفسه عن التيارات البرلمانية المضادة لمصلحة الوطن ، وكان لودندورف أول من قاد الحملة ضد سياسة التقدير في الاتفاق على التسليح . ولئن عجز لودندورف عن إحراز النصر ، فالذنب يقع على البرلمان وعلى المستشار الضعيف هولوبنغ .

كان الجيش في طليعة المؤسسات التي توحى بالثقة والطمأنينة رغمًا عن الضعف والانحلال الباديين على الدولة . فهو الدعامة المتينة للبنيان الصامد ، ولا بد أن ينصب عليه حقد الحاقدين ودسائس الدسائين من الاعداء في الخارج وفي الداخل .

وعندما اجتمع المتآمرون الدوليون في فرساي ، اختلفوا على اشياء كثيرة ولكنهم اجمعوا على وجوب تصفية الجيش الالماني لأنه سياج الوطن وعنوان مجده . فلولا الجيش لما تردد العدو في تطبيق احكام معاهدة فرساي التي تعني القضاء على شعبنا قضاء تاماً . فنحن مدينين للجيش بكل شيء .

نعم كان الجيش يحسد معنى المسؤولية ، فهو مدرسة الأمة الالمانية وقوتها المعنوية الهائلة . ومع ان هناك من يجهل هذه الحقيقة او يتجاهلها ، لكن العالم الخارجي قد أدركها وبنى سياسته على أساسها .

هناك دعامة اخرى الى جانب الجيش ، هي هيئة الموظفين ، فقد كانت ألمانيا أرقى البلدان تنظيمياً وإدارة ، فالموظف كان مثلاً للدقة والتجرد .

وكان يحلو للحساد أن يعيبوا على الموظف الالماني جهله إدارة المشاريع التجارية ، لكن نجاح الدولة في استثمار السكك الحديدية قد برهن عن قدرته . ومن ميزات جهاز الادارة الالمانية انه كان متمتعاً بالاستقلال التام عن الحكومات ، فكان لا يتأثر الموظف بتغيير الوزارات ونزعاتها السياسية . ولكن وضع الموظف اليوم أصبح قلقاً غير مستقر ، فالوظائف الآن ليست وقفاً للاكفاء ، فالجمهورية تريد أن تفسح المجال لأنصارها ، وكل حزب يريد ان يخص أعضائه وأنصاره بالوظائف الحساسة ...

أما الرشوة في دوائر الدولة فكانت متفشية تفشي اليهود ، فالرشوة واليهود صنوان لا يفترقان ...

*

كان جهاز الادارة السليم يرتكز على النظام الملكي والعسكري وعليها تركزت الامبراطورية الجبارة ، ومنها كانت تستمد الامبراطورية قوتها وهيبتها فتأمر سلطة الدولة ممارسة فعلية .

ان سلطة الدولة لا تقوم إلا على الثقة بالذين يمسون بدفة الحكم ، وهذه الثقة هي وليدة الاقتناع بوطنية السلطات وتجربتها ، كما تكون وليدة الارتياح العام الى نظم الحكم وشرائعه والمبادئ التي يسترشد بها .

والآن بعد أن أوضحت للقارئ ان الامبراطورية كانت تقوم على ثلاث دعائم قوية ، أصبح من حقه ان يتساءل كيف كان الانهيار ؟ وهل كانت عوامل التفسخ والانحلال قوية لدرجة انها جرفت عوامل الاستقرار التي كانت تجعل من ألمانيا دولة مثالية ؟

إن عوامل التفسخ والانحلال لم تكن لتقوى على الإطاحة بالامبراطورية ، ولكن هناك عاملاً رئيسياً انضم إليها ، وهذا العامل الهام هو عدم الاهتمام لمسألة الأجناس وأثرها في نمو الشعوب .

لقد تساءلت كيف تمكن أجدادنا من التغلب على الهزيمة ونتائجها ؟ وهل نحن غير جديرين بالأبجاد التي تركها لنا الاجداد ؟ وهل الدم الذي يجري في عروقنا غير الدم الذي كان يجري في عروقهم ؟

ومن هنا كان اقتناعي ان جيلنا قد تلقى هذه الكارثة لأنه لم يكن يتحلى بفضائل الاجداد ، ان تحوله عن الطريق الذي رسمها له تاريخ الأمة الالمانية المجيد ليس وليد الصدف ، بل هو نتيجة حتمية للنهج الذي اعتمده في سعيه لحفظ النوع واستمرار الجنس . وسنرى في الفصل القادم كيف ان الاختلاط في التناسل لا يكون في مصلحة العرق المتفوق . فالدم الآري الذي كان يجري في عروق أجدادنا كان صافياً . فهل يمكننا التأكد بأن ما يجري في عروقنا نحن هو دم آري صرف ؟؟

يجد القارئ الجواب لو دقق النظر في حالة المانيا قبل الحرب ، وتتبع تطور الأحداث الداخلية . ألم يكن غريباً ان يزداد عدد النواب الماركسيين بعد كل انتخاب . وان يجدد الشعب الالمانى الولاية لمن عمل على إضعاف الجيش والاسطول ، وهل من المعقول أن يضافح الشعب الالمانى اليد التي عملت على إذلاله ؟ ومتى كان الالمانى ، الالمانى الحقيقي يضحي بمصلحة وطنه في سبيل مبدأ هوائي كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود والماركسيين ؟

إن انتفاضة الشعب عام ١٩١٤ قد حملته اليها غريزة حب البقاء ، لأن سموم الماركسية قد شلت إرادته ، فقام ليحابه أعداءه وهو ضعيف الايمان بالنصر

فانهزم ، ولكنه استيقظ وقضى على مفعول المخدر . وجاءت الثورة لتقطع الطريق على عناصر البعث والنهضة . فلم يبق إلا العمل على هامش العهد الجديد ، وأن تضع الأسس السليمة التي يجب أن تقوم عليها الدولة الجديدة . الدولة الجرمانية حيث يسود العنصر المتفوق ، ولا يفسح مجال النشاط البناء إلا للآريين الحقيقيين .

ولن يكون لليهودي وصفيه الماركسي أي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد ...



هتلر والاجناس

الفصل العاشر

الشعب والعرق

هناك حقائق واضحة تطوف حولنا في كل مكان ، ونمر بها نحن دون ان نلاحظها او ربما ابصرناها ولكن لا نعرفها . هكذا نرى البشر يتزهون في الطبيعة متوهمين انهم يعلمون كل شيء عنها ، ولكنهم يتصرفون كأنهم عميان تجاه مبدأ واضح تقدمه لهم الطبيعة ، هو وجود اكثر من طابع مميز بين الأنواع التي تدخل فيها الكائنات الحية في عملية التناسل ، فالحيوان الذكر يبحث عن انثى من نوعه : ان البلبل يبحث عن انثاء وكذلك الفأر والأسد وغيرهم والانحراف عن هذه القاعدة يكون شذوذاً لا يمكن اعتباره ، وهو يكون في الغالب إما نتيجة العزلة الجبرية والأسر ، او نتيجة عائق محول دون ممارسة العلاقات الجنسية بين الذكر والانثى المنتمين إلى نوع واحد . لكن الطبيعة لا تسكت على هذا الشذوذ ، فتقطع نسل الاجناس المتخالطة او تحدد هذا النسل الى الحد الأقصى . وفي معظم الحالات تجردها من القدرة على مقاومة الأمراض .

ليس في هذا ما يدعو إلى العجب ، فالنزواج بين كائنين متفاوتي القيمة هو تحد لارادة الطبيعة التي تسعى إلى رفع مستوى الكائنات وهذا لا يتحقق إلا

بانتصار من اختارتهم الطبيعة ، فالقوي مدعو للسيطرة على الضعيف ، وإذا لم يحافظ البشر على هذا النظام الاساسي فان تطور الكائنات المنظمة سيصاب بنكسة خطيرة .

والطبيعة اذ تحرص على بقاء الاعراق او الاجناس لا تحافظ على الاشكال الخارجية لكل منها فحسب ، بل تحافظ ايضاً على الطابع المميز لها . فالثعلب هو دائماً الثعلب وهكذا النمر والهر وغيره . أما الفرق الذي يمكن ان نلاحظه بين الافراد المنتمين الى عرق واحد هو في التفاوت بين مواهب كل منهم وقابليته الطبيعية للكفاح . ولكننا لا نجد ثعلباً يعامل الدجاجة معاملة انسانية مثلاً ... ولا الهرة يمكنها ان تكون صديقة مع الفأرة ...

ان الصراع القائم بين الاجناس مبغضه الجوع والحب قبل ان يكون مبغضه الكراهية المتبادلة . أما الطبيعة فتراقب هذا الصراع وترتاح اليه ، لان الكفاح من أجل البقاء أو الطعام يؤدي بالنهاية الى مصرع كل كائن ضعيف أو غير جدير بالحياة . وكذلك كفاح الذكر للوصول الى الانثى ، فلا يجوز ان يتمتع بحق خلق حياة جديدة الا الافراد الاصحاء . ولكن الكفاح يبقى الطريقة المثالية لتقوية صحة الجسم وطاقة النوع على تحمل الصعاب ، ويظل بالتالي الشرط الاساسي لتقدم البشر وتطورهم .

أما اذا اغفلنا هذا المبدأ ، فلا يلبث البشر ان يعودوا القهقري . إذ ان الصفوة ستضطر للتراجع امام الكثرة التي تطفئ بعددها على الجودة والصفوة ، فاذا تساوت امكانيات البشر في التوالد تفوق غير الاكفاء على الاكفاء . ومن الواجب التدخل من اجل الصفوة . فتدخل الطبيعة بوضع الشروط القاسية امام الضعفاء لكي تحفف من عددهم ، ولا تسمح بالتناسل إلا لمن تختارهم من بين الاصحاء والاقوياء .

والطبيعة التي تأبى على الاقوياء والضعفاء ان يتزاوجوا ، فهي ايضاً تحارب اختلاط الاعراق ، لأن هذا سيعود بالبشرية الى الوراء ، فالتاريخ يقدم إلينا أدلة عديدة على صحة هذه النظرية . فمثلاً ان امتزاج الدم الآري بدم شعوب

وضيعة قد أدى الى خراب الشعب ذي الرسالة التمديدية ، فاميركا الشمالية التي يتألف سكانها من العناصر الجرمانية بأكثريتها لم تتأزج بالشعوب الملونة إلا بمقدار قليل ، لذلك نرى ان حضارتها تختلف اختلافاً كلياً عن حضارة اميركا الجنوبية ، حيث اختلط سكانها اللاتين بالسكان المحليين دون تحفظ . وهكذا نرى ان الجرمانى الذي حافظ على نقاء دمه اصبح سيد القارة الامريكية ، وسيظل على ذلك ما دام محافظاً على طابعه المميز . وخلاصة القول ان الاختلاط بين الاجناس يؤدي الى تدني مستوى الجنس المتفوق ، والى تأخر روحي ومادي يؤدي في نهايته الى التفكك والانحلال .

فالاختلاط هو تحد لارادة الخالق ، وتحدياً لمنطق الطبيعة . ولا بد ان يعترض اليهود على هذا النظام بقولهم السخيف ان الانسان قادر على قهر الطبيعة . فهذه السخافة يرددها الكثيرون الذين سهى عن باهم ان الانسان لم يقهر الطبيعة ، ولكنه اكتشف قسماً ضئيلاً من اسرارها الخالدة . والانسان لم يخترع شيئاً قط . لكنه اكتشف بعض الاسرار الطبيعية المنعزلة التي مكنته من السيطرة على كائنات حية لم توفق الى ما توفق إليه .

ان الاختراعات والعلوم والفنون التي تثير اعجابنا هي بالحقيقة ثمرة نشاط خلاق لشعوب معدودة ربما كانت في الأصل من عرق واحد . فعلى شعوب كهذه يتوقف استمرار الحضارة ، واذا اصابها الانحلال والتفكك فإن كل شيء حققته سيهوي معها الى الهاوية . فالحضارات الكبرى التي انهارت في الماضي كانت بسبب سريان الدم الفاسد في عرقها الخلاق . ان الحضارة هي من صنع الانسان ، وليس الانسان من صنع الحضارة ، لذلك فالحفاظ على الحضارة يتطلب لحفاظ على الانسان ، وهذا يرتبط بحق الاصلح والاقوى في البقاء والتفوق والسيادة .

فعلى من يرغب في الحياة ان يكافح ، ولا مكان في عالمنا لمن يهرب من الكفاح .

لربما بدا هذا الامر شاقاً ، ولكن اشق منه المحاولة لقهر الطبيعة واهانتها .

اما رد الطبيعة على من يحاولون ذلك فهو رد قاس ولا يرحم ، انها تنزل بهم ضرباتها السبع ...

كل محاولة لمعرفة العرق هي مضیعة للوقت والجهد ، فالاعراق هي التي اوجدت الحضارة وأسست بالتالي ما ندعوه الحضارة البشرية .
ان الآريين قد أسسوا في الماضي حضارة بشرية متفوقة ولذلك فهم يمثلون النموذج البدائي لما نسميه «الانسان» . فكل ما نراه من الحضارات البشرية يعود بأصله الى ثمرة النشاط الآري الخلاق . فقد كان الآري ولم يزل حامل المشعل الإلهي الذي ينير الطريق امام البشر ، فشرارة العبقرية الإلهية انطلقت من جبينه المشرق ، وهو الذي فتح دروب المعرفة امام الانسان ليجعل منه سيد الكائنات الحية على هذه الارض . فاذا توارى الآري سيسود الظلام ، وتنهار الحضارة البشرية في بضعة قرون ..

اما اذا صنفنا البشر الى ثلاث فئات : الفئة الاولى التي خلقت الحضارة ، والثانية التي حافظت عليها ، والثالثة التي قوضت دعائمها ، فإننا نجد ان الآري هو الممثل الوحيد للفئة الاولى ، فهو الذي وضع حجر الاساس ، ووضع تصميم ما حققه التقدم البشري ، وقد تولى التنفيذ كل عرق على طريقته الخاصة واصبحت المظاهر الخارجية تعرف بطابع المنفذين لها .

لنأخذ مثلاً على ذلك . فالشرق الآسيوي يمكن له بعد عشرات السنين ان يدعي لنفسه حضارة وضع اسسها الفكر الإغريقي والتكنيك الألماني ، وليس لها من الوحي الآسيوي الا المظهر الخارجي او الطابع . ومن الاوهام الشائعة ان اليابانيين يضيفون الى حضارتهم الخاصة التكنيك الأوروبي ، فالعلم والتكنيك الأوروبي متحداً تماماً ليؤلف الحضارة اليابانية ، واساس الحياة لم يبق الحضارة اليابانية الاصلية ، بل اصبح اساسها نتاج العلم والتكنيك الأوروبي والأميركي ، اي بكلام ثان ثمرة مجهود الشعوب الآرية . فاذا تقلص تأثير أميركا وأوروبا في اليابان ، فلا تلبث ان تتغلب على معالم الحضارة خصائص الشعب

الياباني فتعود الى نومها العميق الذي ايقظتها منذ الحضارة الآرية منذ سبعين عاماً .

يمكننا القول ان الحضارة اليابانية قد حركتها ايضاً تأثيرات اجنبية ، والجواب على ذلك ان الحضارة لم تلبث ان عادت الى سباتها العميق . وهذا يعود الى تقلص التأثيرات الخارجية التي دفعت بالحضارة المتخلفة الى الامام . لذلك يمكننا القول ان الشعب الذي تلقى الحضارة من اعراق غريبة ، ثم عاد الى خموله السابق بعد ان زالت تلك التأثيرات ، يكون هذا الشعب قد استودع الحضارة لكنه لم يوجدها .

واذا قمنا بدرس حاله الشعوب على ضوء هذه النظرية يتبين لنا ان الحضارة التي تلقتها تلك الشعوب انما اخذتها من الصفوة ولم تؤسس لنفسها حضارة خاصة بها .

اما الفكرة التي يمكن تكوينها عن تطور هذه الشعوب فهي : هناك شعوب آرية ضئيلة العدد تسيطر على شعوب اجنبية فتعمل على تنمية مواهبها الخلاقة بفضل ما في متناولها من البقاع التي استولت عليها . ولا تمر بضعة قرون حتى تخلق هذه الشعوب حضارات خاصة بها تتلاءم واسلوبها في الحياة ومع خصائص تلك البقاع وروحية سكانه . ولكن لا يلبث هؤلاء ان يختلطوا بالسكان الاصليين ويمتزجوا ، فينقلب هذا الاختلاط ، وبالأعلى عليهم لأنهم لم يحافظوا على نقاء دمهم المتفوق . ذلك ان ذوبان الدم الفاتح بدم الشعب الخاضع للسيطرة يؤدي الى فقدان المادة التي تحترق منها الشعلة التي اثارته السبيل امام الحضارة البشرية المتقدمة . هذه لمحة سريعة عن مراحل تطور الشعوب التي لم توجد الحضارة ، بل تلقتها واستفادت منها ..

ان المواهب الخلاقة عند الشعوب تحتاج الى الفرصة المناسبة لتبرز إلى حيز الوجود . كذلك العبقرية والنبوغ عند الافراد والشعوب فهي لا تظهر إلا بعد ان تتوفر لها شروط معينة ، والآريون اصدق دليل على ذلك ، فما ان يضعهم القدر في مواجهه ظروف خاصة حتى تنمو مواهبهم نمواً سريعاً فتبهر العالم

بانتاجها المدهش . أما الحضارات التي يخلقونها فتكون خاضعة لمقتضيات الارض والمناخ والسكان المحليين . فالمواطنون الاصليون لهم شأنهم في الموضوع ، لان بناء الحضارة في ارض لا تزال على الفطرة يحتاج إلى اليد العاملة التي تقوم مكان الالة . ولا يمكن للآري ان يضع الاسس الأولى ما لم يستخدم الشعوب الوضيعة في بناء الاساس الحضاري . فالانسان استعان بالحيوانات في اعماله المختلفة طوال الاف السنين ، فاستخدامه للخيل مثلاً حدا به في المستقبل الى وضع الأسس التكنيكية التي اوجدت السيارة .

ان تأسيس الحضارات كان يتطلب استخدام الاعراق المنحطة التي قامت مقام الموارد المادية . وقد اعتمدت الحضارات البشرية الاولى على استخدام الاقوام الوضيعة قبل ان تعتمد على استخدام الحيوانات . فقد بدأ الفاتحون في وضع المغلوب على امرهم امام السكة ، الى ان حل الثور محل الانسان فيما بعد . فالحيوان لم يسخر لخدمة الحضارة او الانسان المتحضر الا بعد استعباد المتفوقين لمن هم ادنى منهم ...

وقد يجد بعض دعاة السلم ان في هذا المخطط للبشر لكن تطور البشر يبدأ بارتقاء السلم من الدرجة الموازية للارض ثم الى الدرجات التي تعلوها ، ولا يمكن الوصول الى الاعالي الا بعد الابتداء من الاسفل . فالآري قد سلك الطريق الذي رسمه له الواقع ، لا الطريق الذي يحلم به دعاة السلم اليوم .

ان الآري حين وجد شعوباً منحطة بالنسبة له ، سيطر عليها وجعلها الالة التكنيكية الأولى في بناء الحضارة البشرية ، هذا الآري الذي اخضع الاعراق وسير نشاطها حسب اهدافه ، قد عمل بنفس الوقت على تحسين وضعها ورفع مستواها . وقد كان عليه ان يحافظ على اوضاعه بصفته السيد المطاع ليلقى المهيمن على تلك الحضارة التي انشأها وانماها ، لان بقاءها وازدهارها متعلق ببقائه هو . ولكنه لم يعرف كيف يحافظ على وضعه . فما ان تحسن مستوى السكان الاصليين حتى اغفل الآري امر الحفاظ على دمه نقياً ، فانهار الحاجز بين السيد والعبد ففقد مواهبه الخلاقة واصبح كالسكان الاصليين شكلاً وتفكيراً

فاضمحل وتفكك ولفت عجلة الزمن الحضارة التي اوجدها .
هكذا تنهار اخسارات والامبراطوريات ، تاركة لغيرها ان يحاول من
جديد فتدني الاعراق هو نتيجة الاختلاط بشعوب اقل مستوى منها .
فالحروب الخاسرة لا يترتب عليها فناء شعب ما ، انما يؤدي الى هذه النتيجة
زاول قوة المقاومة التي هي من خصائص الدم النقي .

*

ان وراء كل حدث تاريخي ، تقف غريزة حب البقاء وحفظ النوع . فالشكل
الخاص الذي تتجلى به غريزة حب البقاء عند الآري هي السبب الحقيقي لتفوقه .
إذ ان الرغبة في البقاء والحياة غريزة موجودة لدى كل البشر ، أما الفرق فنجده
في التطبيق حيث تختلف طريقة الانتفاضات كما تختلف اساليبها .
فغريزة حب البقاء لدى الانسان البدائي تكن في الحفاظ على ذاته : فقد كان
الانسان كالحوان يعيش لنفسه ويهتم بتدبير غذائه كلما شعر بالجوع ، ويدراً
الخطر عن نفسه كل ما شعر به . وقد اتسع تفكيره بعد ان شاركته في حياته
المرأة فاصبح يهتم بحمايتها وتأمين الغذاء لها ، ثم راح الاثنان معاً يهتمان بإيجاد
الغذاء لاولادها . وهكذا بدأت تظهر روح التضحية ، فلما تجاوزت حدود العائلة
توفر الشرط الاساسي لانشاء مجتمعات اوسع نطاقاً .

ان اتساع المجتمعات نراه واضحاً في البلدان الاخذة بالرقى والحضارة أي
الدول . وعلى العكس بقيت الاجناس الوضيعة في نطاقها الضيق أي القبيلة ،
لان روح التضحية عند هذه الاجناس لم تنمو نمواً كافياً . ولكن روح التضحية
نمت عند الآري الذي لم تقم عظمتة على الفكر والمواهب فحسب بل تعدتها الى
البذل والتضحية بذاته في سبيل المجموع . فالتضحية هي الشرط الاساسي لكل
حضارة بشرية حقيقية ، فالتضحية خلق المبدعون للاجيال المقبلة الخيرات
الكثيرة . فقد قاسوا الحرمان ليؤمنوا الأسس القوية للمجاعة ، فيكونوا قد امنوا
لها سبب البقاء والكينونة .

*

ليس في هذا العالم من شعب نمت فيه غريزة حب البقاء ، كالشعب الذي يسمى نفسه « الشعب المختار » ، والدليل على ذلك بقاء هذا الجنس محافظاً على طابعه وخصائصه ، وهو الذي واجه خلال ألفي عام ظروفًا قاسية .

لقد رأينا ان اليهود يتدخلون في قضايا العالم الكبرى ، وكانت لهم اليد الكبرى في كل ثورة وانقلاب . وقد مرت كوارث رهيبة هزت البشرية ، لكنها لم تؤثر فيهم ، وبقي اليهود على حالهم لا يدخرون وسعاً في سبيل حماية كيانهم .

يقولون ان اليهودي ماكر وداهية . وقد كان هذا شأنه ، الى حد ما ، في كل وقت . لكن ذكاه لا يقوم على تطور ذاتي او داخلي ، بل نما وتطور بفضل عقول الآخرين ، فالعقل البشري لا ينضج دفعة واحدة . ففي كل خطوة يخطوها لا بد له من الاعتماد على الاسس التي تركها له الماضي ، اي الى معالم الحضارة العامة . ومن هنا النظرية القائلة ان الفكرة هي وليدة التجارب المتراكمة منذ مئات السنين قبل ان تكون نتيجة الاختبار الشخصي . فمستوى الحضارة العام يقدم للفرد المعلومات الاولية ليتمكن من الكشف عن الاسرار التي لم يتمكن من اكتشافها الذين سبقوه .

ليس لليهودي حضارة خاصة به فأسس عمله الفكري مستوحاة من الذين اوجدوا الحضارات . فالشرط الاول الذي يجعل من الشعب شعباً ذو حضارة ليس موجوداً في « الشعب المختار » : فليس لليهود مثالية ... ذلك ان روح التضحية عند اليهود لا تتمدى نطاق « الانا » اما التضامن الذي نجده بين اليهود والذي يبدو قوياً ، ليس هذا التضامن اكثر من تجمع زمني ، اشبه بتجمع قطيع من الغنم يواجه خطراً مشتركاً . أو أشبه بتجمع قطيع من الذئاب لمهاجمة الفريسة ، فما ان تنتهي الوليمة حتى يتفرق « المدعوون » ... واليهودي لا يعرف التضامن الا في حالة الخطر ، والتضامن هذا يصبح واجباً في حالتين : تجاه العدو المشترك او حيال فريسة مشتركة . فإذا زالت مسببات التضامن يرجع اليهود الى انانيتهم ويصبح

همهم الوحيد الكيد والمؤامرات ونهش بعضهم بعضاً .

اذن فاتحاد اليهود للكفاح او لسلب الناس لا تعتبر مثالية تذهب بهم إلى التضحية ونكران الذات . فاليهودي لا يجد في هذا سوى الاثانية الضيقة . واذا تمكن « الشعب المختار » يوماً ان ينشئ دولته اليهودية – الجهاز الحي المعدل حفظ العرق وتنميته – فستكون دولته هذه دثون حدود ، لان تحديد حدود الدولة يفترض وجود مثالية لدى العرق الذي ينشئها كما يفترض ان يكون مفهومه للعمل مبنياً على تقديرات صحيحة . واذا انفق هذا الشرطان تفشل المحاولات لايحاد دولة ذات حدود ، لان هذه الدولة لا يمكن ان تعيش لافتقارها الى الأسس التي تشاد عليها الحضارة .

ليس للشعب اليهودي حضارة خاصة به ، فالحضارة اليهودية او التي تبدو لنا كذلك ، هي حضارة شعوب اخرى سرقها « الشعب المختار » وشوه معالمها . ولكي ندرك حقيقة وضع اليهود تجاه الحضارة البشرية يجب ان نعلم الحقائق التالية :

لم يسمع العالم بشيء يدعى « الفن اليهودي » وليس لليهود من فضل على الفن الموسيقي والهندسي ، فانتاجهم الفني كان عبارة عن سرقة او تقليد او نقل . فقسابق الكتاب اليهود الى الفن الذي لا يتطلب ابتكاراً هو اكبر دليل على ذلك ، وحتى في هذا المجال يظل اليهودي مقلداً كالقرود ... وهل ينتظر من العاجز عن الابداع ان يخلق في الاجواء العالية كالمباقرة ؟ لكن الصحافة اليهودية المخادعة لا تترك وسيلة إلا وتستعملها لرفع حثاله الفنانين اليهود الى مصاف اسباد الفن ، فتمدح المقلدين من ابناء هذا « الشعب المختار » لتوهم الجمهور انهم عباقرة حقيقيين .

لا ، ليست لليهودي المقدرة على الخلق والابداع ، اما ذكاؤه فهو دائماً متجهاً نحو الهدم والتخريب . وفي بعض الاحيان ونادراً ما يكون يفعل الخير وهو يعتقد أنه شر فيكون قد خدم البشرية رغماً عنه ...

من الخطأ القول ان اليهود هم أشبه بالرحل لأنهم لا يملكون مملكة ذات حدود معينة ، ولأن العالم لم يعرف شيئاً يدعى « حضارة يهودية » . فالرحل يملكون

ارضاً ذات حدود يعيشون فيها لمدة من الزمن ، ولكنهم لا يقوموا بزراعتها ، بل يعتمدون على غذائهم من الماشية ، وهذا يرجع لكون الارض التي يعيشون فيها قليلة الخصب فيضطروا الى الرحيل باستمرار. ولو كانوا من الانواع المتطورة لتمكنوا من استنبات الارض كما فعل الآريون بفضل تكتيكهم المتفوق. فقد كانوا يستغلون الاراضي ويستنبتوا التربة الميتة ، وهذا يرجع الى عبقريتهم الخلاقة وتكتيكهم المتفوق ...

وبدأ اليهودي يراي الناس بفوائد فاحشة . ولم يكن الآريون قد اعتادوا هذا النوع من القروض ، فما تنبهوا لخطره الا بعد فوات الاوان . وبعد ان احتكر اليهود التجارة والاعمال المالية ، تجمعوا وسكنوا في المدن وفي احياء خاصة بهم ، مؤلفين بين بعضهم دولة ضمن دولة. لكن الربا الفاحش الذي كانوا يأخذونه افقدهم عطف السكان ، وكثر النفور والاشمئزاز منهم لصفاتهم ، وحسدهم المحرومون على غنائم وبلغت النعمة ذروتها عندما كانوا يسترهنون الاراضي الكبيرة ، فيتحكون باليكها وبفلاحيتها بشكل مخزٍ مما جعل ضحاياهم يتألبون ضدهم ويستخدمون العنف والاعمال الانتقامية . وقد لجأ هؤلاء « الضيوف » الى الحكام واستطاعوا بواسطة اموالهم ومغرياتهم ان يقنعوهم بتزويد كل يهودي بكتاب يضمن له حمايته وحماية امواله ، وهكذا سمح الحكام لهم بامتصاص دم ضحاياهم ، تحت حراسة الدولة . لكن نقمة الشعب اجبرت الحكام على وضع قيود كثيرة على انتقال الاراضي ، وحظروا على المرابين استرھانها ، فاذعن اليهود منتظرين اليوم الذي سيستجبد الحكام بهم حين يعوزهم المال ، وهكذا كان ، واخذ اليهود مقابل مالهم وثائق تمنحهم حرية استثمار اموالهم ، كما تمنحهم نفس امتيازات ارباب الإقطاع . اما الرشوات التي دفعها اليهود فقد تنازلوا عنها غير فادمين لانهم سيأخذوا اضعاف ما دفعوه ، عن طريق الربا الفاحش والفائدة المركبة ..

وكان تواطؤ الامراء الالمان مع اليهود سبباً في افقار الشعب ، وقد ترتب على هذه السياسية عجز الامة الالمانية عن الخلاص من الخطر اليهودي .

كان الآريون في البدء رحلاً ، لكنهم استقروا حيث هم ، اما اليهود فليسوا رحلاً ، لأن الرحل يتميزون بالمثالية التي تجعلهم غير بعيدين عن الآريين وان تكن طبيعتهم تختلف عن طبيعة هؤلاء . اذن فاليهود لم يكونوا رحلاً قط ، بل كانوا ولم يزالوا طفيليات تنافس الشعوب على مقومات وجودها ، ولئن تركوا المناطق التي سكنوها لمئات السنين ، فأئماً تركوها مرغمين ملعونين من الشعوب التي قامت وطردتهم بعد أن ضاقت بهم ونجروا وجههم عن آداب الضيافة .

ان اليهودي لا يفكر في ترك المكان الذي استوطنه ، واذا اضطر لذلك فإنه يختار مكاناً يوفر له امكانيات البقاء ، دون ان يضطر الى التخلي عن طابعه الخاص . فهو طفيلي ايئناً حل وسكن . وهو حينئذ وجد فإن الشعب الذي يستضيفه يتلاشى ويضمحل ، شأنه شأن النبتة الطفيلية .

هكذا عاش اليهودي على مر الزمن ، فقد عاش عالة على الشعوب الاخرى . وهو في استيطان الارض يعمل دوماً على تأسيس دولته الخاصة ، ولكنه يخفي مقاصده خلف قناع « الجماعة الدينية » اذ لم تسنح له الظروف بكشف اهدافه الحقيقية . اما اذا وجد في نفسه القوة الكافية ، فإنه ينزع القناع ويكشف عن وجهه الحقيقي البشع .

وتقوم علاقة اليهودي بالشعوب التي يعايشها ، على الكذب والدجل . فهو كما وصفه شوبنهاور الاستاذ الاعظم في الكذب والتدجيل . أما كذبتهم الكبرى فبادعائهم انهم جماعة دينية .

وهذه الاكذوبة الكبرى تجد من يصدقها حتى الذين يفترض فيهم معرفة التاريخ . وكلما ازداد ذكاء اليهودي ازداد نجاحه في التدجيل ، ألم يتمكن من اقناع شعبنا بأنه الماني دماً ولحمًا ؟ ألم تنجح لبعته هذه في فرنسا وانكلترا وايطاليا حيث تعتبرهم الدولة من رعاياها المخلصين ؟ أليس منجلاً حقاً ان يقف وزير في الحكومة البافارية ويعترف انه لم يعلم إلا مؤخراً ان اليهود يؤلفون شعباً ذو طابع خاص ؟؟

لم يكن اليهود في وقت من الاوقات طائفة دينية ذات تقاليد وطقوس

خاصة ، بل كانوا شعباً له خصائص معينة ، وقد حاولوا البحث عن طريقه لتضليل الشعوب ، فلم يحدوا إلا تعريف أنفسهم بالجماعة الدينية ، علماً انهم حتى في هذا الحقل كانوا مقلدين ومشوهين ، اذ ان اليهود لا يمكن ان يؤلفوا جماعة دينية لأن لا مثالية لهم ولا يتطلعون الى ما وراء عالمنا هذا ، فالتمود لا يذكر كلمة واحدة عن العالم الآخر ...

ان العقيدة الدينية اليهودية تشمل بعض التوجيهات المتعلقة بحفظ الدم اليهودي نقياً ، كذلك بعض التنظيمات للعلاقات بين اليهود وبعضهم البعض وبين اليهود وسائر الشعوب . ولكن هذا التنظيم لا يكون على صعيد مناصبي ، فهو يعالج المسائل الاقتصادية بشكل خاص ، وب عقلية تقضح الدناءة التي ولد عليها اليهود . اما القيم الروحية للتعالم الدينية فالدروس التي تناولتها بالبحث تعطي فكرة صحيحة عنهم ولكنها ليست في مصلحتهم أو مصلحة ديانتهم . ولكن باستطاعتنا تكوين فكرة عن بعد هذه الديانة عن الروحانيات بمجرد النظر الى أي يهودي كان . فحياته تقوم على المادة ، وروحه كانت ولم تزل غريبة عن الروح المسيحية ، ولا شك ان مؤسس النصرانية لم يظلمهم حين قال رأيه الصريح بهم . ألم يستخدم السوط لأخراج عدو البشرية من الهيكل لأن اليهودي يعتبر الدين تجارة ؟ ألم يصلب اليهود المسيح لأنه حارب المادية اليهودية ؟ أليس من العار ان يستجدي الحزب المسيحي في بلادنا اصوات اليهود في الانتخابات ، وينظم المؤامرات مع الحزب اليهودي الملحد ضد الوطنيين ؟

* *

قامت سلسلة طويلة من الأكاذيب بعد الكذبة الاولى القائلة ان اليهود ليسوا عرقاً ، بل جماعة دينية . فمثلاً كان لسانهم الواسطة لأخفاء حقيقة ما يجول في رؤسهم بدلاً من ان يكون واسطة للتعبير عنها . فاليهودي اذا تكلم الفرنسية مثلاً فلانما يفكر يهودياً ، وعندما يقول الشعر بالالمانية فهو يعبر عن ما يحيش في صدور شعبه . واليهودي يتكلم لغة الشعوب طالما هو مكسور الجناح ، ولكن

مقى تمكن من السيطرة عليها فإنه يدعوها للتكلم بلغة عالمية ، كالاسبرنتو مثلاً ، ليتسنى لليهودية ان تلفهم تحت جناحيها .

على الرغم من انكار اليهود لوجوده ، فقد اظهر « بروتوكول حكماء صهيون » ان وجود هذا الشعب يقوم على كذبة كبرى . أما ما تؤكده جريدة « لاغازيت دو فرانكفورت » ان البروتوكول مدسوس على اليهود ، فانما هو مجرد تضليل . ونحن لا نهتم بمن وضع قواعد البروتوكول ، فالواضح هو ان الوثيقة تفضح طبيعة النشاط اليهودي وما يهدف اليه ، فاحداث القرن الماضي والسنين الاخيرة تشهد بان « بروتوكول حكماء صهيون » ينفذ بدقة واحكام . فهل نستغرب بعد ذلك ، حرص اليهود على انكار وجود الوثيقة ؟ ان تعريف الشعب بمخطط اليهود ومراميهم البعيدة كفيل بالقضاء على الخطر اليهودي قضاء مبرماً ...

لنتمكن من معرفة اليهودي على حقيقته ، يجب ان نتبع خطاه خلال العصور . فقد هبطت طلائع اليهود الارض الجرمانية في اعقاب الجحافل الرومانية الغازية ، وقد انتشروا في البلاد باعتبارهم تجاراً وخلال حركة الانقلابات التي سببتها الهجرة اختفى اليهود مؤقتاً ، ليظهروا بعد ان بدأت تتكون الدول الجرمانية . وفي هذه المرة ايضاً ظهروا كتجار ، ولم يهتموا باخفاء طابعهم المميز لان اشكالهم وجهلهم اللغة كانت تفضح تناقضهم مع مضيفهم ، ومع ذلك فلم تحدث لهم اية متاعب لكونهم يهوداً وغرباء . فالجرمانيان شعب مضياف يعطف على الغريب مهما كان جنسه .

لم يمض وقت طويل حتى بدأ اليهود بالتسلل الى الحياة الاقتصادية كوسطاء لا كمنتجين . وقد تفوقوا ، بفضل براعتهم التجارية بفضل خبرتهم الطويلة ، على الآريين حتى اوشكت ان تصبح التجارة مرتبطة بهم ووقفاً عليهم فقط .

أما الامراء الالمان ضحايا اليهود ، فقد نالوا جزاءهم عندما ابتعدت عنهم شعوبهم بعد ان لمست هذه الشعوب تقاعس الامراء عن حماية مصالحهم .. وكان اليهود يغذون النعمة على الامراء حين يعلموا ان احدهم قد بدا وكأن نجمه آخذ بالافول . و « الشعب المختار » اختصاصي وخبير في الانحراف بالحاكم عن رسالته

الوطنية، فهو يتودد الى الحاكم بعبارات المديح ومن ثم بالهدايا ، ومن ثم بالاستمتاع والتهتك ، الى ان يامن جانبهم فينصرف حينئذ الى اعمال الربا وامتناصص اموال الشعب .

وبالاضافة إلى حب المال فاليهودي يطمح الى المعالي ، فبعد ان جر الامراء الى الرذائل والتهتك حملهم في ساعة من ساعات مجونهم على رفع نفر من اليهود الى مرتبة العظماء والنبلاء . وتبع هذه الخطوة خطوات جديدة سمحت لليهود بان يكونوا وزراء ومستشارين ، وكانت اصوات الاحتجاج تحتفي بعد ان يتقبل اليهود سر العباد ، دون ان يتخلى عن امرائيليته وخصائصها .

وقد قامت حركة فكرية ضدزواج اليهود من المانيات وزواج الالمان من يهوديات ، في عهد فردريك الكبير ، وتزعها غوته الذي لم يكن رجعيًا. ولا قصير النظر ، وقد ايدى الشعب لاقتناعه بان اليهود عنصر غريب دخل كيان الأمة دون ان يتخلى عن طابعه وتقاليده الخاصة ... لكن اليهود ادركوا خطورة الحركة فقرروا الاندماج نهائياً في الامة الالمانية ظاهراً ، دون ان يتخلوا عن خصائصهم ، ولم يكن لهم من الالمانية سوى اللغة التي سرعان ما اتقنوها. ومتى كانت اللغة قوام العرقية؟ لم تفت هذه الحقيقة « الشعب المختار » ، فهو لو اتقن اللغة الالمانية ونطق بها ، سيبقى محافظاً على بقاء دمه نقياً ، باعتبار ان الدم هو قوام العرقية - فاليهودي يمكنه اتقان مئة لغة ، لكنه يبقى يهودياً بتفكيره ...

قرر اليهود ان يكون الطابع الالمانى طابعهم الغالب بسبب ما لمسوه من كراهية الشعب لهم ، وبسبب تقلص نفوذ اصدقائهم الامراء ، فهم بحاجة الى من يرتكزون عليه في توسيع نطاق نشاطهم المالى دون ان تزداد نفعة الشعب عليهم . فبدأوا بطلب الحقوق المدنية اسوة بالالمان الحقيقيين ، ثم راحوا يتوددون الى الشعب يشاطروه همومه ومشاكله والامة . واوهومهم بانهم يريدون ان يكفروا عن سيئاتهم السابقة ، بأعمال انسانية لوجه الله . وعلى هذا الوتر الحساس ضرب اليهود باستمرار ، الى ان بدأ الشعب يميل الى تصديق ادعاءاتهم ،

بل اتهم الذين ارتابوا بمقاصدهم بالتحامل على اليهود المساكين ...
ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد انقلب اليهودي بين يوم وآخر واصبح
من دعاة التحرر وفي مقدمة ناصري الافكار الجديدة .. وبنفس الوقت استمر
في تخريب الاقتصاد القومي ، وقد تمكن من التسلل الى حقل الانتاج عن
طريق الشركات المساهمة مجرداً الصناعة الالمانية من الاسس التي قامت عليها
الملكية الفردية . وبالطبع توسعت الهوة بين ارباب العمل والعمال نجم عنها بعد
ذلك انقسام المجتمع الى طبقات .

وقبض اليهودي بعد ذلك على البورصة بشدة ، مما فاتيح له بذلك الاشراف
التام على نشاط الأمة في كل حقل . ولكي يزيد من مناعة مركزه ويقويه عمد الى
الدعوة إلى التسامح الديني ، فأستخدم الماسونية - وكانت اداة طيعة بين يديه -
في تحقيق هدفه . وكانت الماسونية قد اجتذبت الى شراكها الكثيرين من الحكام
والنبلاء والاقتصاديين والبورجوازيين ورجال الفكر .

لكن الشعب لم يقع في هذا الشرك ، فأدرك اليهود أن غالبية الشعب لن
تخضع لهم عن طريق الماسونية ، فعمدوا إلى الصحافة ووجهوها حسب مصالحهم
ليتّم لهم الاشراف على الحياة العامة . وفي نفس الوقت عمدوا الى التظاهر بتعطشهم
الى المعرفة ، وكانوا يشنون على كل حركة تقدمية لا سيما التي يترتب على نجاحها
خراب الآخرين لأنهم لم ينسوا وصاية « بروتوكول حكماء وصهيون » القاضية
بمحاربة كل حضارة حقيقية والوقوف بطريقها لأنها لا تخدم اهداف ومصالح
اليهود ..

*

ترتب على التطور الاقتصادي اختلال التوازن الاجتماعي من حيث انقسام
الشعب الى طبقات ، فتكاثر عدد العمال الذين يكسحون لحساب الغير بدون أي
ضمان لغدهم المظلم ، كما رافق هذه الظاهرة ظاهرة ثانية هي طبقة البروليتاريا
(الصعاليك) الذي كان شبح الشيخوخة يقلقهم باعتبار ان نظام العمل لم يعنَ
بمصيرهم بعد تركهم للعمل ...

وقد عالجت الدولة مشكلة من هذا النوع عندما ظهرت طبقة الموظفين والمستخدمين الى جانب المزارعين والعمال اليدويين. فقد ظهر للدولة ان موظفيها يؤمنون الكفاف لا اكثر ، فعالجت هذه المشكلة بخلق نظام للتقاعد ، مما حدا بأرباب العمل الى الاقتداء بالدولة ولكن على نطاق اضيق .

لكن مشكلة العمال كانت معقدة وصعبة ، فقد هجر ملايين الرجال والنساء قراهم طلباً للرزق في المدينة ، وكانت اغليبتهم الساحقة تعمل في المصانع او كعمال يدويين . وكان الوقت الذي يقضيه العامل في المصانع يتراوح بين ١٤ و ١٥ ساعة في اليوم بدون فترة راحة ، وهذا مما يرهق صحتهم بشكل مؤذ . و بنفس الوقت كان العامل يتقاضى راتباً زهيداً لا يكفيه قوت يومه ، في حين كان صاحب العمل يجني ارباحاً خيالية .

وهكذا قامت الطبقة الجديدة من العمال الكادحين أو البروليتاريا . وقد كان على السلطات ان تلتفت الى هذه الطبقة التي تضم الملايين ، وتجعل منها درعاً للوطن وسيفاً له . لكنهما لم تفعل بل تركت الامور على ما هي .. وبالتالي فقد أستغل اليهود اعداء الأمة ، هذه الطبقة التي بإمكانها تغيير مجرى التاريخ ، فتقربوا منها وتبنوا قضيتها ومفهومها للعمل ، وذلك دون ان يتخلوا عن اسلوهم الرأسمالي وبذلك اصبح اليهودي قائد الحملة العمالية ، هذه الحملة التي كانت موجّهة ضده ، فعرف كيف يتنصل من كل تبعة ويلقي العبء على الابرياء .

لقد تبنى اليهودي قضية البروليتاريا ليحارب طبقة البورجوازيين ، بعد ان حارب بهم طبقة الاقطاعيين ، وبدأت الدعايات اليهودية توجه الحركة العمالية مع ما يتفق واهدافها أي السيطرة على العالم . وهكذا اصبحت مهمة العامل الكفاح من اجل اليهود ... ووجد نفسه اخيراً دون ان يعلم في خدمة المحتكرين اليهود وبث المبادئ الهدامة . فقد كان اليهود يتظاهرون بالعطف على قضية العمال ويستدرجونهم للبوح بما يحترقون في صدورهم ، ومن ثم يشجعونهم على النضال لتحقيق العدالة الاجتماعية ... و بنفس الوقت يكون عملائهم على اتصال بأرباب العمل فيستعدونهم على العمال الذين لا يرضيهم شيء ...

ان وراء المبادئ الاجتماعية اهدافاً شيطانية . وان ابرز ما في الماركسية كونها خليطاً من المبادئ الغير معقولة والمعقولة . وهذا الخليط المتناقض مركب بطريقة تجعل ماهو غير معقول قابلاً للتحقيق ، أما المعقول فتحقيقه في حكم المستحيل . فالعقيدة الماركسية حين تنكر على الفرد والامة والعرق حقه في الوجود ، فانها تحطم الاساس المبدئي للحضارة وبذلك تهدم العقبات التي تقف في طريق اليهود للسيطرة على العالم .

*

بعد ان تم لليهود الاشراف الفعلي على الاقتصاد والسياسة والفكر ، كشفوا عن وجههم الحقيقي وتوقفوا عن الادعاء بأنهم جماعة دينية ، ليصارحوا الناس انهم يؤلفون عرقاً له طابعه وخصائصه ، وان هدفهم الاساسي هو انشاء وطن في فلسطين لا تكون له معالم الدولة بمفهومها الحديث بل يكون الوطن الذي ينزل اليه اليهود المشردين في جميع انحاء العالم .

وقد ظهرت صفاقتهم جلية واضحة حين حاولوا بذل مساعيهم لخفض مستوى الاجناس بتسميم دم الافراد . وبعد ان حققوا مآربهم على حساب الديمقراطية تخلوا عنها ولجأوا الى دكتاتورية البروليتاريا . وقد وجدوا في الماركسية الاداة التي تستطيع ان تخضع الشعوب بقوة الحديد والنار ...

وقد تم النصر لليهود في روسيا حيث تسببوا في موت ثلاثين مليون شخصاً ليتسنى لهم اخضاع شعب كبير لسيطرة لصوص الأدب والبورصة .

الفصل الحادي عشر

الحزب يبدأ العمل

انقسم الشعب الألماني ، عام ١٩١٨ الى قسمين ، الاول يضم طبقه المفكرين وهي طبقة ذات ميول قومية مبهمه ان لم تكن سطحية ، لانها كانت تمثل مصالح تتناسب والمصالح الملكية ، مع انها في الظاهر تبدو ملتصقة بالدولة . وقد حاولت هذه الطبقة الوصول الى اهدافها بواسطة الاسلحة الفكرية - لكنها لم تنجح ضد خصمها القوي . وقد رأينا العدو يسيطر عليها بسهولة ويرغمها على الرضوخ للشروط التي تعتمد بها اذلال شعبنا .

والقسم الاخر يضم الأغلبية الساحقة من العمال اليدويين الذي دخلوا في منظمات ذات ميول ماركسية متطرفة تهدف الى القضاء على كل من يحاول الوقوف في طريقها ولا تعترف بالمصالح القومية ولا تقيم وزناً للمثل العليا . وكان اخطر ما في هذه الحركات العمالية انضمام اغلبية الشعب اليها واشتغالها عناصر لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق الانعاش القومي . ذلك ان الشعب كان بحاجة ماسة إلى من ينفخ فيه روح الحماس وقوة الارادة ، لمقاومة الضغط الاجني المتزايد . فمحاولات الانعاش الشعبي يجب ان تعتمد على تلك العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق هذا الانعاش . هذه العناصر التي انضوت تحت لواء الحركات العمالية المتنكرة لقوميتها . فكيف يمكن والحالة هذه النهوض بدولة حين تكون غالبية

شعبها تدين بمبادئ غير قومية ؟ ! لذلك كان على حركة حزبنا ان تنهيا لبعث الدولة الالمانية واعادة اعتبارها ، وتعمل على اجتذاب الأغلبية إلى صفوفها ، لان هذه الأغلبية تؤلف العنصر الهام في الامة وبدونه تذهب الجهود الرامية إلى تحرير شعبنا هباء ... والبورجوازية لم تكن تشكل خطراً على حركتنا القومية ، فأفاقها الضيقة ونزعاتها القومية المضطربة كانت لا تسمح لها بالمقاومة إلا بطريقة سلبية كالطريقة التي اتبعتها في عهد بسمارك ، منتظرة ساعة الخلاص .

لقد بدت مهمتنا شاقة ، فالأغلبية الساحقة من المواطنين كانت مبهورة بزخرف الدعوات الماركسية ، فتنكرت لامتها وجنحت إلى العنف بتحريض من اليهود ...

ولم يفتنا ان الماركسيين وحلفائهم قادرون على منع الدولة الالمانية ذات النظام البرلماني من اتخاذ سياسة خارجية قومية ، لانهم قادرين على اظهارها بمظهر الدولة المتفككة بحيث لا تجد من يحالفها او يتعاون معها باعتبار ان اغلبية الشعب تعارض كل سياسة داخلية بناءه وكل خطوة خارجية حازمة ... وقد ادركنا ان شعبنا الباسل لن يتمكن من الوصول إلى مركز الصدارة إلا بعد ان يصفي حساب الذين تسببوا في انهيار الدولة واستغلوا بعد ذلك هذا الانهيار . فشهد تشرين الثاني سنة ١٩١٨ لم يكن بالخيانة العادية بل جريمة كبرى ... نعم لن يتمكن شعبنا من تهيئة نفسه للمعركة الكبرى قبل ان يتخلص نهائياً من اعدائه الداخليين وعلى رأسهم اليهود .. وقبل ان يتمكن من نزع الفكرة الماركسية من عقول الملايين من الالمان ، وحقدم على امتهم .

ولئن يكن اجتذاب الأغلبية هو الهدف الأول لحركتنا ، فقد ادركنا ان نشاطنا يجب ان يقوم على اسس ثابتة يقوم عليها صرح التعاون بين فئات الشباب الالمانى ، وقد اتبعنا خطة في عام ١٩١٩ تركزت على المبادئ التالية :

اولاً : يجب التضحية بكل شيء في سبيل اجتذاب الأغلبية الساحقة إلى

حركة الانعاش القومي . فالتنازلات الاقتصادية لمصلحة العمال لا تكفي ما لم يرافقها ادخال الطبقات الشعبية الى الجسم الاجتماعي الذي هو جزء لا يتجزأ منه . فلو حافظت النقابات على مصالح العمال اثناء الحرب وانزعت الموافقة على مطالبهم ولو بالاضرابات ، لما خسرت المانيا الحرب .

ثانياً : لا يمكن انشاء الاغلبية نشأة قومية إلا برفع مستواها الاجتماعي .
ثالثاً : ان اجتذاب الاغلبية الى فكرة القومية لا يتم بأنصاف التدابير والجهود المنقطعة . فلا بد من مواصلة الجهود كي نجعل من شعبنا شعباً قومياً ، ونعالج المشاكل بقوة وحزم ، فالسليم يعالج بالدواء المضاد له . لا بمكافحته بالتعاون .

ان الاغلبية الساحقة ليست من الاساتذة والدبلوماسيين ، لذلك لا يمكن استمالتها بالنظريات العلمية ، بل تؤخذ بالمواطف ففي هذا المضمار تكمن انتفاضاتها من سلبية وإيجابية . فالاغلبية لا تعمل إلا لمصلحة القوة ذات الاتجاه الصريح ، ولا تعمل مطلقاً لمصلحة خطوة مترددة مذبذبة . على أن مشاعر الجمهور وعواطفه متقلبة وليست ثابتة ، فما يراد اقامته على اساس ثابت يجب ان يرتكز على ايمان الشعب وتمسكه للفكرة التي يراد حمله على اعتناقها . اذ ان الايمان اقوى من صمود العلم ، والمحبة اقوى على الاستمرار من التقدير ، والبغض اطول نفساً من النفور . وقد برهن لنا التاريخ ان الثورات الكبرى لم تحركها الافكار العلمية أو الحرص على نشرها ، بل حركها التعصب الاعمى لرأي أو عقيدة .

رابعاً : لا يمكن كسب ثقة الشعب إلا بعد تحطيم العقبات التي تقف في طريقهم ، مزيلين عن طريقهم اعداء حركتهم . فالاغلبية تعتبر مهاجمة خصومها بطريقة عنيفة حقاً من حقوقها المقدسة . وترفض بالتالي التساهل أو التسامح ، فهي تمتد ان البقاء هو للاصلح والأقوى .

خامساً : ان القضايا الكبرى في العصر الحديث هي نتيجة القضايا الاعمى

جذوراً ، ويأتي في طليعة هذه القضايا قضية المحافظة على سلامة العرق ، وذلك بصون نقاوة دمه . فان فسد دم عرق من الاعراق نتيجة الاختلاط ، فسرعان ما تتفكك عرى الوحدة الروحية وتنهار قوة الابداع وصروح الحضارة . فمن يطمح الى اخراج الشعب الالماني من مشاكله الحالية ، عليه ان يطهر الصفوف من الذين افسدوه ، وعلى الامة الالمانية ان تبادر الى مواجهة المسألة العرقية متخذة كافة التدابير الحاسمة لأنها المشاكل التي يثيرها وجود اليهود بيننا .

سادساً : ان الاغلبية الساحقة من الشعب التي استألتها الماركسية الى جماعة الامم يمكن انضمامها الى الجماعة القومية دون ان تتخلى عن حقها في الدفاع عن مصالحها . علماً ان اختلاف المصالح بين مختلف الهيئات لا يبرر قيام النزاع بين الطبقات ، لأن هذه المصالح ليست إلا نتيجة طبيعية لتركيبنا الاقتصادي . وحين ندرك هذه الحقيقة نرى ان قيام تكتلات مهنية لا تتعارض مع قيام اتحاد شعبي ، وبالتالي دولة قومية . وانضمام طبقة من الطبقات الى الاتحاد الشعبي أو الى الدولة لا يفرض ، تدني مستوى الطبقات العليا ، بل يرفع من مستوى الطبقات الوضيعة . فالبورجوازية لم تنضم الى الدولة لأن طبقة النبلاء ارادت ان تفتح امامها المجال وتتنازل عن بعض امتيازاتها ، بل لأن البورجوازية قد استحققت وضعها الجديد بفضل نشاطها وثباتها . لذلك يمكن القول ان العامل الالماني لم يتوصل إلى ان يصبح قوة فاعلة إلا بعد ان نجح في رفع مستواه الاجتماعي ليوازن به مستوى سائر الطبقات .

أما تنكر العمال اليوم للفكرة القومية ، ليس معناه انهم منتظمين في هيئات تعاونية أو نقابات تقدم مصالحهم على بقية المصالح . بل لأن المحرضين هم الذين نفخوا فيهم روح المغامرة الخطرة التي جعلت منهم اعداء الوطن والشعب وجعلتهم بالتالي أداة لتحقيق مصالح المغامرين الدوليين ومصالح اليهودية العالمية . فإذا تطهرت النقابات من المحرضين ووجهت توجيهاً قومياً وشعبياً صحيحاً تمكنت من ان تكون لنفسها مركزاً قوياً هاماً ، باعتبارها أكثر الطبقات انتاجاً وحماية لتقاليد هذا الشعب العريق ... وبالإضافة الى هذا يجب تطهير صفوف

ارباب العمل من الجشعين والاثنيين الذين تتعارض مفاهيمهم للعمل مع المبادئ التي يجب أن يقوم عليها التعاون بين اعضاء المجتمع الواحد ليعود هذا التعاون بالنفع على الجميع ، فرب العمل يظن ان اندماج العامل في الجماعة الشعبية سيحرمه اقتصادياً من الوسائل التي اعتاد على استخدامها للدفاع عن مصالحه ومحاربة مستخدميه . كذلك يعتقد رب العمل ان كل محاولة لحماية مصالح العمال الاقتصادية حتى ولو كانت حيوية ، تشكل اعتداء على مصالح الجماعة ... لذلك يجب مكافحة هذه النظرية الخطرة واعتبارها في رأس المهام التي سيضطلع بها الحزب الجديد .

ان العامل الذي يعتمد ارهاق رب العمل بمطالبه المستحيلة ، ويلجأ الى العنف كلما أراد ان يرهب مستخدمه ، هذا العامل يعتبر مجرماً وخائناً بحق أمته . وكذلك صاحب العمل الذي لا هم له إلا جني الارباح الطائلة التي تجعل منه رجلاً متعجراً العواطف ، هذا الرجل يعتبر حليفاً ونصيراً للمشاعغبين والماركسيين .

ان نشاط حزبنا يجب ان يوجه الى العمال بالدرجة الاولى ، ليعمل على انقاذهم من حبال المغامرين الدوليين ، وبالتالي لرفع مستواهم الاجتماعي بحيث يصبحون عنصراً شديداً المراس ، مشبعاً بالافكار القومية لا تؤثر فيه الدعايات المضللة . ولن يرفض الحزب الجديد التعاون مع جميع العناصر القومية ، ولكنه لن يعمل على اجتذاب طبقة البورجوازيين لأنها ستصبح عالة عليه ، وبالتالي ربما ترتب على هذا التعاون نفور العمال منه .

سابعاً : يجب ان توجه دعاية الحزب الى احد المعسكرين اللذين يؤلفان الاكثية الساحقة . فالنقاوت في المستوى الفكري يجعل الدعاية المبسطة غير ذات قيمة بالنسبة الى المتعلمين . في حين ان الدعاية الرفيعة لن تلاقى تجاوباً عند غير المتعلمين . وحتى طريقة التعبير لا يمكن ان تكون واحدة في التوجه الى الطبقتين . فإذا اعتمدت الدعاية البساطة في التعبير ظلت الاوساط المتعلمة بعيدة عنها ، وإذا ركزت على الدعاية الفكرية العالية لن تتمكن من اثارة عاطفة

الاجلبية الشعبية .

لن نجد بين مئة خطيب عشرة يتمكنون من مخاطبة جمهور من الحداثين والكناسين مثلاً ، وبنفس الوقت يتوجهوا لمخاطبة اساتذة الجامعة . ولا يفربن عن بالنأ أن احسن فكرة لا يمكن نشرها إلا بعد تبسيطها ، ويتوقف نجاحها على الذين يتناقضوها اكثر مما يتوقف على 'مبائنها' .

ان قوة انتشار الحركة الماركسية تقوم على وحدة الاسلوب في مخاطبة الجمهور الذي يتألف من طبقة معينة . وقد ادرك الماركسيون أن الاغلبية لا تتمكن إلا من استيعاب التعاليم السطحية ، لذلك وضعوا تحت تصرفه كل ما هو ملائماً لمستوى تفكيره . لذلك يجب على الحزب الجديد إلا يرتفع بدعايته الى المستوى العالي ، أي فوق مستوى الشعب . ففي حفل شعبي يكون الخطيب الذي يفز قلوب الجمهور هو سيد الكلمة ، لا الخطيب الذي يصفق له المتعلمون والمفكرون ..

ثامناً : ان نجاح حركة الاصلاح السياسي تعتمد نجاح القوة السياسية ، فالنجاح هو المقياس الوحيد للملاءمة فكرة ما لمصلحة المجموع . فالقول ان الحركة الثورية في المانيا قد نجحت لأن قادة الحركة قد تسلموا زمام الحكم ، هو قول هراء ، فالنجاح الوحيد الذي تحزره الثورة هو في جعل الأمة أكثر ازدهاراً .

ان حركة ما تعتبر القوة السياسية هو شرط اساسي لنجاحها ، يجب ان تعتمد على تأييد الاغلبية الساحقة من الشعب وان تعلم أن الحركات الاصلاحية لا تقوم على سواعد رواد الاندية الأدبية وشاربي الشاي ولا من سواعد لاعبي الشطرنج من البورجوازيين .

ثامناً : الحركة الجديدة في جوهرها وتنظيمها هي ضد النظام البرلماني فهي لا تعترف بسيطرة الاكثرية ، هذا النظام الذي يجعل من رئيس الحكومة منفذاً لمشينة الآخرين . أن حزبنا يحصر المسؤولية بالرجل الذي يتسلم

مقدرات الدولة ، وبشخص زعيم الحزب . وهذا المبدأ يجب تطبيقه على النحو التالي :

يعين زعيم الحزب رؤساء للفروع ويكون رئيس الفرع مسؤولاً عن فرعه ، وتوضع اللجان الحزبية تحت تصرفه التي تنحصر مهمتها في درس المسائل التي يقدمها لها رئيس الفرع .

ان زعيم الحزب هو المسؤول الوحيد الذي يأخذ مركزه بالانتخاب ، وتتولى انتخابية الجمعية العمومية . وهو مطلق الصلاحية نظراً لجمامة مسؤولياته فإذا خرق نظام الحزب أو فرط بمصلحة الحزب عملت الجمعية العمومية على اسقاطه وانتخبوا زعيماً غيره .

هذا المبدأ يجب ان يطبق على الدولة نفسها ، فعلى من يطمح الى الزعامة أن يحمل الى جانب السلطة غير المحدودة المسؤولية الكاملة .

ان التقدم والحضارة هما نتيجة جهود العبقريّة ، لا نتيجة ثروة الاكثرية . فحزبنا يحارب النظام البرلماني لأنه يقصي النخبة عن الميدان ويفتح الطريق امام الدجالين والخنوة .

عاشراً : يرفض الحزب الجديد ان يحدد موقفه من المسائل الخارجية عن نطاق عمله السياسي ، فهو لا يهدف مثلاً الى الاصلاح الديني لأن في كلتا الطائفتين الدينيتين دعائماً قوية يركز عليها بقاء شعبنا . والاحزاب التي تنكر على الدين دوره كدعامة معنوية لاستخدامها في الاغراض السياسية ، يجب على حركتنا محاربتها بشدة وعنف .

ان حركتنا تهدف الى اعادة تنظيم شعبنا سياسياً ، ولكنها لن تنصدي لأقامة شكل معين من اشكال الحكم ، فالملكية والجمهورية سيان في نظرها ، والمهم هو تقرير المبادئ الاساسية التي يجب ان تقوم عليها الدولة الجرمانية المثالية .

أما تنظيم الحركة داخلياً فهو متصل بالغاية التي وضعها الحزب والنظام الأنسب هو النظام الذي لا يقيم جهازاً من الوسطاء بين الزعيم وانصاره

فالتنظيم هو نقل فكرة معينة مختصرة في رأس رجل واحد ، الى جمهور كبير من الناس . وعندي أن التنظيم هو شر لا بد منه ، وهو فوق ذلك واسطة لا غاية .

وما دام العالم مفتقراً إلى الادمغة المفكرة التي تقود الخلوقات الآلية فالتنظيم مهمة سهلة بالنسبة الى تجسيد فكرة ما ، فالفكرة تشق طريقها مجتازة المراحل الآتية : تخرج الفكرة من دماغ رجل واحد ليبشر بها فيجمع حوله عدداً من الانصار . ونقل هذه الفكرة الى الانصار مباشرة هو الطريقة المثلى ، ولكن هذا النقل سيصبح متعذراً بعد ازدياد عدد هؤلاء الانصار فيتطلب عندئذ الاستعانة بالوسطاء ، هذا الشر الذي لا بد منه ، وهذا ما يفرض التنظيم على اساس انشاء شعب وخلايا محلية ، بيد انه لا يجوز التسرع في انشاء هذه الخلايا قبل ان تترسخ سلطة مؤسس الحركة في المركز الرئيسي لحركته . فمثلاً سحر مكة وروما يعطي الاسلام والكاثوليك قوة منشأها الوحدة الداخلية وخضوع المؤمنين والانصار للرجل الذي هو رمز لهذه الوحدة . ومن هنا وجب علينا احاطة المكان الذي انطلقت منه الفكرة ، بهالة من القدسية تجعله محجة للانصار ورمزاً لوحدهم .

يتضح مما اسلفنا ان الأسس التي يجب ان تقوم عليها حركتنا داخلياً هي الآتية :

١ - حصر النشاط في مدينة واحدة هي ميونيخ ، حيث بها مجموعة كبيرة من الانصار المتحمسين ، ويصار إلى تأسيس مدرسة لتعليم رسل الحركة . وفي نفس الوقت يحاول الحزب فرض وجوده ومحو الوهم العالق في الازدهان باستعالة قيام حركة جديدة تقوى على التصدي في وجه الماركسية والتغلب عليها .

٢ - لا يصار الى انشاء خلايا محلية ما لم تثبت سلطة المركز في ميونيخ .

٣ - لا يصار الى انشاء فروع اقليمية ما لم تتوفر الاثباتات الكافية على ولاء

الانصار للمركز الرئيسي وتقيدهم بتعليماته . علماً ان انشاء مراكز اقليمية يتوقف على عدد كاف من الافراد الذين يعتمد عليهم بإدارة المراكز . ويمكن للحزب ان يجتذب افراداً اذكياء فينشئهم تنشئة قوية تؤهلهم للقيادة ، إذا توفر لديه المال الكافي . وهذا ممكن بدفع رواتب الموظفين من صندوقه الخاص . اما إذا لم تسمح له ماله باستخدام رؤساء موظفين ، فانه يعهد بإدارة الفروع الى رجال لا يبالغون على الحزب بالجهد والوقت والمال .

وقبل انشاء الفرع يجب تعيين رئيسه ، فاذا تعذر ذلك يترك الفرع دون رئيس او تترك المنطقة دون فرع ، لان الرئيس الفاشل كالفائذ الاحق الذي لا يحسن وضع وتنفيذ الخطط ..

*

ان نجاح حركة سياسية لا يعتمد على تعصب الانصار واعتبار حركتهم انبل الحركات واسماها . ومن يعتقد ان اندماج حركتين متماثلتين يضاعف من قوة الحركة ، هو مخطئ . لان هذا يزيد في النمو الخارجي ، مع ان هذا الاندماج يلقي بذور ضعف داخلي تظهر اعراضه بسرعة . ذلك انه مهما كان التشابه قريباً فالشبه التام بينهما يبقى مستحيلاً . والطبيعة نفسها لا تسمح بالتزاوج بين جهازين مختلفين ، فتعتمد إلى استفزازهما إلى القتال ليبقى الانسب والاقوى .

فالتاريخ يعلمنا ان قوة الاحزاب تقوم على التعصب ضد كل ما هو خارج عنها ، وان انصار الحزب حين يقتنعوا بصحة فكرتهم يتجندوا للدفاع عنها وللمنازلة خصومهم موقنين ان النصر حليفهم . ولا يزيدهم الاضطهاد الا شدة وعزيمة . فالمسيحية لم تنتشر وتشتد بالتسويات بين تعاليمها وتعاليم بقية الديانات بل شقت طريقها بفضل تعصبها لرسالتها ودفاعها عنها دفاعاً مستميتاً .

ينبغي لحركتنا ان تعلم وتفهم الشعب الالمانى ان اليهودي إذ يقول الحقيقة انما يحاول تغطية خدعة كبرى ، وان كل افتراء يصدر عن اليهود هو كالشهادة

بحسن السلوك . وكل الماني يهاجم اليهود هو واحد منا ، وكل الماني يبغضه اليهود هو افضل اصدقائنا .

يجب على حركتنا ان تفهم انصارها ان من يقرأ جريدة صباحية يهودية ولا يجد فيها حملة من الافتراء عليه . فمعنى ذلك انه أضع نهاره السابق سدى ، فلو امضى نهاره السابق في مكافحة نشاط اليهود لوجد في صباح اليوم التالي حملة الافتراء والتجريح في صحف الصباح .
حين يدرك انصارنا هذا كله تصبح حركتنا قوية لا يمكن ان تغلب .

*

لم يكثر الجمهور لعملنا الحزبي ، وكان معذوراً إذ كان عددنا في البداية سبعة رجال لا حول لهم يهدفون الى تحقيق ما عجزت عنه الاحزاب الكبيرة .
فكنا نجلس في اجتماعاتنا نحن السبعة حول طاولة عارية إلا من أقلامنا واوراقنا ، لنناقش بضع ساعات في امور نأفها كتنظيم دعوة او اعداد بيان .
وغني عن القول ان ميونيخ كانت في شاغل عن الانتباه لامر سبعة رجال يعتقدون اجتماعاً . وقد ظل هذا دأبنا إلى أن قررنا توسيع نطاق حركتنا بدعوة الناس لحضور اجتماعاتنا ، فنظمنا اجتماعات دورية مرة أو مرتين في الشهر ، وتولينا كتابة أوراق الدعوة وتوزيعها بأنفسنا . وحدث ان قمت بنفسي بتوزيع ثمانين بطاقة دعوة على اشخاص طالما امتدحوا حركتنا وكذلك فعل رفاقي فبلغ مجموع ما قمنا بتوزيعه حوالي خمسمائة وعشرين بطاقة ولكن النتيجة كانت مخيبة لآمالنا بشكل كبير ، ففي الموعد المعين لم يكن في قاعة الاجتماع سوى الأعضاء السبعة ...

بعد هذا الحادث طبعنا اوراق الدعوة على الآلة الناسخة ، فضمننا نجاح الاجتماع الثاني فحضره حوالي الثلاثة عشر مواطناً ، وقد ربحاً أزداد الرقم ، إلى ان وضعنا اعلاناً في احدى الصحف المستقلة عن اجتماعنا السادس ، وكانت النتيجة مشجعة إذ استأجرنا قاعة في « هوفبروس كيلر » لتسع لمئة وثلاثين شخصاً ، وفي

الوقت المحدد حضر الاجتماع حوالي المئة وأحد عشر شخصاً .

وقع الاختيار عليّ لاختطاب في الجمهور ، وكانت هذه أول مرة اخطبت فيها فعارضني معارضة شديدة رئيس الحزب الهر « هاربر » الذي كان يظن اني اصلح لكل شيء ما عدا الخطابة . ولكن كان « هاربر » مخطئاً ، فقد اكتشف الجمهور انني خطيباً من الطراز الأول ، وقد قوطع خطابي بالتصفيق الحاد عدة مرات . وعندما دعي المستمعون للنبرع لصندوق الحركة بلغت حماسهم حدّها الأقصى فاقاموا على التبرع ودخل على الصندوق حوالي ثلاثماية مارك ، مما اتاح لنا طبع نشراتنا وتعاليمنا واوراق الدعوة .

لم يقتصر نجاح الاجتماع على هذه الناحية ، فقد كان من جملة الحاضرين بعض الذين حاربت معهم في الجبهة ، فمضوا إلى رفاقهم ورفاقي يصفون انطباعاتهم عن الاجتماع ويشرحوا لهم مبادئ حركتنا واهدافها ، واستطاعوا استدراج الكثيرين لحضور الاجتماعات المقبلة ، ولكنهم ما لبثوا ان انخرطوا في الحزب الجديد . وكانوا شباناً شجعاناً تشبعوا بروح النظام واخذوا من الخدمة العسكرية شعاراً ممتازاً ان لا مستحيل في الحياة .

وما هي إلا أسابيع معدودة حتى بدأ الحزب يعطي نتائج الطيبة .

كان أول رئيس للحزب الهر هاربر ، صحفياً لا مأ مثقفاً . ولكنه كان يجمل مخاطبة الجمهور واثارة حماسه . وكذلك الهر دركسلر رئيس فرع ميونيخ الذي لم يكن هو الآخر ذا موهبة خطابية . وقد لاحظت عليه الضعف والتردد ، وقد علمت انه لم يدخل الجندية قط ، فأتضح لي سبب افتقاره إلى معالم الرجولة الحققة ، فهو لم يدخل المدرسة الوحيدة التي تنشئ رجالاً يثقون بانفسهم ثقة لا حد لها

كان هاربر ودركسلر ضعيفي الثقة بانفسهم وبحركتنا الجديدة . خاصة بما يتعلق بقوة الحركة على سحق كل من يقف في طريق نموها وانتشارها . ان هذه المهمة الجديرة برجال صهرتهم الجندية وحولتهم الى رجال اصلب واقوى .

وأنا كنت جندياً قد نسيت في الجبهة شيئاً اسمه « خطر » أو « مستحيل » ، لأن حركتنا كانت عبارة عن مجازفة خطيرة ، فقد كان الماركسيون اسياد الموقف يهاجمون كل من يعقد اجتماعات شبيهة بأجتماعاتهم ، فيعتدون على الحاضرين ويزعموا ان المجتمعين قد تحرشوا بهم واستفزروهم . فقد كانوا يكافحون كل اجتماع يجتذب الجمهور ، وكان هذا موقفهم تجاه حزبنا الفتي ، الذي بدأ اجتماعاته بدعوة العمال والمستخدمين . وعندما اطلقنا على حركتنا اسم « حزب العمال الالمانى » ، بدأ الماركسيون بمهاجمتنا كما بدأ على انصارنا انهم خائفون ويفضلون التهرب من الاصطدام مع المحر خوفاً من الهزيمة . وراح المسؤولون يؤجلون عقد الجمعية العمومية خوفاً من الاصطدام . وكنت انا اعارض هذا التخاذل واطلب منهم قبول التحدي والعمل على استفزاز خصومنا ومحاربتهم بسلاحهم . فسلح الارهاب لا يحارب بالارهاب . واخيراً فازت نظريتي ففقدنا الجمعية العمومية الاولى بعد أن تهيأ لمواجهة كل الاحتمالات وكان النجاح حليفنا ، ففقدنا عدة اجتماعات متتالية . وقد تكلمت في احد الاجتماعات لمدة ساعه كامله بحضور حشد كبير من المستمعين . وقد حاولت بعض العناصر التشويش واشاعة الفوضى إلا ان رفاقنا تصدوا لهم واوسعوهم ضرباً وطردهم من قاعة الاجتماع . وقوات اجتماعاتنا وازدادت استعداداتنا لصد الاعتداءات بنفس العنف الذي يستعمله الماركسيين ، وكان ايماننا قوياً وتمصبنا للفكرة التي بدأت تفتح طريقها قادراً على نقل الجبال من اماكنها .

انصرفنا بعد ذلك الى وضع النظام الداخلى للحزب وقد حدثت بعض المناقشات حول القضايا الشكلية كتسمية الحزب مثلاً . بينما انصرفت خلال هذا التنظيم الى مقاومة فكرة قبول بعض الاعضاء الذين يطلقوا على أنفسهم اسم « الالمان الشعبيين » . فهؤلاء طبقة من المواطنين لا يعادل عملها الايجابي الصفر ، ويتجاوز ادعاؤها الفارغ كل حد . وقد اوضحت لرفاقي ان حركتنا الفتية لن تكسب شيئاً من انضمام رجالاً مقدرتهم الوحيدة في انهم

امضوا ثلاثين أو اربعين سنة في خدمة فكرة من الافكار. إذ ان رجلا امضى اربعين عاماً في خدمة ما يعتبره فكرة دون ان يؤمن لها النجاح المطلوب ، أو على الأقل دون أن يحول دون انتصار خصومها ، هذا الرجل لن يرجى منه أي خير لحركتنا الناشئة . والأمر من ذلك ان هؤلاء « المناضلين » العريقين يرفضون الانضمام كأعضاء عاديين ، بل يطلبون مراكز عالية تتناسب و « جهادهم » الطويل .

وأوضحت لزملائي أيضاً ان هذا النوع من السياسيين الخائبين لا يريدون من انضمامهم الى حركتنا خدمة هذه الحركة ، بل يريدون تنفيذ نظريتهم الخاصة بواسطتنا . ولئن يكن بعضهم يتصرف عن جهل مطبق إلا ان بعضهم الآخر يتصرف بناء لخطة مرسومة ولهدف معين . ومن بين هذا البعض نجد فئة تريد محاربة اليهود على الصعيد الديني بينما تدعي ان الحركات الاصلاحية في البلاد يجب ان تقوم على أساس عنصري محض .

لذلك قررت ابعاد هؤلاء « العنصريين » فأقترحت تسمية الحزب الجديد « حزب العمال الالماني الوطني الاشتراكي » وهكذا كان ، فأبتعد عنا محترفي السياسة و « المناضلين » الذي يريدون القتال وسلاحهم القلم والورقة . وقد قام هؤلاء بحملة ضدنا في الصحف المؤجورة واليهودية منتقدين شعارنا القائل . « سنرد بعنف على من يحاول اربنا بعنف » وادعوا اننا جماعة تمجد القوة ولا تؤمن بالفكر والقيم الروحية .

في بداية العام ١٩٢٠ قررت ان اهيء الى اجتماع كبير رغماً عن الاعتراضات الكثيرة من قبل بعض المتنفذين في الحزب . ركزت الصحف الحمراء قد بدأت تهتم بنا وتحمل علينا بعنف ، ونحن بدورنا بدأنا نحضر اجتماعات الماركسيين للتشويش عليهم ، وكان كل واحد منا يأخذ نصيبه من الضرب واللكم ، وقد جعلنا هذا الاسلوب حديث المجتمعات ، وتأكدنا ان « اصدقاءنا » الحمر سيحضرون أول اجتماع كبير لنا ليعاملونا بالمثل .

وبالرغم من تأكدي أن خصومنا سيتغلبون علينا في ميدان اللكم والضرب، لكنني كنت على ثقة تامة بأن ثباتنا وقوة عزيمتنا ستقوي من معنويات حزبنا في الخارج، فالشعب تبهره القوة والاعمال البطولية. وقد عارض رئيس الحزب هذا الاسلوب فقدم استقالته من رئاسة الحزب فعمل محله دركسلر الذي سلمني مهام الشؤون الدعائية، فقررت يوم ٢٤ شباط ١٩٢٠ كيوم الاجتماع الحاسم، واشرفت بنفسي على طبع وتوزيع النشرات الاعلانية، كما حرصت أن تتضمن المبادئ الاساسية للحركة...

وما ان توزعت النشرات حتى صمم الماركسيون وحزب الشعب البافاري على محاربة الحزب الجديد، وكان الحزب هذا مهمناً على شؤون الحكم في البلد زاعماً انه ينهج منهجاً قومياً صحيحاً. وقد رأينا ان يستخدم قوة البوليس لمصادرة نشراتنا من ايدي الوف العمال الذين ضللتهم الدعاية الماركسية وجعلتهم اعداء للوطن والقومية.

وقد شذ من الحكماء حلفاء الماركسيين اثنان فقط هما: ارنت بوهر مدير البوليس، ومستشاره الدكتور فريك. هذان الموظفان الكبيران اللذان كانا المانيين قبل ان يكونا موظفين.

في مساء الرابع والعشرين من شباط، دخل على قاعة الاجتماع ما لا يقل عن الالف شخص. وكان نصفهم على الأقل من الشيوعيين والفضوليين الذين حضروا للتشويش... وكانت النتيجة عكس ما قرروه.

عندما بدأت خطابي شرع اعداء الحركة في التشويش فقاطعوني عدة مرات، ولكن تصدي بعض الزملاء من ذوي العضلات المفتولة فرض الهدوء نسبياً، وبعد نصف ساعة طغى التصفيق على الهتافات المدائية. وعندما شرحت للحضور منهج الحزب طغت أصوات الاستحسان والموافقة على صراخات الاستنكار. وعندما تلوت على الجمهور المقترحات الخمسة والعشرين اقرها الأعضاء بالاجماع وفي جو حماسي رائع. وهكذا خطبت في مواطنين جميعهم ايمان جديد وارادة

جديدة . وعلمت وانا ارى الناس تتدافع إلى الخارج بعد انتهاء الاجتماع ان
حركتنا ستتشر بسرعة خاطفة في اوساط الشعب الالماني .
ان جرة قد اتقدت في تلك الامسية من شباط ، ومن لهيبها سيخرج
السيف الذي يعيد إلى سيففريد الجرمانى حريته وإلى الأمة الالمانية الحياة .
لقد تراءى لي موكب البعث وهو يتحرك ، وخيل الى ان آله الانتقام قد
هب ليمحي عار التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ .
..... وتابعت حركتنا سيرها :

الفصل الثاني عشر

في اجتماع ٢٤ شباط وضعت حركتنا المخططات والمبادئ التي ستضع حداً لفوضى الآراء ذات الأهداف الغير قومية . والان بقي ان تنتقل حركتنا الى خطوات جديدة حاسمة توقف الأحزاب البورجوازية من سباتها العميق .

فعندما تعتمد الأحزاب البورجوازية إلى تغيير منهجها ، يكون هاجسها التودد إلى الناخبين . وبمجرد ان يشعر محترفو السياسة أن الشعب بدأ يبرم بهم حتى يسارع كل حزب يمثلوه إلى بث الخبراء والمنجمين ليجثوا عن رغبات الشعب ومطالبه . وعلى ضوء التقارير التي يرفعها الخبراء تعتمد الأحزاب إلى تغيير مناهجها أو تعديلها وحتى إلى تبديل مبادئها اكراماً للناخبين . كما لا يخفى عليها أن تضمن في مبادئها الوعود الخلابه للفلاح بحماية انتاجه ، كما تعد الموظفين بزيادة رواتبهم ... وما تلبث هذه الوعود ان تبخر بعد المعركة الانتخابية ، ويرجع « ممثلوا الأمة » إلى عوائدهم السابقة في خدمة مصالحهم الخاصة فقط .

هذه المهزلة التي تتكرر كل أربع سنوات ، ليست الوحيدة ، فاننا نجد بين المواطنين من يؤمن أن في مقدرة الأحزاب البورجوازية منازلة الأحزاب الماركسية المنظمة وهزمها بواسطة الديمقراطية الغربية ، وقد فاتهم ان الديمقراطيين لن يفكروا في منازلة الماركسيين ، بل يتعاونوا معهم إذا كان في ذلك مصلحة لهم . وفي اليوم الذي تبنى فيه البرلمانيون البورجوازيون فكرة الأخذ بمبدأ الاكثرية

البرلمانية لضمان الاستقرار المنشود ، أي في اليوم الذي تبناوا مفهوم الغرب للديمقراطية ، عمد الماركسيون واليهود إلى الاستيلاء على الحكم عن طريق الأكثرية ، وذلك بفضل الديمقراطية الغربية ، ومن ثم تخلوا عن هذه الديمقراطية التي أوصلتهم إلى سدة الحكم . فالماركسية تماشي الديمقراطية حين تكون عاجزة عن فرض نفسها وتحقيق اغراضها بطرقها الخاصة ، وهي اليوم تستعمل هذه الطريقة في تحالفها مع الاحزاب البورجوازية . ولكنها يوم ان تشعر ان الاكثرية البرلمانية قد ناصبت الشيوعية العداء ، فسرعان ما يتخلوا عن الديمقراطية ويتوجهون الى البروليتاريا وينتقل الصراع من البرلمان الى الشارع ، ولا يصعب على الماركسية في هذه الحال ، تصفية حساب الديمقراطية في اسرع وقت . وقد اظهرت الحوادث عام ١٩١٨ عقم كل محاولة لوقف الغزو اليهودي بالطرق التي تستعملها الديمقراطية الغربية .

لذلك وجب علينا افهام انصارنا وشعبنا اننا حزب ذو عقيدة وأننا نأبى على الحركة أن تنقلب الى جمعية تضم الانتهازيين والوصوليين وقد ركزنا على ايضاح مفهوم الحزب للدولة ، لأن فكرة الدولة قد شوحتها تعاليم كارل ماركس والنظريات المتدفقة من الخارج .

*

اقترح بعض الرفاق على وجوب وضع العنصرية كواحدة من الأسس التي يقوم عليها الحزب . ولكنني اعترضت على الاقتراح لأن العنصرية بمفهومها الشائع لا تزال تعبيراً مطاطاً يدل على أكثر من مدلول . ولا تصلح بالتالي اساساً للعمل النضالي المشترك إلا بعد أن نحدد معناها بوضوح . واستطعت بعد ذلك اقناع زملائي يجعل العنصرية قاعدة رئيسية بعد أن نتفق على تحديد مهمة الدولة أولاً وتحديد مدلول العنصرية نفسها كمفهوم فلسفي ثانياً .

أن بعض المفاهيم الفلسفية الشائعة تعزو إلى الدولة امكانية الابداع والتوازن ، كما أن الدولة هي وليدة ضرورات اقتصادية وسياسية . فهذا المبدأ يؤدي حتماً الى تجاهل القوى البدائية المرتبطة بالعنصر ، والى الاقلال من قيمة الفرد .

وبديهي ان يخطيء من ينكر وجود فروق بين الاجناس من ناحية امكانيتها
للإبداع ووضع الأسس الحضارية ، لأن تساوي الاجناس يؤدي الى تساوي
الشعوب والافراد . وقد تبنى ماركس هذا المبدأ لجعله عقيدة سياسية ، ثم نقه
وهذبه وجعله منسجماً مع مصلحة ابناء جلدته اليهود .

ان الماركسية هي خلاصة المفهوم السياسي والفلسفي للدولة ، لذلك لا يتمكن
من مما نسميه « العالم البورجوازي » ، أن يقف في طريقها أو يقلل من
نشاطها ، لان العالم البورجوازي هذا قد تشبع هو ايضاً بتلك السموم التي ينفثها
كارل ماركس واليهودية العالمية ، والمبادئ التي يعتنقها تختلف اختلافاً بسيطاً
عن المفهوم الماركسي . إذن فالبورجوازيون ماركسيون ، ولكنهم يقولون
بأمكانية سيطرة جماعة معينة من الناس (البورجوازية) بينما تهدف الماركسية
الى إخضاع العالم كله لسيطرة اليهود .

اما المفهوم العنصري للدولة ، كما حدده حزبنا فيما بعد ، فانه يقيم وزناً
للاعراق البدائية ويعتبر الدولة حاملة رسالة الحفاظ على كيان الاجناس البشرية .
ولا تعترف العنصرية بتساوي الاجناس ، مما يجعلها تؤيد بقاء الاصلح والأقوى
وبالتالي خضوع الضعيف لها ، وذلك انسجماً مع المبدأ الارستقراطي للطبيعة .
والعنصرية بتنكرها لمساواة الاعراق تنكر ايضاً تساوي قيم الافراد ، أي
انها تنكر حق البقاء لكل عنصر ضعيف وضعيع يحاول الاختلاط بالعناصر
المتفوقة واضعافها ، لأن عالماً تحتاجه سلالة من الزنوج لا بد له من الاضمحلال بعد
أن تتشوه فيه مفاهيم الحق والجمال .

الفصل الثالث عشر

في الدولة

هناك ثلاث نظريات في الدولة :

اولاً : النظرية القائلة أن الدولة ليست إلا تجمع اناس بمحض ارادتهم وخضوعهم لسلطة حكومة من الحكومات .

واصحاب هذه النظرية يؤلفون الكثرة . فهم ينادون بمبدأ الشرعية ولا يقيمون أي اعتبار للشعب ، فيكفي أن تقوم الدولة لتصبح مقدسة وقد يبلغ بهم الحرص على حماية نظريتهم السخيفة هذه ، إلى دعوة الناس للتعبد للدولة وسلطانها . فالدولة حسب قولهم ، لم توجد لخدمة الناس ، لذلك وجب على الناس أن يعبدوا سلطانها ، هذه السلطة التي ينفذها اناس مثلهم . وقد جعلوا المبرر الوحيد لوجود سلطة الدولة ، الحفاظ على النظام والاستقرار ... وقد مثل هذه النظرية في ألمانيا جماعة المحافظين ، مع الأسف .

ثانياً : نظرية الذين يقولون أن وجود الدولة يخضع لاستيفاء شروط معينة . فالخضوع لسلطة واحدة يجب أن يتبعه وجود لغة واحدة للسكان . ويقولون أن سلطه الدولة ليست المبرر الوحيد لوجودها ، إذ يجب عليها أن تؤمن للمواطنين الازدهار والرفاهية ، لذلك لا يطلب احاطة الدولة بهذه القدسية طالما هي

موجودة . وخلاصة القول ان اصحاب هذه النظرية يريدون من الدولة ان تعطي الحياة الاقتصادية شكلاً يتلاءم مع مصلحة الفرد . وهذه النظرية ممثلة عندنا في البورجوازية المتوسطة .

ثالثاً : نظرية الذين يرون في الدولة وسيلة لبلوغ اهداف استعمارية أو توسعية غير واضحة المعالم . فهؤلاء يطالبون بإنشاء دولة شعبية متحدة العناصر ، ذات لغة مشتركة ، باعتبار أن وحدة اللغة تساعد على توجيه الفكرة القومية توجيهاً معيناً .

في القرن الماضي توسع بعض المفكرين في تفسير الحركة الجرمانية ، ولا زال اذ كر . الجدال الذي قام بين صحيفتين في فينا حول اهداف الحركة الجرمانية وامكاناتها . فقد ذهبت احدهما إلى القول انه من الممكن « جرمنة » الصقالبة من ابناء البلاد . ولكن الخطأ في هذا القول هو ان « الجرمنة » يقصد بها جمع الجرمان في دولة واحدة . أما الجرمنة المقصود بها التوسع ، فهذه تطبق على الأرض وحدها لا على الناس . الا يبدو سخيفاً من يقول أن بالامكان « جرمنة » صيني أو زنجي بمجرد تعليمه اللغة الألمانية ؟ أن هذا النوع من الجرمنة ، أي عن طريق اللغة ، يعطي نتائج عكسية لأنها تقضي باختلاط الألمان الحقيقيين بالأجناس الوضيعة التي ليس لها من خصائص الجرمانية إلا اللغة... فالقومية ، أو بالأحرى ، فالعرق هو مسألة دم لا مسألة لغة .

ينبغي لنا ، في هذه المناسبة ، أن نعبط أنفسنا على فشل « الجرمنة » التي أراد جوزيف الثاني تطبيقها في النمسا . فلو نجح في مخططه لادى ذلك إلى بقاء النمسا على قيد الحياة ، وبالتالي ادت هذه المحاولة إلى انخفاض مستوى الأمة الألمانية لتخالطها مع اقوام هم أدنى منها بمراحل .

لم ننسَ ما كان من أمر اليهود الذين هاجروا إلى اميركا على أنهم المان باعتبارهم يتكلمون اللغة الالمانية ، فقد حسبهم الاميركيون علينا ، ولما ضاقت ذرعاً بهم شملت تدابيرها الألمان الحقيقيين .

*

ان النظريات الثلاث التي شرحناها تتجاهل اهمية العرق كأساس ترتكز عليه القوى المبدعة والقيم ، كما تغفل الدور الهام الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه . فالبورجوازية بتجاهلها اهمية العرق ودور الدولة فيه فتحت الطريق أمام العقائد والمذاهب السياسية واهمها المذهب الذي ينكر وجود الدولة . لذلك فالمعركة التي تقودها ضد الماركسية هي معركة خاسرة حتماً ، لأن خصمها اكتشف نقاط الضعف وراح يحاربها بالسلاح الذي وضعته في متناوله .

لذا وجب على الحزب الجديد ، ما دام يعمل على صعيد المفاهيم العنصرية ، ان يبدأ بتعريف الدولة وتحديد مبررات وجودها ، كما ان المبدأ الاساسي الذي يجب ان يعرفه هو أن الدولة وسيلة لا غاية ، واعتبارها سبباً من مسببات الحضارة ، دون ان تكون المبعث الوحيد لهذه الحضارة . ذلك انه لا يمكن ان نتصور حضارة قابلة للاستمرار دون وجود العرق المتفوق القادر على خلقها ودعما . ويمكن القول أن وجود الدول لا ينتفي معه احتمال زوال الجنس البشري في حال زوال من يمثل العرق المتفوق ، مؤسس الحضارة المثلى ، لأن زوال هذا يفضي حتماً الى تجريد البشرية من طاقة المقاومة والاحتمال وموهبة الخلق .

لنفترض ان زلزالاً ضرب الارض ومن فيها ، وقضى على معالم الحضارة كلها . ولكن صدف أن نجت بضعة كائنات بشرية تنتمي الى عرق متفوق ، فإنها لا تلبث أن تستأنف الخلق والابداع وتنشيء حضارة جديدة ترجع بالارض الى وضعها السابق . ولدينا من أمثلة التاريخ ما يؤكد أن الدول التي وضع أسسها عرق غير مؤهل ، تمجز عن الصمود في وجه الزعازغ .

لذلك فالشرط الاساسي لبقاء الشعب المتفوق هو بقاء العرق ذو المواهب المبدعة ، لا بقاء الدولة . فالمواهب تكمن في الإعراق بانتظار الفرص المناسبة لتبرز ، وهكذا كانت حالة الجرمان قبل النصرانية . فالقول ان الجرمان كانوا برابرة لا يستند الى الحقيقة والواقع ، لأن المناخ في المناطق الشمالية التي

سكنها الجرمان فرض عليهم نوعاً معيناً من الحياة كان سبباً في تأخير نمو طاقتهم المبدعة ، ولو انهم سكنوا المناطق الجنوبية ووجدوا العتاد البشري الذي تقدمه الاعراق الوضيعة لتمكنوا بفضل طاقة الابداع الكامنة فيهم من ايجاد حضارة تفوق حضارة الاغريق .

يستخلص مما ذكرنا المبدأ الاساسي التالي :

الدولة هي الوسطة لبلوغ الغاية والغاية هي الحفاظ على جماعة من الناس ينتمون روحياً ومادياً الى عنصر واحد . ويترتب على الدولة بالاضافة إلى توفير أسباب النمو لهذه الجماعة ، أن تعني بالمحافظة على مميزات العرق لأن بقاء هذه المميزات ضروري لتنمية المواهب الكامنة في هذا العرق .

فالدولة العنصرية التي نطالب بها ستكون مهمتها الاولى السهر على بقاء ممثلي العرق البدائي الذي قدم للعالم حضارة من اسمى الحضارات واجدرها بالبقاء ونحن كاريين نفهم الدولة انها جهاز يوفر للشعب مقومات وجوده وينمي مواهبه . أما الدولة التي يريدون فرضها علينا هي ثمرة افدح الاخطاء البشرية . ولا نجهل ان خصومنا جادين في عرقلة مساعيها . ولكن لن نلتفت لما يقولونه لجيلنا هذا ، لأننا نقصد بحركتنا هذه الأجيال المقبلة التي ستباركها وستقدر اهميتها العظمى .

*

على ضوء هذه المبادئ والنظريات التي قدمناها يمكننا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن نجعل من الدولة ما يفترض بها ان تكون ، وان نقيس مدى نفعها من خلال مصلحة البشرية كلها .

ان الدولة تمثل شكلاً أو هيكلًا ، فإذا اصبح الشعب ذو شأن كبير في ميدان العلم والفن والحرب وغيره ... فهذا التقدم لا يصلح مقياساً لنفع الدولة التي تحضنه . لا شك ان شعباً ذا مواهب هو اقدر على الظهور بمظهر لائق من قبيلة زنجية مثلاً . ومع ذلك فربما تكون الدولة التي ينشئها هذا الشعب اسوأ حالاً

من القبيلة الزنجية . فالدولة تقضي على العرق الذي أوجد الحضارة اذا هي سمحت
أو كانت السبب في زوال مواهبه المبدعة وقد رته على الخلق .

وعلى هذا الأساس تقدر قيمة الدولة بمقدار النفع الذي عادت به على شعبها .
فعندما نأتي على ذكر رسالة الدولة ، فهذه الرسالة هي التي يضطلع بها الشعب ،
أما هي فميتها الأساسية تنحصر في توفير أسباب النمو لهذا الشعب . فاذا قلنا
نحن الألمان : كيف يجب أن تكون الدولة التي تحتاج إليها امتنا ؟ تعين علينا
توضيح نقطتين : من هم المواطنون الذين يجب ان تضمهم الدولة ؟ وما هي الأهداف
التي يجب ان تعمل لها ؟

اسارع إلى القول أن شعبنا الألماني لم يبق له العرق المتجانس أساساً ،
فالاندفاع الذي تم بين العناصر البدائية لم ينبثق عنه عرقاً جديداً . فالاختلاطات
المتتالية التي سببت تمكيد دم شعبنا ، سببت بالتالي انحلال الشعب الألماني روحياً
وجسدياً . ذلك أن حدود وطننا المفتوحة ، والتماس المستمر مع أجهزة سياسية
غير المانية على طول مناطق الحدود ، ودخول الدم الأجنبي ، فهذا التجدد المستمر
لم يتح الوقت الكافي لتحقيق الاندماج الكامل الذي يجب ان ينبثق عنه عرق
جديد . وترتب على هذا النقص انعدام التجانس بين السكان .

ان ما يسمى عندنا « الفردية المبالغ بها » هي نتيجة التجاور بين السكان دون
التوصل إلى الاندماج فيما بينهم . وربما كان لهذا التجاور المتحفظ بعض المزايا
اثناء السلم ، ولكنه يصبح وبالاً على الأمة اثناء الحرب . ولو تكاتف الشعب
الألماني في تاريخه الطويل لاستطاع الرايخ الألماني ان يسود العالم .

وقد ترتب على افتقار شعبنا إلى اللحمة التي يوفرها الدم الواحد ، قيام عواصم
للعديد من صفار الأمراء الألمان وحرمان الشعب من حقوقه الأساسية كسيد ،
وفي أيامنا الحاضرة يعاني شعبنا الأمرين من جراء هذا النقص . ولكن ما كان
سبب شقائنا قد يصح مصدر خير وبركة في المستقبل ، لان فقدان هذه اللحمة
بين العناصر البدائية التي كانت تؤلف عرقنا ، يقابله لحسن الحظ بقاء دم فريق

من الألمان سليماً طاهراً ، مما يشكل ضماناً لمستقبل شعبنا . وزيادة في الايضاح اقول : ان الأمتزاج الكامل بين العناصر البدائية سيؤدي ، لو تم ، إلى نشوء شعب قادر على التطور ، ولكن الحضارة لن تظهر بالمظهر الذي يمكن ان تظهره على ايدي العناصر الممثلة للعرق المتفوق ، الذي أبتدع الحضارة . لذلك ولحسن الحظ بقي في شعبنا قوى احتياطية تتمثل ببناء العنصر الجرمانى . قوى حافظت على نقاء دمها وطابعها المميز ، مؤلفة نواة صالحة لاجيال تتمكن من النهوض بشعبنا ودفعه إلى عجلة التقدم .

*

أن عهد الجلود والانتكال واللامبالاة ، سيتبعه عهد من النضال الشاق والكفاح المرير . فالنصيلة التي لا تستعمل يتآكلها الصدأ ، ومن يطلب النصر عليه بالهجوم لانه الطريق المؤدى للنصر .

ان الصعاب التي تنتظرنا في كفاحنا من أجل نشر مفهومنا الجديد للدولة ، تكمن في عدم وجود مناضلين يثبتون معنا في الكفاح الطويل . فمجتمعنا هرم لا هم له إلا الابقاء على الحالة الراهنة ... لكن الصعاب والعقبات ستقوي من همتنا لأنها تبرز عظمة الرسالة التي نحملها . وستكون الدعوة إلى الحرب الاشارة التي يترقبها المناضلون . وليعلم الوطنيون الاشتراكيون أنه متى اتحد عدد من الرجال متصفين بصفات العزم والقوة واضعين أمام أعينهم هدفاً معيناً ، فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يمسكوا بزمام القيادة . فالتاريخ صنعته النخبة ، وهي الأقلية . ففي كل مرة كانت الأقلية العددية مجسدة للارادة والجرأة .

والطبيعة بدورها تتدخل لتصحيح نتائج الاختلاطات التي تعمكر نقاء الأجسام البشرية ، فهي لما ترحم الخضرمين ولاسيما السلالات الأولى حتى الجيل الخامس ، وتجردها من المميزات التي كانت للعنصر البدائي المتفوق الذي كان شريكاً في الاختلاط . فاهيك بما يترقب على انعدام وحدة الدم من تضارب بين الارادات والقوى الحيوية . ففي الظروف الحرجة يتخذ الانسان ذو الدم الصافي قرارات

حكيمه ومنسجمة ، أما المخضرم فانه يفقد توازنه والسيطرة على اعصابه ، وينتهي به الأمر إلى الخضوع للإنسان ذي الدم الصافي ، ويكون في الغالب عرضة للزوال السريع .

وفي بعض الحالات تضطر بعض الشعوب المتفوقة إلى الاختلاط بشعوب وضيعة . ولكن ما أن تزول هذه الحالات الاضطرابية حتى تميل العناصر السليمة إلى الاختلاط بشكل ترضى عنه الطبيعة : الاختلاط بين الدم الواحد ، فلا تلبث سلالات المخضرمين ان تقف على الهامش ، فتصبح مقاومتها مستحيمة .

لذلك وجب على الدولة الجرمانية ان تمنع كل اختلاط جديد ، وعدم الالتفات الى الدعوة اليهودية الماركسية التي تطلب ازالة الحواجز الفاصلة بين الاجناس ، وعدم الالتفات الى احتجاج انصار الاختلاط على المساس بحقوق الانسان المقدسة . فالانسان له حق مقدس واحد هو السهر على بقاء دمه نقياً طاهراً ، ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها . وعلى الدولة العنصرية أن ترفع مستوى الزواج لتعيد إليه قدسيته كمؤسسة تهدف إلى خلق كائنات على صورة الله ومثاله ، لا مسوخ تشبه القروء .

ان البورجوازيين يعترضون علينا لأننا نطلب منع التزاوج بين المصابين بالامراض الزهرية ، وذوي العاهات ... ولكنهم في نفس الوقت لا يمانعون في استعمال الوسائل التي يستعملها الاصحاء لمنع الحمل ولإتلاف الزرع البشري . والاغرب من ذلك ان الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية تتذمران من موجة الاتحاد العاقية ، ولكنها لا تعملان لوقف هذه الموجة ، بل تلتفتان الى الزواج محاولة افهامها اشياء لا يمكنهم فهمها ... فلو تركت الكنيستان الزواج وشأنهم لتفهما الشعب انه من الافضل عند الله ان يقوم الضعفاء وذوي العاهات بتبني الايتام بدلاً من خلق اولاد مرضى وضعفاء يكونون عالة عليهم وعلى امتهم .

يتحتم على الدولة العنصرية ان تسد هذا النقص يجعل العرق محور حياة الجماعة ، ساهرة على بقاءه نقياً . وعليها ان تجعل من الولد اثنى ما في حوزة

الشعب ، وان تحصر حق التناسل بالاصحاء فقط . بل يجب ان تعلن ان التزاوج بين المرضى وذوي العاهات هو فعل منكر ، وأن انبل عمل يقدمونه هو عدم التناسل . وفي نفس الوقت يجب على الدولة ان تعاقب كل من يتمتع بصحة جيدة ويستعمل طريقه منع الحمل .

نعم ، يجب على الدولة أن تتدخل ، فتدخلها هذا هو لمصلحة الشعب ومستقبله . وعليها ان تستخدم الطب والعلم لمنع تناسل غير المستحقين وغير المؤهلين ، فتجردهم من القدرة على التناسل . كما ينبغي عليها أن تضع حداً لتحديد النسل بين العائلات الفقيرة التي تحشى تعدد الاولاد وذلك بتشجيع الاقوياء منهم عملياً . فيطمئن المتزوجون إلى مستقبل أولادهم دون هموم وهواجس .

الا تعتبر جريمة بحق المجتمع أن ينقل المريض امراضه إلى ذريته ؟ فعلى الدولة ان تفهم الفرد أن كون الانسان مريضاً ليس عيباً ، انما هو محنة تثير الشفقة ، ولكنه يتحول الى جريمة يوم يورث المريض داءه او عاهته إلى مخلوق آخر بري لا ذنب له . فالبلبسية تتمكن من انقاذ نفسها ان اعتمدت هذا الاسلوب لبضعة قرون .

يمكن للدولة خلق عرق سليم خال من العاهات ، ان هي اخضعت الاقاليم المكتسبة حديثاً لشروط مدروسة ، وانشأت لجاناً خاصة تقوم بالترخيص للأفراد بإنشاء مستعمرات ضمن هذه الاقاليم . ولا يعطى الترخيص إلا لمن يثبت انماؤه الى العرق اؤسس للحضارة كما يثبت بقاء دمه نقياً طاهراً . وبذلك تقوم المستعمرات النموذجية على سواعد اشخاص يمثلون العنصر المتفوق ويتحلون بصفاته الفريدة ، ويؤلفون النواة الصالحة لشعب جديد .

يبقى على الدولة العنصرية توفير المناخ لنمو الجيل الجديد ، وعندها يكف الناس عن الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب ، لينصرفوا إلى تحسين النوع البشري ، وبذلك يبلغ المجتمع حداً من الرقي لا تحتاج منه الدولة إلى فرض الرقابة على عملية التناسل ، فغير الصالحين سيمتنعون من أنفسهم ، والصالحون يضطلعون بها بأخلاص تام .

يبدو هذا للقطيع البورجوازي حلاً صعب التحقيق . لأنه ليس هناك من شاغل لهم إلا الاهتمام بالكاسب ، وليس لهم من معبود سوى المال ... ونقول لهم حين يقلبوا شفاهم مرتابين لهذه النتيجة نقول أليس هناك آلاف من الرجال والنساء نذروا أنفسهم للشرائع الدينية ، ممتنعين عن التناسل فاضمين على أنفسهم التبتل ؟ فلم لا يكون هذا ممكناً بالنسبة للمواطنين الغير صالحين للتناسل حين يحل محل تعاليم الكنيسة ووصاياها انذار توجهه الدولة إليهم تفرض عليهم وضع حد للخطيئة الاصلية الحقيقية ، وان يمجّدوا الخالق القادر بسلالات تكون على صورته ومثاله ؟

*

مق علمنا ان أول واجب للدولة هو المحافظة على افضل عناصر العرق وتوفير المناخ الملائم لنموه ، يتبين لنا ان مهمة الدولة التالية تكون في تربية النشء تربية تتيح له في المستقبل المساهمة في رفع مستوى الجماعة . وغني عن القول ان أول اهداف التربية يجب ان تكون في المحافظة على صحة الافراد . ففي معظم الحالات نجد ان العقل السليم في الجسم السليم .. والدولة العنصرية التي تدرك هذه الحقيقة ستعمل على اعطاء الامة اجساماً سليمة قوية أما التعليم وحشو الادمغة فيأتي بالمرتبة الثانية .

يجب على الدولة العنصرية ان تنطلق من المبدأ التالي : الرجل السليم الجسم القوي الارادة ، المقدام ، هو المعضو النافع للمجتمع . والرجل المحدود الثقافة انفع من رجل ذي عاهة مهيا بلغت مواهبه العقلية . كما ان شعباً من العلماء الضعفاء جسدياً ، الضعفاء الارادة ، المبشرين بسلام مشبوط للعزيمة - ان شعباً هذه صفاته يمجز حتى عن توفير ما يكفل بقاءه على هذه الارض وفي الجهاد الذي يحتمه علينا القدر لن ينهزم القوي جسدياً ، وإنما الخاسر المهزوم هو الذي يستمد من معرفته وعلومه قرارات غير مجدية ، بل بعيدة عن روح الرجولة وينفذها بطريقة تثير الشفقة .

يجب ان يكون هناك انسجاماً بين الماديات والمعنويات ، فالجسم المصاب بمرض الجذام مثلاً ، لن يعيد إليه الاشعاع الفكري جماله ونضارته .

ان العناية بتقوية الاجسام هي من أولى خصائص الدولة العنصرية ، وذلك لأرتباطها الوثيق بصيانة العرق أو الشعب الذي تمثله هذه الدولة وتحميه . لذلك يجب على الدولة الاعتناء بالنشء الجديد وتقوية اجسادهم منذ الطفولة ، وذلك بأرشاد الامهات بطريقة عملية لينموا ويتزعموا في أحسن الحالات . كما يتوجب على المدارس الاعتناء بالرياضة البدنية ، لأن التمارين الرياضية تنشط الجسم والعقل معاً . ولا يجوز ان يمر يوم دون ان يمارس الفتى مختلف انواع الرياضة لمدة ساعتين يومياً على الأقل . وهناك رياضة هامة هي الملاكمة ، هذا النوع من الرياضة الذي يعتبره « المصريون » نوعاً من البربرية . فالملاكمة تنمي روح الكفاح وتروض العقل على التصميم والتنفيذ بسرعة خاطفة ، كما تجعل الجسم صلباً دون أن يفقد شيئاً من مرونته . فالرجل الذي يحرص على كرامته يجب ان يدافع عنها بقبضة يده ، ولا يقبل على نفسه بأطلاق ساقيه للريح إلى اقرب مخفر ليشكو أمره إلى الشرطة ... أن مهمتنا خلق رجال اقوياء يتحلون بالجرأة والاقدام ، ونساء مؤهلات لأعطاء الوطن رجالاً حقيقيين .

فلو مارست الطبقات العليا الرياضة البدنية إلى جانب الدرس والتحصيل ، لو أنها مثلاً مارست الملاكمة الى جانب الرقص ، لما تمكن الخونة من اشعال نار الثورة في المانيا ، لأن الثورة لم تنجح بفضل شجاعة واقدام القائمين بها ، وإنما نجحت لأن الحكام كانوا جبناء مترددين . فقد واجهوا قبضات الخربين واسلحتهم بالاسلحة الفكرية ، وقد تقلبت الفوغائية لأن معاهدنا انشأت رجالاً موظفين وكتاب واساتذة ولم تنشئ رجالاً شجعان .

أن التربية البدنية لا تصنع العجائب ، فمن كان جباناً اصيلاً لن تتمكن الرياضة من جعله شجاعاً جسوراً ، ولكن الشجاعة لوحدها لا تكفي بل يجب

ان ترافقها القوة البدنية . وقد ادركت قيادة الجيش هذه الحقيقة وعملت على
ضوئها ، فمهرت البلاد في السلم بجيش شجاع رابط الجأش قادر على تحمل المشاق ،
وقد رأينا جيشنا البطل في صيف عام ١٩١٤ ينطلق لملاقاة الموت كأنه ذاهب
الى حفلة عرس . فهذه الثقة بالنفس هي ثمرة التربية البدنية التي تنمي الشخصية
وتبلورها ولاسيما الشجاعة وروح النضال .

ما احوج شعبنا اليوم إلى هذه الثقة بالنفس ! أن الدولة العنصرية ستربي
النشء على فكرة أن شعبنا متفوق على سائر الشعوب ، وستعبد اليه ايمانهم بمقدرات
وطنة والثقة بمستقبل أفضل .

*

لن يكون اهتمام الدولة العنصرية مقتصرأ على انماء القوى الجسدية بل
سيكون الأهتمام ملاحقاً للنشء ما دام هو بحاجة اليه . فنحن اليوم نلاحظ اهمال
الدولة لشؤون التربية . فالشبيبة تتردى في مهاوي الرذيلة ، فلا تجد من يردعها
ويعني بتربيتها خلقياً وجسدياً .

فعلى الدولة العنصرية أن تكلف مؤسسات خاصة تابعة لها للقيام بمهمة التربية
البدنية ، بحيث تكون هذه التربية كمرحلة اعدادية تؤهل الشبيبة للالتحاق
بالخدمة العسكرية ، بحيث لا يتطلب من الجيش اعادة انماء قواهم الجسدية ، بل
يتلقاها بصفته معهداً للتربية القومية . فيتخرج الشاب من مدرسة الخدمة
العسكرية حاملاً شهادتين : شهادة المواطن التي تتيح له الحصول على وظيفة ،
وشهادة صحية تثبت صلاحيته للزواج .

وهذا سيتطبق أيضاً على الاناث ، وستكون غاية التربية النسوية اعداد
الفتيات للاضطلاع بدورهن العظيم يوم يصبحن امهات الغد .

*

بعد التربية الجسديه يأتي دور التربية الخلقية :
لا شك أن بعض الطباع ثابتة لا تتغير . فالاناث يبقن اناثاً والمثالي يبقن
مثالياً ، وهناك ملايين الطباع المائمه التي لا تستقر على حال .

فالمحرم بالفطرة يبقى على إجرامه ، ولكن ربما تمكن المجتمع من إصلاحه وجعله عضواً نافعاً . وهناك طباع مائعة تتطور لتصبح شريرة ، إذا لم يتعهدوا المجتمع بالتربية اللازمة . وكثيراً ما تدمرنا ونحن في الجبهة من نزعة متأصلة في شعبنا وهي الثروة . فكان الرؤساء يلاقون صعوبة كثيرة لمنع تفشي الاسرار العسكرية للعدو ، وذلك بسبب ثروة بعض الافراد من شعبنا . فهل فكر المربون ، يوماً ما ، في إفهام النشء الجديد أن الثروة عيب كبير ، وأن الكتمان هو فضيلة يتصف بها الرجال الأفذاذ .

إن المربين يعتبرون هذه القضية تافهة ، ولكنهم لو فكروا قليلاً لظهر لهم أن تسعين بالمئة من قضايا القدر والذم والافتراء ناجمة عن الثروات الفارغة ، كما أن المصالح الاقتصادية تتضرر باستمرار لأن الثرثارين يفشون أسرار الصناعات ، وحق الأسرار العسكرية لم تسلم من ثرثرتهم ، فترتب على ذلك خسارة معارك كثيرة .

ولا يغرن عن بالنأ انه من المستحيل تقويم الخلق المعوج بعد أن يكتمل المرء نضوجه . لذلك يجب أن تبدأ التربية في البيت حيث يتولاها الآباء والأمهات ، ثم المدارس .

أما اليوم فلا نجد أي اثر للتربية الخلقية في مدارسنا . ولكن الدولة العنصرية ستعطي هذه الناحية اهتمامها الزائد فتعلم النشء الجديد أن الإخلاص ونكران الذات والتحفظ فضائل يجب أن يتحلى بها كل شعب عظيم . كما ستدعو المربين الى تدريب التلاميذ على تحمل الألم والظلم بصمت ورباطة جأش ، لكي تجعل منهم في المستقبل جنوداً ثابتي الجنان ، قاديين على أداء واجبهم في أشد الظروف وأقسى الحالات .



سيكون من مهام التربية في الدولة العنصرية العمل على تنمية قوة الإرادة وروح الإقدام ومواجهة المسؤوليات .

في الماضي كان الجيش يأخذ بالمبدأ القائل : « الأفضل للقائد أن يصدر أمراً

ما ، بدلاً من أن يحجم عن إصدار الأوامر . ، وفي أيامنا يجب إفساح النشء ان
الخوف من تحمل المسؤولية هو الذي عجل بكارثة ١٩١٨ . ففي كانون الأول
من العام المذكور ، أحجم الجميع بما فيهم السلطات عن تحمل المسؤوليات ،
وتركوا ممارسة صلاحياتهم ، كما تركوا الزمام يفلت من أيديهم . واليوم نجد
أنفسنا عاجزين عن إبداء أية مقاومة لا لأننا لا نملك السلاح ، بل لأننا لا نملك
الإرادة الحسنة . ألم يقل أحد القادة العسكريين : « أنا لا أقدم على خطوة ما لم
أضمن لها نسبة ٥١ بالمئة من النجاح . » فهذا القول يعطينا فكرة واضحة عما
وراء الكارثة وانهيار ألمانيا . فالذي ينتظر من الأقدار أن تضمن له النجاح ، لن
يكون له أي فضل في هذا النجاح ، وبالتالي يكون آخر من يعتمد عليه .
إن ضعف الإرادة والتهرب من المسؤوليات مبعثه سوء التربية وفساد الأسس
التي تقوم عليها . وهذه العيوب نجدها في الذين قاموا للاضطلاع بمهمة القيادة من
حكام وبرلمانيين وعسكريين ورؤساء أحزاب .. ولكن الدولة العنصرية ستولي
هذه الناحية اهتمامها البالغ وستضع أمامها هدف تحرير الشعب الألماني من هذا
الضعف الذي كان من جملة أسباب انهيار ألمانيا .

* * *

وستدخل الدولة العنصرية تعديلات ثلاثة على التعليم هي :
أولاً : نظام التعليم . ففي أيامنا هذه نجد التلاميذ مرهقين من جراء حشو
أدمغتهم بالمعلومات التي لا فائدة منها ، والتي لا يلبث التلميذ أن ينساها ، وإذا
علق في ذهنه شيء منها فلن يفيد في المستقبل .
يقول أنصار هذا الأسلوب ان المعلومات التي يتلقاها التلميذ تنمي فيه موهبة
التفكير والملاحظة . وهذا صحيح الى حد ما ، ولكن هذا السيل من المعلومات
تفرق دماغ التلميذ فلا يتمكن من الاستيعاب ولا يبقى له شيء من المقدرة
على التفكير والملاحظة . لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تعطي لكل
مواطن قدرأ كافياً من المعلومات تفيدته وتؤهله لخدمة المجتمع .
ما هي الحكمة من فرض تعلم اللغات الأجنبية ، علماً ان بضعة ألوف فقط من

الملايين الذين يتعلمونها يستفيدون منها في المستقبل ، أما سائر المواطنين فلا .
أليس من الأفضل تخصيص هذه الساعات التي يمضيها التلميذ في تعلم اللغة الانكليزية
والاسبانية والفرنسية والاستعاضة عنها بالألعاب الرياضية ؟ وبنفس الوقت جعل
تدريس اللغات الاجنبية اختيارياً ؟

كذلك على الدولة العنصرية أن تبدل من المنهاج التعليمي لمادة التاريخ .
فالتلميذ لا يعلم من الأحداث سوى تاريخ حدوثها ومكان حدوثها وأبطالها .
وقد كان لجهلنا التاريخ الباعث على فشل سياستنا الخارجية لأنه لا ينتظر من
رجل دولة أن ينجح في معالجة القضايا الدولية ، إذا كان جاهلاً بالخطوط الكبرى
للتاريخ .

إن التاريخ الذي يجب أن يتعلمه المواطن هو الذي يظهر الاسباب والعوامل .
فالمقصود من دراسة التاريخ استخراج المبرر منه لا معرفته فقط... وستجعل
الدولة العنصرية من التاريخ غاية لتعليم الالمان ما ينبغي لهم ان يعملوه لبناء
مستقبل أفضل . وستعمل على وضع تاريخ شامل تحتل فيه المسألة العنصرية
المقام الأول .

ثانياً : تعنى المناهج التعليمية في ايامنا هذه عناية خاصة بالرياضيات والعلوم .
فهذه المواد لها أهميتها في عصرنا هذا ، ولكن لا يجوز التركيز عليها وإهمال
المواد الاخرى كالتاريخ والجغرافيا والآداب ... وعندي أن تكون هذه المواد
هي المواد الأساسية . وإذا أراد الطالب بعد ذلك أن يتخصص في فن من الفنون
فله الاختيار .

ثالثاً : العزة القومية ، وهذا يجب إدراجه في المناهج التعليمية لدى الدولة
العنصرية . فالتاريخ الشامل وتاريخ الحضارة يجب أن يتجه هذا الاتجاه .
فالمؤرخ في الدولة العنصرية لن يقدم المخترع على انه رجل عظيم إلا لأنه يمثل

شعبه . وعليه أيضاً أن يسلط الاضواء على نوابغ شعبنا لتمتليء صدور المواطنين
بالفخر والاعتزاز ، حتى اذا تخرجوا من مدارسهم عملوا لوطنهم مضيفين أجداداً
جديدة إلى الأجداد السابقة .

وأخيراً ستبلغ الدولة العنصرية غايتها كمعلم ومربٍّ يوم تخلق في قلب
النشء فكرة العرق ، بحيث لا يترك مقاعد الدرس شخص إلا وقد اقتنع ان
نقاء الدم هو ضرورة حيوية .



هتلر والنازية

الفصل الرابع عشر

الدولة وتنشئة النخبة

سأبدأ هذا القسم بالتشديد على أهمية الدور الذي ستقوم به الدولة العنصرية في تنشئة النخبة أو الصفوة .

في أيامنا هذه لا يقام اي وزن للاستعداد الشخصي . فالتحصيل العالي مقتصر على أبناء الاغنياء والامراء وكبار رجال الدولة . ومن النادر أن نجد في الجامعات طالبا أبوه فلاح ، وإذا وجد وكان متفوقا فأبواب الوظائف المرموقة متقفلة بوجهه لأنها محفوظة لأبناء الوزراء والسياسيين والنبلاء والأغنياء . وهناك حقل واحد تتساوى فيه المواهب ، وهو حقل الفنون ، أما المال فليس له أي تأثير لأن الموهبة لا تشتري ولا تباع .

أنا لا أقول بوجود جعل التحصيل الجامعي أو الاختصاص في متناول الجميع ، فالنخبة تفرض نفسها على المجتمع ، لأن ما تبدعه هو ثمرة زواج الكفاءة والمعرفة . فمثلا يمكننا أن ندرّب رجلا عاديا ذا استعداد عقلي متوسط على استيعاب معلومات تفوق طاقته ولكن شأنه يبقى شأن الحيوان المدرّب ، فيقوم بحركات آلية مستقلة عن النشاط العقلي .

أجل فبواسطة التدريب العقلي يمكننا إعطاء الدولة جيشاً من الموظفين الذين يصرفون الاعمال تصرفاً آلياً ، وأن نتيج لكل بيت أن يقدم عالماً . ولكن العلم الذي يستوعبه العقل ، الغير مؤهل ، استيعاباً آلياً يبقى مادة ميتة ، فالموهب المولدة يصقلها الاكتساب ويستفزها للعمل ولكنه لا يوحدها... فمثلاً نجد في الصحف الفنية صوراً لزوج اشتهروا في فن الموسيقى أو برزوا في الطب أو السياسة أو تفوقوا على البيض في الملاكمة أو السباحة . فيقوم من بين المفكرين من يعرب عن سروره بهذه النتيجة التي أعطتها نظم التعليم الحديثة . أما اليهودي الحبيث فيجمل من هذه الظاهرة سنداً لنظريته التي يحاول عبثاً فرضها: المساواة بين الناس !

لو عادت البورجوازية المنهارة إلى عقلها ، لو وجدت ان هذا العمل هو تحديد لمشئة الخالق في ترويض مخاق هو نصف فرد بحيث يصبح طبيباً ، بينما هناك ملايين من أبناء العرق المتفوق لا يجدون عملاً يؤمن لهم قوت يومهم ، ويتيح لهم وضع مواهبهم في خدمة الحضارة . ففي اميركا الشالية ازداد عدد الاختراعات زيادة كبيرة خلال العشر سنوات الأخيرة ، لأن التحصيل العالي كان مقتصرأ على المؤهلين للخلق والابداع ، ذلك ان موهبة الاختراع تجد في المعرفة حافزاً ومغشطاً ، ولكن العلم بدون المواهب الطبيعية يبقى عاجزاً عن العطاء ، عقيماً

لذلك ، يجب على الدولة العنصرية أن تبحث عن أصحاب المواهب وتعهد اليهم بالمهام الرئيسية ، وبالتالي يجب عليها أن تفتح أبواب التحصيل العالي لأصحاب المواهب بنقض النظر عن مستواهم الاجتماعي . فهناك أكثر من دليل على عظمة المشروعات التي قام بها نابغون من أبناء الشعب . ناهيك عن العواقب التي تنجم عن استثمار طبقة معينة بالعلوم العالية . فقد نتج عن هذا الاستثمار ظهور طبقة من المفكرين مقفلة منظوية على نفسها تأنف من الاختلاط بالشعب ، مما يجعلها بعيدة عن الاحساس بقضاياها ، عاجزة عن تفهم مشاكله ونفسيته . يضاف الى ذلك ان حصر العلوم العالية بطبقة الأغنياء والنبلاء أدت إلى تسليم مقدرات البلاد لفئة من الرجال تنقصهم الجرأة والتضحية ، غير قادرين على

مواجهة الأحداث الصعبة .

لقد كان من سوء حظنا ، اضطرارنا إلى خوض معركة الحياة أو الموت في وقت كان فيه مستشار الرايخ فيلسوفاً . فلو قدر لألمانيا أن يتولى زمام الامور فيها رجل من أبناء الشعب لما ذهبت تضحيات جنودنا البواسل سدى .

يتعين على الدولة العنصرية أن تسهر على تظيم المثقفين بدم قوي هو دم الطبقات الدنيا . وعليها أن تغربل الرعايا بعناية ودقة لتستخرج الامتاد البشري الموهوب وتضعه في خدمة الجماعة . فوجود الدولة مرتبط بالخدمات التي تقوم بها ، وهذا لا يتم إلا بتنشئة رجال مؤهلين للاضطلاع بالمعبء .

يبدو أن تحقيق هذا الاصلاح متعذراً بالنسبة للبورجوازيين الذين سيدون الملاحظات الوجيهة : كيف يجوز أن نفرض على أبناء كبار الموظفين أن يكونوا عمالاً يدويين ، لنفسح المجال أمام أبناء الفلاحين ليحلوا محلهم في الجامعات العالية؟ إنه لا اعتراض وجيه بالنسبة لقيمة العمل اليدوي في مجتمعنا ، لذلك وجب على الدولة أن ترفع من مستوى العمل اليدوي وأن تتخذ من قيمة العمل ، لا من العمل نفسه ، أساساً للحكم على الفرد . أليس من الظلم أن يحتل كاتب قصة بوليسية سخيئ مركزاً في المجتمع أكبر من المركز الذي يحتله عامل ذو اختصاص؟

فللعمل قيمة مزدوجة : معنوية ومادية . فالقيمة المادية تتجلى بأهمية العمل من حيث تأثيره في المجتمع . فكلما ازداد عدد المستفيدين بالعمل ازدادت قيمته المادية . أما القيمة المعنوية فلا تتجلى بأهمية إنتاج العمل بل تتجلى بضرورته . ولا شك ان الفائدة المادية لاختراع ما ، يمكن أن تكون أكثر مما يقوم به العامل في يومه . ولكن خدمات العامل ضرورية أكثر من الاختراع الذي سيبقى مشروعاً جامداً إذا لم تتوفر له الأيدي اللازمة .

في دولة يسودها العقل يتوجب على الحكومات أن تعهد إلى كل مواطن بالعمل الذي يتناسب مع كفاءته . أما قيمة الفرد فمقياسها هو مدى نجاحه في أداء المهمة المنوطة به ، ومدى إفادته للمجتمع الذي أعده للاضطلاع بها . ونجاحه في ذلك العمل يعني انه استطاع أن يعيد للمجتمع ما سبق وتلقاه منه .

الفصل الخامس عشر

رعايا الدولة والمواطنون

تضم الدولة قسمين من الناس : قسم المواطنين ، وقسم الأجانب . فالمواطن هو الذي يتمتع بالحقوق المدنية بفضل منشئه أو تجنسه . أما الأجنبي فهو من يتمتع بالحقوق نفسها في دولة أخرى . وبين هاتين الفئتين نجد أحياناً الهامتلوز وهم الذين لم يتح لهم شرف الانتماء الى دولة ما ولا يتمتعون بالحقوق المدنية في البلاد التي يقيمون على أرضها .

إذن يكفي أن يولد الانسان في دولة ما ل يتمتع بالحقوق المدنية ، فليس للعرق أو الدم المشترك أي تأثير في ذلك . وهذا يعني انه يعتبر ألمانيا الوليد الزنجي الذي جاء أبواه إلى ألمانيا من إحدى المستعمرات ل يقيم إقامة مؤقتة أو دائمة ، كذلك يعتبر مواطنين أبناء اليهود والبولونيين والاميركيين والاسيويين الذين يولدون في حالات مماثلة .

وهناك طريقة أخرى للحصول على الجنسية الألمانية ، وتجعلها بالتالي في متناول كل من توفرت فيه شروط معينة .

يشترط في طالب الجنسية أن لا يكون لصاً أو تاجر رقيق ، ولا يكون ذو ماضٍ سياسي يؤهله لتمثيل دور بارز ، كما يشترط فيه أن يكون قادراً على العمل

بحيث لا يصبح عالة على الدولة . أما المسألة العنصرية فإنها تبقى بمعزل عن هذا الموضوع ، ولا يقام لها أي اعتبار . وهذا لا يكلف طالب الجنسية أي عناء ، فهو يتقدم بطلب خطي إلى السلطات الادارية فتدرسه وترفعه إلى رئيس الدولة مع ملاحظاتها التي تكون عادة لمصلحة الطالب . وبعد أيام تصله الموافقة بأذنه أصبح مواطناً ألمانياً . وهذا العمل السحري يقوم به رئيس الدولة ، فالذي تعجز عنه الآلهة يحققه موظف بحرة قلم . وهكذا ينقلب المغولي بين يوم وآخر إلى مواطن ألماني مئة بالمئة . أما العنصر الذي ينتمي إليه طالب الجنسية ، وأما حالته الصحية فمسألتان لا تثيران اهتمام السلطات ، فالمهم أن يعمل الألماني الجديد نفسه ولا يشكل خطراً على الدولة .

وفي الدولة بوضعها الحالي يتمتع المواطن الألماني والاجنبي بنفس الحقوق والامتيازات ، فلهما الحق بشغل الوظائف والالتحاق بالجندية وانتخاب اعضاء البرلمان والمجالس الاقليمية . قد يقول المدافعون عن هذا الوضع الغريب ان الديمقراطية تعترف للأجنبي بهذه الحقوق ، ولكني أقدم هؤلاء مثلاً حياً هي الولايات المتحدة الاميركية التي كانت ترحب بالأجانب ، ولكنها اليوم عادت ووضعت المراقيل في طريقهم ، رافضة قبول المرضى والمولودين . فهذا التصرف يجعلها تتمشى ونظرتنا العنصرية إلى الدولة .

إن السكان في الدولة العنصرية ثلاث فئات : مواطنون ورعايا وأجانب ، والفرق الوحيد بين الفئتين الثانية والثالثة هو ان الأجانب هم رعايا دولة أخرى ، وتعتبر الدولة العنصرية جميع الذين يولدون على أرضها كرعايا لها ، ولكن الرعاية وحدها لا تحول صاحبها حق المساهمة في النشاط السياسي ولا تؤهله لشغل وظيفة عامة . فكل ألماني هو أحد رعايا الدولة العنصرية الألمانية ، ولكنه لا يكتسب صفة مواطن ألماني إلا بعد أن تصهره المدرسة والجيش في البوتقة القومية . فالجيش هو المدرسة التي تخرج المواطنين ولكن لا تمنحهم صفة المواطن

الالمانى إلا بعد أن تتحقق من أنهم موفورو الصحة ومسلكتهم الخلقى خالبا من أي عيب .

وشهادة المواطن هي أعظم وثيقة تمنح للفرد في الدولة العنصرية ، فبواسطتها يتمكن من ممارسة حقوق المواطن والاستمتاع بالامتيازات الخاصة بهذا اللقب . فالمواطن يحتفظ بهذا اللقب ما دام أهلا له . أما الخائن والمجرم والضعيف فهؤلاء لن يتمتعوا بهذا اللقب ، بل يعودوا إلى صف الغير ناضجين قومياً ، ويلقبون برعايا الدولة العنصرية .

اما الفتاة الالمانية فلا تمنح لقب مواطنة إلا بعد أن تتزوج كما تسلثنى الفتيات اللواتي تضطرن ظروفهن إلى العمل وتحصيل قوتهن اليومي .



إن نظرة الدولة العنصرية إلى الفرد تجرها حتماً إلى محاربة المبدأ الماركسي القائل بالمساواة بين البشر . ولكن التباين الذي نلحسه بين الشعوب والأعراق قائم بين العناصر ذات الدم الواحد ، لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تخصص بعنايتها في المجتمع الواحد العناصر المتفوقة ، علماً أن اكتشاف هذه العناصر لا يكلفها جهداً يذكر ، ولكن الجهد كل الجهد ينحصر في غربة المتفوقين لاختيار الصفوة التي يجب أن تتولى مهمة القيادة . ففي الدولة العنصرية لن يصار إلى اختيار القادة بالطريقة المتبعة ، أي ببدا الأكترية الذي يفسح المجال أمام النكرات للتلاعب بمقدرات الأمة كما يجعل من الأكفاء كمية مهمة ، لن يؤخذ بهذا المبدأ في دولة تطمح إلى تزعم العالم المتمدن . فالشخصية القوية تفرض نفسها بفضل الجهود التي تقوم بها الدولة قاطمة الطريق أمام الانتهازيين وتجار السياسة المحترفين .

يعتقد بعض الذين يدرسون حركتنا ، ان الفرق الوحيد الذي يجب أن يكون بين الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية وبقية الدول هو الفرق المادي المتجلي في التنظيم الاقتصادي ، حيث تعنى الدولة العنصرية بإقامة توازن عادل

بين الثروة والحرمان ، أو بتحسين مستوى الطبقات الكادحة أو بجعل الأجور متناسبة مع قيمة الإنتاج . إن من ينتظر من حركتنا هذه الإنجازات فقط ليست لديهم فكرة صحيحة عن أهدافنا . لذلك لا يحق لهم توجيه النقد إليها . فالشعب الذي يكتفي بتنظيم أموره بهذه السطحية لن يكون مؤهلاً لقيادة الموكب البشري الآخذ بأسباب النمو والحضارة . لن تكتفي حركتنا بهذه الإصلاحات السطحية بل ستجعل في رأس الإصلاحات تمكين النخبة من استلام مهمة التوجيه ، وهذا يجعل الدولة مؤسسة ذات ظروف مؤاتية لنمو شخصية الفرد .

ولكي نوضح أهداف حركتنا على حقيقتها لا بد من الرجوع الى التاريخ مرة أخرى ، لأن هذا يوضح دور الفرد في تكوين الحضارات .

إن الخطوة الأولى التي ميزت بين الانسان والحيوان كانت تلك التي خطاها الانسان نحو الاختراع ، وقد كان جهده منصبا على استنباط الحيل والمداورات التي تمكنه من حماية نفسه .

إن هذه الاستنباطات يفسرها البعض بأنها غرائز صدرت عن جماعة وجدت نفسها في مأزق فاخترعت الوسائل التي تنقذها ، لكن المدققين يجدون العكس تماماً ، فالنشاط الإنساني في شتى مظاهره يبدأ من الفرد ، وكل تطور لمصلحة الكائنات الحية وضع أسسه رجل فرد ، فكانت بادرقه إشارة الانطلاق للآخرين . لذلك فالقول ان الاختراعات البدائية هي من صنع الجماعات يناقض الواقع حتى بالنسبة إلى الحيوانات التي تلجأ بغريزتها إلى الحيلة . فالحركة التي يقوم بها قطيع من الماعز ليتفادى خطر حيوان مفترس هي تقليد لحركة أئامها رأس من الماعز ثم يتبعه القطيع بعد ذلك . ولا شك ان الحيل الأولى التي اخترعها البشر لدفع الخطر عنهم كانت من تدبير شخص أو أفراد موهوبين ، وتأثرت بعد ذلك الجماعة خطأ . ولما شرع الفرد الموهوب باختراع آلات الدفاع عن النفس اقتبست الجماعة اختراعه البدائي وأفادت البشر بعد آلاف السنين من اختراعات تفتقت

عنها عبقرية افراد موهوبين .

وابتكر الانسان بعد ذلك طرقاً جديدة مكنته من السيطرة على كائنات حية كان يخافها ، وما لبث أن استخدم هذه الكائنات في أغراضه المختلفة ، ولما اطمأن إلى وضعه ككائن متفوق برزت مواهبه الخلاقة فصقل الحجر وروّض الحيوان الشرس وابتكر السلاح الحاد ثم السلاح الناري ... وهكذا ... وقد كانت جميع هذه الاختراعات ثمرة نشاط أفراد موهوبين ، فالسواد لا يبدع شيئاً وكذلك الكثرة ، لان التصميم والتنظيم لا يصدران عن جماعة .

*

ان وضع الزمام في الايدي القادرة اصبح في ايامنا منهجاً عاماً في جميع الميادين ما عدا الحياة السياسية ، حيث لا تزال الاكثرية تسود وتطغى وحيث نجح اليهود في القضاء على تأثير الشخصية ليحلوا محله تأثير الاكثرية وهكذا زال المبدأ الآري الخلاق . هذا المبدأ الذي يجعل من الصفوة دعامة المجتمع والعنصر الفعال القادر على الخلق والابداع ، وساد المبدأ اليهودي الهدام الذي يهدف إلى افساد الشعوب والاعراق وهدم الحضارات الحقة . وقد اخذت الماركسية بهذا المبدأ اليهودي ، لانه يزيل النخبة ويترك السيطرة للاكثرية . من هنا عطف الماركسية واليهودية على النظام البرلماني ، ومن هنا عطفها الكاذب على الطبقة العاملة وتحريضها النقابات على الشغب كاسلوب من اساليب المطالبة بالحقوق ، وقد نجم عن تسخير الاقتصاد القومي لاهواء الاكثرية ، فقدان الحوافز الشخصية التي كانت بالنسبة للاقتصاد كالمهاز الذي يدفع به الى الامام .

ليست حركتنا حزباً منافساً للماركسية ، لذلك يجب ان نوضح الفروقات الكبيرة بين مفهومنا العنصري وبين نظرة الماركسيين الى الدولة والامة والعرق . فالدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية تضع مسألة العرق في موضعها اللائق ،

وتقدر أهمية الشخصية وتجعل منها أساساً لكل عمل ايجابي بناء . فاذا افضى
سوء الحظ بان تهمل حركتنا هذا المبدأ الاساسي وان تسلم بالأمر الواقع
فتقرر مبدأ الاكثرية ، فلن يكون حزبنا اكثر من جماعة لا هم لها الا منافسة
الماركسيين ، فيفقد بالتالي مبرر وجوده كحركة تقوم على عقيدة
فلسفية .

لن يكون في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية شيء اسمه : قرار
الاكثرية ، بل سيكون فيها رؤساء ومسؤولون، وتسترد كلمة « مشورة » معناها
الحقيقي، فيكون لدى الرئيس مستشارون ولكن القرارات تصدر عنه وحده ،
والدولة العنصرية تحسن صنعاً حين تأخذ بالمبدأ الذي كان الجيش البروسي يطبقه
في الماضي . للرئيس السلطة المطلقة على مرؤوسيه ، وهو مسؤول تماماً أمام
رؤسائه . أما البرلمانات فتنتقل الى مجالس استشارية لا اكثر . وستكون لهذه
المؤسسات بعض النشاطات كمدرسة لتنشئة الرؤساء .

يمكننا اعطاء فكرة عن دور البرلمان في الدولة العنصرية الوطنية
الاشتراكية :

لن يكون في الرايخ مجالس تمثيلية تمارس صلاحية اتخاذ المقررات الملزمة
للحكومة ، بل سيكون له مجالس استشارية تقوم بما يكفل إليها الرئيس القيام
به ولن تسمح الدولة العنصرية بأن يبت في القضايا الحيوية اشخاص غير مؤهلين
لهذه المهمات . لذلك سيكون هناك مجالس سياسية وأخرى تعاونية ، ولكي
تتمكن هذه المجالس من التعاون، سيستحدث مجلس شيوخ يكون بمثابة الحكم .
بيد انه لن يكون هناك أي نوع من التصويت في تلك المجالس ، فهي مؤسسات
مهمتها العمل ، وليست آلات للتصويت .

*

ان اقتصار مهمة المجالس التمثيلية على الدروس وتقديم المشورة ، لا تعتبر
بدعة طلع بها حزبنا . فمبدأ الاكثرية لم يؤخذ إلا قليلاً منذ ان كان في العالم

حكومات ودول ، وقد كان الأخذ به سبباً من أسباب خراب الشعوب وانهار الدول . والتحول الذي ندعو إليه لا يتم حالما تتخذ التدابير النظرية ، بل يلزم لتحقيقه بذل جهود جبارة وطويلة . وهذا ما أخذ على عاتقه القيام به حزينا الوطني الاشتراكي .



الفصل السادس عشر

المفهوم الفلسفي والتنظيم

لن يكون للأحزاب السياسية الموجودة أي شأن في العمل البناء الذي تقوم به حركتنا ، إذ كيف يمكن لهذه الأحزاب أن تعمل على هدم الأوضاع الراهنة وهي مدينة بوجودها لفساد هذه الأوضاع ؟ ولا يخفى أن موجبي الأحزاب الحالية هم اليهود ، فإذا لم نجد من يضع حداً لتلاعب الشعب المختار بمقدرات شعبنا فلن يمر وقت طويل حتى تتحقق نبوءة اليهود القائلة :

« سيخضع اليهودي شعوب الأرض جميعها ويصبح سيدها المطاع » .

كيف يرجى من الأحزاب البورجوازية وأحزاب اليسار أن تقاوم الذين يوجهونها ويسخرونها لخدمة أغراضهم ومصالحهم ؟

أن مهمتنا الأولى ليست بإقامة هيكل الدولة العنصري بل بالقضاء على الدولة اليهودية ، فقد علمتنا الأحداث أن الصعوبة ليست في إقامة وضع جديد ، بل في فسخ المجال لهذا الوضع ، وهكذا يترتب علينا أن نبدأ كفاحنا بالعمل على إزالة الوضع الراهن .

على كل عقيدة جديدة أن تبدأ كفاحها بشهر سلاح النقد في وجه

خصومها . واليوم نسمع من يقول من العنصريين المزعومين انهم يرفعون عن النقد لينصرفوا الى العمل البناء . ان هؤلاء يجهلون تاريخ عصرهم الذي يعيشون فيه ، فالماركسية التي تسعى الى فرض سيطرة اليهود العالمية قد بدأت عملها بالنقد وظل هذا شأنها لمدة خمسة وسبعين عاماً ، وكان نقدها هداماً طويلاً الأمد حتى تقوضت دعائم الدولة الهرمة ، وعند ذلك بدأوا بعملهم البناء المزعوم . فقد ادرك الماركسيون ان حالة ما لا يمكن أن تزول بمجرد ظهور حالة جديدة . فالحالتين تستمران وتتمايشان ، ولا تلبث العقيدة الفلسفية المزعومة ان تعيش مقفلة في الاطار الحزبي الضيق ، ذلك ان التسامح لم يكن من شيم اصحاب العقائد ، فالعقيدة تأبى ان تكون حزبية من جملة الاحزاب الموجودة . فهي تطمح بفرض مبادئها ولا تسمح ببقاء أي أثر للنظام القديم .

كان هذا شأن الاديان ولم يزل . فالنصرانية لم تكتف باقامة هيكل الدين ، بل عمدت اولاً الى هدم الهياكل الوثنية . فلولا تمصصها الأعلى لما كان هذا الايمان الكبير الذي قدم للنصرانية العديد من الشهداء...

قد يعترض معترض بقوله ان التعصب والانانية هما نقيضان عالقتان باليهود وانه ليس جديراً بنا ان نحذو حذوهم وان نستعمل نفس سلاحهم . ولكن مع ان هذا الاعتراض صحيحاً ، يجب علينا ان نحارب العقيدة القائمة على التعصب والانانية بنفس الطرق والاسلحة التي تستعملها ، لان الارهاب لا يسحقه الا الارهاب ، ولئن فضلت الاحزاب السياسية حل المشاكل القائمة بالتسويات فالمذاهب الفلسفية لا تسارم ولا تتنازل عن حقها . فلاحزاب تتعاون في بعض الاحيان مع احزاب مناوئة لها ، أما المذاهب الفلسفية فلا تد يدما إلى المناوئين وتعتبر نفسها معصومة عن الخطأ .

والاحزاب السياسية تبدأ نشاطها بالاستيلاء على السلطة والانفراد بالتوجيه

ونحاول ان نعتنق مذهباً فلسفياً معيناً ، ولا تلبث ان تبتعد عن المعتقدات الفلسفية رغبة منها في مسابرة الجماهير التي ترغب الانضمام الى الحركات السياسية ، فتلتف حولها جماهير من الرجال الضعيفي النفوس التي لا تقوى على الكفاح . ولا تلبث أن تنادي بالتعاون الايجابي مع المؤسسات القائمة طمعاً بالحصول على نصيب بسيط من الغنيمة ، فيقف كفاحها عند هذا الحد . أما المذهب الفلسفي فيرفض التعاون مع مذهب آخر ، لأنه يعتبر نفسه ملزماً بمحاربة كل المذاهب القائمة حتى يتمكن من ازالتها جميعاً .

ولكسب النصر النهائي يجب على الحزب أن يوجد قيادة عليا حكيمة بعيدة النظر ، ورجالاً تسيرهم العاطفة ويخضعون لهذه القيادة خضوعاً أعمى . فالسرية التي تضم متني رجل كلهم اذكفاء واكفاء هي اصعب قيادة سرية التي تضم مئة وتسعين رجلاً عادياً وعشرة رجال اذكفاء يسكون زمام القيادة . أما الحزب الاشتراكي لديمقراطي فقد ادرك هذه الحقيقة وعمل على ضوئها . فقد بسط هذا الحزب سيطرته على ممثلي الطبقات الشعبية المسرحين من الجيش الذي دربهم على النظام والطاعة ، فأخذم الحزب واخضعهم لنظام لا يقل قوة وانضباط عن الجيش فأصبح العامل الألماني جندياً في الحزب ، كما رجل الفكر اليهودي ضابطاً أو قائداً .

بينما كان البورجوازيون يتشدقون بان انصارهم يؤلفون نخبة المتعلمين ، ويعيرون الماركسية بأنها تضم الجماهير الجاهلة ، كان العقلاء من المواطنين يردون نجاح الماركسية الى هذا العامل بالذات . إذ أن الاحزاب البورجوازية ضمت جماعات من اهل الفكر والوجاهة لا يتقيدون بنظام أو يعترفون بالانضباط . أما الاحزاب الماركسية فقد ضمت قوة من المناضلين الانضباطيين كانت تطيع قادتها اليهود طاعة عمياء .

انطلاقاً من فكرة الاعتماد على الجماهير المكافحة التي لا تهاب الكفاح ، فقد عمدت الى استخلاص خمس وعشرين مبدأ من منهاج الحزب ووضعتها في

متشاور ابناء الشعب . لأن هذه المبادئ تعطي صورة واضحة عن
أحداث حركتنا كما تصلح في الوقت نفسه لتكون قانون إيمان للمنضوين
تحت لوائها . وعلى الحزب أن يقدر هذه المبادئ وبالتالي عليه أن
يتمنع عن تعديلها أو تغييرها ما دامت حركتنا لم تبلغ بعد أهدافها
الكاملة .



الفصل السابع عشر

تأثير الكلمة

كان النجاح الذي لاقاه اجتماعنا في ٢٤ شباط ١٩٢٠ مشجعاً لنا على عقد اجتماعات شعبية دورية ، وبعد ان كنا ننظم اجتماعاً واحداً كل شهر اصبحنا ندعو الى الاجتماعات الحاشدة كل اسبوع . وقد فاق نجاح اجتماعاتنا الاسبوعية كل تقدير إذ اصبح عدد المستمعين كبيراً جداً . وقد تطرأ خطباؤنا الى القضايا التي تشغل الازهان بعد أن وضعوا مبادئ الحزب ، وقد بدأوا بتعيين المسؤولين الحقيقيين عن الحزب ونتائجها مبرزين مساوئ معاهدة فرساي ، هاتين القضيتين اللتين أنفرد حزبنا بأثارتهما في ذلك الوقت ، لأن مجرد البحث فيها كان يعتبر خيانة للجمهورية وتعلقاً بالرجعية والملكية . فكانت اللذين ضللتهما الماركسية يتصايحون حين يسمعون أحداً يتعرض لمعاهدة فرساي فيقاطعوهم قائلين : « ومعاهدة برست ليتوفسك » . وقد صادفتنا صعوبات كبيرة في بادئ الأمر حين حاولنا أفهام الجمهور بأن معاهدة فرساي قد ألحقت العار بألمانيا . وقد ترتب علينا إزاء موقف الجمهور المتصلب اما ان نتوقف عن الحملة مراعاة لهم أو نستمر بها ولو كلفنا هذا ابتعاد الشعب عن حزبنا .

كانت مصارحة الشعب بالحقائق في ذلك الوقت مغامرة كبرى . فالحزب الذي يقاوم التيار يغامر بشعبيته . وقد رأينا البورجوازية تتجنب مقاومة

الأكثوية مفضلة أن تتركهم في ضلالهم .. أما نحن فقد زادنا عناد الجمهور تصلباً و رغبة في الكفاح ، ومضينا في طريقنا هادفين لإزالة الأوهام العالقة في أذهان الشعب عن معاهدات الصلح وخاصة معاهدة فرساي . وكنا على أتم التأكد أن شعبنا سيدرك الحقائق وسيستحيل بغضه لنا حباً فيولي حركتنا ثقته ولا يبخل عليها بالتشجيع .

كانت مهمتنا صعبة جداً ، فقد كنا نعلم أننا نتوجه الى أناس تشبعت عقولهم بأفكار وآراء مناقضة لأراءنا . وكان علي أن أقف أمام الجماهير وألقي بهم خطاباً لمدة ساعة أو ساعتين محاولاً نفس الأسس التي قامت عليها افكارهم ومن ثم احاول اقناعهم بصحة مبادئنا وادعوم الى اعتناقها .

لقد دخلنا المعركة ونحن مصممين على كشف الحقائق المجردة . وأدركت من خلال الاجتماعات الأولى انه يجب علينا أن نبادر إلى انتزاع السلاح من يد خصمنا . فقد لاحظت أن اعتراضات الماركسيين تكاد تكون نفسها في كل اجتماع ، فصرت أفند هذه الاعتراضات المحتمل سوقها قبل ان ابدأ بعرض الموضوع ، وبذلك قطعت الطريق أمام المشايخين الذين حفظوا الدور الذي لقنه لهم اسيادهم اليهود . وبفضل هذه الطريقة استطعت أن اكسب تأييد بعض اصحاب النيات الحسنة .

وانسجاماً مع هذه الخطة بدأت اتمرح احكام معاهدة برست ليتوفسك في معرض حملتي على معاهدة فرساي ، لأنني اكتشفت أن الناقمين على المعاهدة الأولى لا يعرفون عنها شيئاً ، فقد ادخلت الدعاية الماركسية في عقولهم ان ألمانيا فرضت تلك المعاهدة على الشعب الروسي لذلك كانت معاهدة فرساي كرد فعل لما ارتكبه الألمان بحق الروس . لقد كان علي أن ادحض المزاعم الماركسية بأجراء مقارنة بين المعاهدين ، وقد وفقت الى عرض مساوى معاهدة فرساي ومحاسن معاهدة برست ليتوفسك ، في محاضرة ألقيتها واستغرقت ساعتين . ومن ثم ألقيت عدة محاضرات في هذا الموضوع ضارباً على الوتر نفسه وكانت

مكافأني هي تحرير ألوف المواطنين من الاوهام التي ادخلت الدعايات الماركسية في رؤوسهم .

ونتيجة لهذه الاجتماعات ملكت ناصية الكلام واتقنت فن الخطابة وإذكاه حماس الجماهير . ولم نكتف بالخطب كوسيلة لتنوير الشعب ، بل عمدنا الى اصدار النشرات وإذاعة البيانات التي ضمناها رأي الحزب في معاهدة فرساي وفي العوامل التي أدت الى نشوب الحرب . لكن مجهودنا الأكبر كان مركزاً على الخطب والمحاضرات اقتناعاً منا بان الكلمة هي التي تثير حماسة الجمهور وتترك في نفسه اكبر الأثر .

منذ اسابيع أثرت هذه المسألة في الصحف المحلية ، فسخرت صحف البورجوازيين من الرأي بأن الكلمة لها التأثير الكبير . ولم استغرب هذا الموقف من جانب طبقة تعيش في برجها العاجي وتحاول ان تتصل بالجمهور بواسطة اقلام مفكرها البعيدين عن عامة الشعب بعد الارض عن السماء .

لا تعلم البورجوازية أن الخطيب يكيف كلماته حسباً يقرأه على وجوه مستمعيه ، ولكن الكاتب يدفع الى جمهور لا يعرفه بكتابات ربما تصادف هوى لدى القراء أو ربما لا تكون منسجمة مع آراء قرائه فيعزفون عنها . ولا ننسى أن أبناء الشعب ينفرون بطبيعتهم من قراءة ما لا يتفق وآرائهم أو مع ما كانوا يتوقعونه . أما اذا أراد الكاتب أن يستدرج الشعب الى الوقوف على رأيه المكتوب فعليه بأعتماد النشرات والبيانات القصيرة كوسيلة لنشر رأيه ، لأن الجمهور يقرأ ما يقدمه له بهذه الطريقة بدافع الفضول لا أكثر . وما يمكن كتابته في البيانات يتطابق على الصور والاشربة التي تعطي فكرة سريعة عن الموضوع بوضوح نسبي . والكاتب يتمكن من التلاعب بعواطف الجمهور كالخطيب إذا هو استعمل اسلوباً جذاباً وصاغ ألفاظه بطريقة مفهومة لدى الطبقات الشعبية . لكن اختبار تأثير الاسلوب الكتابي يستغرق وقتاً طويلاً وجهوداً متواصلة اما الخطيب فإنه يطالع في وجوه المستمعين مدى تأثير كلماته ، فيقرأ في هذه الوجوه ما إذا كان المستمعون يفهمونه بوضوح ، وإذا كانوا يلتفتون

بأهتمام ما يبسطه لهم بأسباب ، والى أي حد نجح في اقناعهم بوجهة نظره .
واذا لاحظ أنهم لم يفهموه اعتمد طريقة أخرى بحيث يتقرب من مفهومهم
العقلي قدر المستطاع ، وإذا قرأ في وجوه البعض أن آراءه لم تقنعهم عمد إلى
دحض الاعتراضات التي يفترض وجودها في خواطرم . ثم يكرر الأدلة والامثلة
الحية الى أن يرى من الامارات المرتسمة على وجوههم أنهم بدأوا يقتنعون .
ومن المعلوم ان المطلوب اقناعهم م في اغليبيتهم من المواطنين الذين ذهبوا
ضحية الدعايات الخبيثة ، فصاروا يتصرفون بدافع عاطفة وهمية لا بدافع
التفكير والاقتناع .

في المانيا صحف بورجوازية يوزع منها يومياً ملايين من النسخ ، ولكن هذا
الانتشار الكبير لم يمنع الشعب من الالتفاف حول الحركات المضادة للبورجوازية .
أما السبب في ذلك أما ان يكون نتاج المفكرين وحملة الافلام البورجوازيين
عقياً لا يحمل جديداً إلى الناس ، واما ان تكون الكلمة المكتوبة مقصرة عن
النفاذ الى قلوب الناس .

زعمت إحدى الصحف في برلين ان الأدب الماركسي ومؤلفات كارل ماركس
فعلت في الشعب فعل السحر... فما ابعد هذا القول عن الحقيقة، فان ما استحوذ
على عقول عامة الشعب هو كثرة الدعايات الشفوية التي عرف الماركسيون كيف
يوجهونها . ولم يكن لمؤلفات كارل ماركس أو غيره من اليهود التي تدرس السم في
الدم أي شأن في هذه الناحية . ولن نجد مئة عامل من أصل مئة ألف تصفحوا كتاب
كارل ماركس . فكتاب ماركس لم يكتب ليكون في متناول عامة الشعب ،
بل كتب ليكون دستوراً للحركة اليهودية العاملة على إخضاع العالم لسيطرة
« الشعب المختار » ، وقولت الصحافة مهمة الدعاية للباديء التي تضمنها التطبيع
الماركسية بطابع اجتماعي انساني يبهر الطبقات المحرومة .

ان نجاح الماركسية في اجتذاب ملايين العمال مرده إلى الدعايات الطويلة التي
يقوم بها الآف المحرضين . وقد حرص الدعاة من مفكرين وخطباء على معايشة
عامة الشعب للوقوف على احوالهم والتعرف إلى مشاكلهم ، بالإضافة الى مواكب

التظاهرات التي كان يمشي فيها عشرات الألوف من الصعاليك تدفعهم الرغبة باظهار تضامنهم وافهام الملائمة انهم يؤلفون قوة هائلة تستطيع فرض سيطرتها واخضاع العالم البورجوازي لمشيئة البروليتاريا . . . هذه المظاهر هي التي خدمت الماركسية وجذبت إلى صفوفها السواد الأكبر من الشعب .

وقد أحسن الماركسيون في اختيار الدعايات المكتوبة ، فكانت تبدو صحافتهم كأنها ناطقة أكثر منها مطبوعة . فبينما كان الاساتذة والكتاب والادباء في الاحزاب البورجوازية يلجأون أحيانا إلى الكلام ، نجد في الحزب الماركسي ان الخطباء يلجأون أحيانا إلى الكتابة ، يساعدهم في ذلك اليهود الذين يتولون الدعاية المكتوبة لحساب الماركسية ، فاليهودي بارع في كتابة الاكاذيب المضللة ، فكان يبدو خطيباً أكثر منه كاتباً . فلا عجب إذن أن تظل الصحافة البورجوازية مقصورة عن بلوغ مستوى الصحافة الماركسية في حقل الاقتناع واستمالة الجماهير إلى أرائها .

وقد استخرجت من الاجتماعات الحاشدة التي كنت خطيبها الرئيسي امثلة سبقني الماركسيون إلى إستخراجها . فقد تعلمت ان محاضرة في موضوع معين يلقيها المحاضر ليلاً يكون لها وقع أشد مما لو القاها في النهار .

اذكر اننا دعونا إلى اجتماع شعبي في ميونيخ ، وقررنا الاجتماع في الساعة العاشرة من صباح الأحد . وكان الاقبال عظيماً لأن اليوم كان يوم أحد ولأن موضوع خطابي كان « اضطهاد الألمان في المناطق المحتلة » . وبالرغم من ان الاقبال كان شديداً ، فقد ظل المستمعون محتفظون بوقارهم فلا تحركت أيديهم بالتصفيق ولا بطلب الاستيضاح أو حتى الاعتراض . وأحزنتني أن يقابل خطابي بهذه اللامبالاة . فكررت الاجتماعات النهارية ، لكن النتيجة كانت فيها جميعاً مخيبة للآمال .

واخيراً غيرنا المواعيد ، والقيت خطاباً في أول اجتماع ليلي ، ففعلت كلما في نفوس المستمعين فعل النار في الهشيم ، وطالمت في وجوههم أني سحرت منهم الأبواب . وقد حيرني هذا الانقلاب المفاجئ ، والجمهور لم يتغير وكذلك الخطيب

وموضوع الخطاب. ولكن ما لبثت أن أدركت سر هذه الظاهرة عندما نصعني أحد الأصدقاء بمشاهدة تمثيلية « الشعب المتحرر » وقال أنه شاهد المسرحية مرتين وان انطباعاته كانت في المرة الثانية غيرها في المرة الأولى ، وأعرب عن اعتقاده ان المشهد التمثيلي في الليل يترك في النفس أثراً أعمق من الأثر الذي يتركه في النهار .

وهنا تذكرت قول استاذي « ألبرخت » : ان قوى الارادة عند الانسان تقاوم في النهار كل محاولة تحاول اخضاعها لارادة أخرى . فاذا استهدفتها المحاولة نفسها ليلاً فلا تلبث أن تخضع للسيطرة . ذلك أن قوة الأرادة تضعف في آخر النهار . واننا نلاحظ ان الكنيسة الكاثوليكية تصطنع الظلال في المعابد لتسبغ عليها جوّاً من الرهبة والجلال ، هذا الجو يجعل المؤمنين في حالة نفسية يسهل معها على الواعظ ان يتلاعب بقلوبهم وعواطفهم .

*

حضرت ذات يوم اجتماعاً في ميونيخ ، وكان الحزب الذي دعا اليه قد جعل الدخول مباحاً . وكان الخطيب استاذاً في إحدى الجامعات . وجلس حول المنصة ثلاثة رجال باللباس الأسود ، عرفت فيما بعد انهم يؤلفون اللجنة التنفيذية .

كان الخطاب مكتوباً ، فبدأ الأستاذ يقرأه متمهلاً ، وما هي إلا عشرون دقيقة حتى شعرت بالتملل بين الحضور فكثرت المتشائبون ، وبدأ التسلل من القاعة ، وكان يجلس قربني ثلاثة رجال من العمال ، فرأيتهم يتغامزون ويتبادلون الابتسامات الساخرة ، وما لبثوا أن غادروا القاعة . وعندما انتهى الخطيب من القاء خطابه ، وقف أحد الثلاثة من اللجنة التنفيذية فشكره باسم الحاضرين وقال أن المحاضرة تعد حدثاً داخلياً خطيراً ، لهذا فهو يدعو الحاضرين إلى انشاد النشيد الوطني الألماني . فوقفوا وانشدوا النشيد ، وما ان انتهوا حتى قدافقوا نحو الباب يتنفسوا الصعداء في الهواء الطلق ويترددوا السأم الذي استحوذ عليهم ...

شكرت الله لان هذا لم يكن جو اجتماعاتنا نحن ، فقد كنا نحرص أن تكون خطاباتنا ومحاضراتنا ، حافلة بما يشير العواطف ويهز المشاعر ويستفز الخصوم للدخول معنا في مناقشات طويلة ... فقد كان الحزب الشيوعي يرسل العشرات من المشاغبين ليشوشوا ويصفروا اثناء الخطابات ، كما يستفزوننا إلى المراكبي يتدخل البوليس وينهي الاجتماع ويمطله لبعض الوقت .

وكان العديد من الماركسيين يحضرون اجتماعاتنا وهم يعتقدونها اجتماعات شيوعية ، لأننا اخترنا للافتاتنا اللون الاحمر . وقد ذهل البورجوازيون لاختيارنا اللون الاحمر ، فزعموا أننا ماركسيون موهون وأن اشتراكيتنا زائفة . أما سبب اختيارنا هذا اللون فكان لاستفزاز اليساريين المتطرفين واستدراجهم الى حضور اجتماعاتنا ولو للتشويش والمشاغبة ، لأن هذه كانت افضل طريقة لنشر مبادئنا بين صفوفهم .

وقع الماركسيون في الشرك الذي نصبناه لهم ، فأقبل العمال على حضور اجتماعاتنا ، لكن رؤسائهم ، بعد أن اكتشفوا اللعبة ، حرموا عليهم حضورها ولكن بعضهم لم يتقيّد بأمر رؤسائهم فداوم على الحضور وتكرر لتعاليم كارل ماركس واستجلب معه من امكنه اقناعه . عند ذلك قرر الرؤساء ارسال اعوانهم الحمر ، فصار العمال يحتلون القاعات التي تعقد فيها اجتماعاتنا قبل الموعد بنصف ساعة . وكانت نيتهم دخول القاعة ومقاطعة الخطباء وتحطيم المقاعد ، إلا أنهم كانوا يخرجون وقد بدأوا يشكون في صحة العقيدة الماركسية ...

خبيت هذه النتائج آمال الرؤساء ، لأن مبادئ حزبنا زعزعت ايمان العمال بالماركسية ، فعاد الرؤساء الى منع العمال من الحضور تحت عقوبة الطرد . فحرك هذا المنع فضول الذين وقفوا من حركتنا موقف اللامبالاة ، فصاروا ينفشون القاعات سراً ولا يأتون بأي حركة اعتراض أو تشويش خوفاً من افتراس أمرهم . وقد اتاح سكوتهم هذا للخطباء فرصة عرض مبادئ الحزب في جو هادئ ، وبذلك حرروا العديد من الالمان من أوهام نسجتها حولها اليهودية

العالمية بدقة واحكام .

أما الصحافة الحمراء فقد وقفت موقف المتجاهل لحركتنا في بادئ الأمر، ولكن وبعد اشتداد ساعد الحركة عمدت الى مهاجمتنا على صفحاتها الاولى ولكن الحملات اعطت نتائج عكسية لهم فقد لفتت الانظار إلينا بشكل لم نكن نتوقعه نحن، فما كان من الصحافة الحمراء إلا أن خفتت من لهجتها واجتهدت في الحط من شأن الحركة بأدعائها ان الحركة سخيصة لا تقوم على أساس علمي . ولكن « سخافة » حركتنا لم تمنع الصحف الماركسية من الاستمرار في مهاجمتنا مما أثار فضول الناس وحلهم على التساؤل عن السبب في هذه الحملات ما دامت حركة الوطنيين الاشتراكيين سخيصة لا تركز على أساس علمي .. وادرك الماركسيون هذا الخطأ فغيروا من اسلوبهم واعتمدوا الطريقة اليهودية التي تجعل من الخصم هدفاً لمحنة من الافتراءات لا تنتهي . فزعموا أننا منظمة ارهابية وأن زعماء الحزب يغذون الحقد والبغضاء في الصدور .. ولكن رغمًا عن ذلك لم يتحول الناس عنا ولم تؤثر ادعاءاتهم في نمو حركتنا وانتشارها . وبذلك نكون قد سخرنا اعداءنا انفسهم للدعاية لنا .

وجدير بالذكر أن خصومنا عجزوا عن تعطيل اجتماعاتنا وذلك بفضل دوائر استخباراتنا التي انشأناها ، فقد كنا نعلم بمخططاتهم في الوقت المناسب فنتخذ التدابير اللازمة لافساد تلك المخططات . وقد كنا نحمي اجتماعاتنا بطرقنا الخاصة ، لأن الاستعانة بالبوليس كانت تعطي نتائج عكسية، إذ تعتمد السلطات الى فض الاجتماع حين تصلهم أخبار التصادم ، وهذا ما كان يريد خصومنا بالذات فقد جرى البوليس على خطة تتنافى مع أبسط قواعد الحرية ، فحين تصله الأخبار بأن جماعة من المشاغبين تنوي تعطيل أحد الاجتماعات، يعمد البوليس الى منع هذا الاجتماع المنوي الاعتداء عليه بدلاً من أن يتخذ التدابير اللازمة لحماية المجتمعين ومعاينة المشاغبين والمحرضين . وبفضل هذه الطريقة الفذة اصبح في امكان أي شقي أن يشل نشاط الرجل الشريف في الميدان السياسي ، أو ان يفرض عليه رأياً معيناً ، فإذا لجأ هذا الرجل الى البوليس طالباً تدخله ، عمد الى

الموافقة لمشيشة الشقي باسم النظام والأمن . وينصح الرجل بان يتجنب مظاهر التحدي والاستفزاز .

وهكذا وجدنا السلطة في كل مرة تهدد النقابيون بتعطيل اجتماعاتنا تبادر إلى منعنا من عقد الاجتماع بدلاً من أن تعتقل هؤلاء وتلاحقهم قضائياً . فتأكد لدينا أن السلطة لن تحمي نشاطنا الحزبي ، لذلك وجب علينا أن نحمي انفسنا بانفسنا . وكان تجاهل السلطة حمايتنا من حسن حظنا ، لان كل اجتماع يحميه البوليس يظهر تجاه الشعب بظهر ضعيف ، فالقوة وحدها هي التي تنال اعجاب الجمهور وتبهره . لذلك قررنا الدفاع عن كيان حزبنا بالقوة وسحق اهراب خصومه بوسائلنا الخاصة ، وقد تم لنا ذلك بفضل ادارتنا الحازمة وشجاعة رجالنا الذين عمدنا اليهم الحفاظ على النظام .

لا انكر اننا وقبل أن نخطط انظمة الاجتماعات وحمايتها ، راقبنا نشاط البورجوازيين والماركسيين في هذا المضمار واخذنا منهم دروساً وعبر . فهم يتحلون بروح نظامية ممتازة ، ويقوم الرجال بتنفيذ تعليمات رؤسائهم بدقة . لذلك لم يكن تعطيل اجتماعات اليساريين موضع بحث في الاوساط البورجوازية . في حين كان تعطيل اجتماعات البورجوازيين الشغل الشاغل للحرر . فقد استطاعوا اقناع النقابيين أن كل اجتماع غير ماركسي هو ضد البروليتاريا وكانت الصحف الماركسية تناشد السلطات منع الاجتماع خوفاً من الاصطدامات الدامية ، فاذا كانت السلطات ضعيفة تبادر فوراً إلى إلغاء الاجتماعات حفاظاً على الأمن والنظام . أما إذا كان الحاكم المانياً حقيقياً لا يتأثر باقوال الصحف ، عندئذ تتوجه الصحافة إلى العمال انفسهم مناشدة اياهم تعطيل اجتماعات « أعداء الشعب الرجعيين » .

لقد كان موقف البورجوازيين ضعيفاً تجاه الحرر ! فقد كانوا يلغون اكثر اجتماعاتهم خوفاً من اعتداء العمال . وإذا عقدوا اجتماعاً افتتحه الرئيس بكلمة موجهة إلى « السادة المعارضين » مؤكداً لهم ان الحزب يرحب بحضورهم ويسعده ان يرى بين المستمعين مواطنين لا يشاطرونه رأيه . ثم يرحبهم الا يقاطعوا الخطباء « فالمحاضرة قصيرة وليس بها ما يجوز اعتباره اهانة لخصومنا أو

أقللاً من شأن حركتهم السياسية واهدافهم الوطنية . لكن الحمر قلما كانوا يتأثرون بهذه الكلمات ، فما أن يبدأ الخطيب حتى تبدأ المقاطعات ويعلو الصياح والصفير والشتائم ، فيضطر الخطيب إلى النزول عن المنبر ويسود القاعة الهرج ويتسابق البورجوازيون إلى الانسحاب طلباً للنجاة .

لذلك وجد الحمر انفسهم وهم يحتكون بنا ، انهم أمام حزب يقوي يعرف كيف ينظم اجتماعاته ويحميها . فقد حرصنا منذ اللحظة الاولى على افهام الحضور أننا لن نسمح لأي كان أن يقاطع الخطباء أو يشوش عليهم ، وأن بوليس الحزب يقوم بحفظ النظام ولن يتردد في اخراج المشاغبين بعد أن يؤدبهم .

لقد كان لنا بوليس مدرب على قمع اعمال الشغب ، أما الاحزاب البورجوازية فقد كانت تعهد بمهمة حماية الاجتماعات الى رجال ضعاف قاربوا عتبة الشيخوخة ، آملين أن يحترم المشاغبون شيتهم ويتهيّبوا وقارهم . وقد فاتهم أن الحمر لا يقيمون وزناً لهذه الاعتبارات .

لقد جندنا « بوليس الاجتماعات » من الرجال الاشواس والجنود المسرحين ، وقد اخترتهم من الشباب المفتولي السواعد ، وحرصت على افهامهم قبل ان يقسموا اليمين أن القضية التي تجندوا للدفاع عنها هي قضية نبيلة تستحق أغلى التضحيات ، وأن الارهاب لا يسحقه إلا الارهاب . وأن فكرتنا لن تنتشر ما لم تدعها القوة وتوفر لها الحماية اللازمة ، وأن ربة السلم لا تقوى على الظهور ما لم يأخذ بيدها إله الحرب ولن انسى ما حييت كيف كان رجال الحرس ينقضون على خصومهم ، غير حافلين بالإخطار وبالتفوق العددي لخصومهم . فقد كانت مهمتهم حماية الحركة وإزالة كل عبة تعترضها .

*

في ربيع عام ١٩٢١ توسعت دائرة نشاطنا ، فأصبح علينا أن نعرز الحرس

بمناصر جديدة . وقد اضطرنا تنظيم الوحدات النظامية الى خلق شارة أو راية للحزب . وما أن قررنا أن يكون للحزب راية خاصة ترمز لرسالته ، حق انتهالت علينا التصاميم والاقتراحات . فدرسناها ولم نأخذ بها الى أن عرهن علينا طيبب اسنان مشروعا لا بأس به لكن الألوان التي اخرجها كانت متنافرة ، فوفقت أنا بين الألوان وقدمت للرفاق المؤسسين راية الحزب : دائرة بيضاء في قماشه حمراء ، وفي وسط الدائرة صليب معقوف باللون الاسود . فتنبى الرفاق رمز الحركة الوطنية الاشتراكية واختاروا في نفس الوقت شكل الشارة المعدنية ولون ربطة التذراع التي ستوضع على اذرع رجال الحرس .

لقد كانت الراية حقاً رمزاً لحركتنا واهدافها السامية ، فاللون الاحمر يرمز الى الناحية الاجتماعية من الحركة ، واللون الابيض الى الفكرة القومية ، والصليب المعقوف يرمز الى النضال المبرر في سبيل انتصار الآري وانتصار فكرة العميل المنتج . وفي عام ١٩٢٢ عندما جعلنا من الحرس نواة وحدة مقاتلة اخترنا للوحدة علماً خاصاً بها .

بعد اتساع حركتنا ضاعفنا عدد الاجتماعات فأصبحنا نعقد ثلاثة اجتماعات اسبوعياً وذلك في اكبر قاعات ميونيخ ، وكان البوليس يتدخل كل مرة لمنع الازدحام واقفال الابواب وارجاع الناس .

وفي شتاء ١٩٢١ وجدت ألمانيا نفسها أمام معضلة جديدة ، فقد اندرتهما لندن وباريس بوجوب دفع مئة مليار مارك ذهباً عملاً بأحكام الاتفاقات المعقودة . وفي ٢١ كانون الثاني من العام نفسه اجتمعت الاحزاب المسماة « عنصرية » وقررت القيام بتظاهرة مشتركة في ميونيخ احتجاجاً على الحلفاء ، كما دعي حزبنا لأرسال مندوبين عنه لحضور اجتماعات اللجنة التنظيمية . وقد قررت اللجنة ان تبدأ التظاهرة من ميدان « كونسينغ » ولكنها عدلت عن رأيها ، وبعد ثمان وأربعين ساعة عدلت عن فكرة التظاهرة وقررت عقد اجتماع كبير في قاعة

كنوكيلز . وطال تردد اللجنة ، فطلبت منها باعتباري مندوباً عن الحزب ، اتخاذ قرار نهائي قبل أول شباط ، فاستمهلوني وفي اليوم المحدد شعرت مجدداً بترددهم ، فأنسحبت ورفاقي من الاجتماع بعد ان صرخت بهم بأننا سننظم الاجتماع وحدنا ..

وظهرت النشرات ظهر الاربعاء ٢ شباط ١٩٢١ تدعو الشعب إلى حضور اجتماع في ملعب كرون مساء ٣ شباط . وكانت هذه البادرة خطرة جداً ، إذ أن الملعب كان كبيراً واسع الأرجاء ، وربما لا ننجح باجتذاب العدد اللازم للمنه ، كما ان الحرس في ميونيخ ليسوا من الكثرة بحيث يتمكنوا من المحافظة على النظام في مكان كبير كملعب كرون .

وفي صباح يوم الاجتماع هبت رياح شديدة وهطلت الامطار ، فساد التشاؤم دوائر الحزب لان الناس لن يتمكن من الحضور في ذلك اليوم العاصف . لكن الجو مال إلى الصحو قليلاً بعد الظهر ، فأقترحت تسيير شاحنتين تجوب شوارع ميونيخ ، وهي مزدانة بالأعلام الحمراء يتوسطها الصليب المعقوف وعليها عشرون رجلاً وفتاة من أنصار الحزب يوزعون النشرات ويدعون الناس إلى الاجتماع ... فشاهد السكان لأول مرة ، سيارتين كبيرتين ترفرف عليهما الأعلام دون ان يكون ركبهما ماركسيين . ووقف البورجوازيون يرقبون هذا المشهد مذهولين ، أما الحمر فقد استبد بهم الغضب لهذا التحدي السافر .

ما أن ازفت الساعة السابعة مساءً حتى غصت القاعة الرئيسية بالحضور ، وبدأت القاعات الأخرى تستقبل الوافدين . ولما وصلت إلى الملعب في الساعة الثامنة وجدت جمهوراً غفيراً يقف في الساحة الخارجية لأن المكان ضاق بالوافدين مما اضطر الحرس إلى منع المئات من الدخول ، وقال لي أحد معاويني أن شباك التذاكر باع خمسة آلاف وخمسمائة بطاقة ، وأن أكثر من ألف عاطل عن العمل دخلوا مجاناً ، فأصبح عدد الحاضرين ستة آلاف وخمسمائة شخص .

كان موضوع المحاضرة « يجب ان نبني الغد أو نتواري » وقد استغرقت

محاضرتي هذه ساعتين ونصف . وقد شعرت منذ اللحظة الاولى بالتقارب بيني وبين المستمعين ، وقد حاول البعض مقاطعتي في أوائل المحاضرة ، ولكن ما انقضى عشرون دقيقة حتى كانت ثلاثة عشر ألف كف تقاطعت بالتصفيق ، وتتلقف كل كلمة الفظها بلهفة وأيمان.

دام نجاح الاجتماع حديث ميونيخ لمدة اسبوع كامل ، ونشرت الصحف المستقلة صوراً ناطقة لهذا النجاح ، أما الصحف البورجوازية فقد اشارت إليه إشارة عابرة وقصدت اغفال ذكر اسم الخطيب ... وحرصاً مني على الافادة من هذا النجاح ، فقد نظمت اجتماعاً آخر في الاسبوع التالي في الملعب نفسه ، فحضره سبعة آلاف وقف منه خمسمائة في الساحة الخارجية ، وقد تركنا الابواب مفتوحة ليتسنى لهم سماع المحاضرات. وقد شجعتي النجاح على زيادة الاجتماعات ، فأزداد بالتالي عدد الانصار والمؤيدين .

لم يقف خصومنا مكتوفي الأيدي حيال هذا النجاح الساحق فقرروا ارهابنا بشكل نعجز فيه عن عقد الاجتماعات .

وقد مهد الخصوم لهذه الخطة الارهابية بحادث افتعلوه وحاولوا أن يلقوا بمسؤوليته علينا . ففي إحدى الامسيات اطلق « مجهول » النار على النائب الاشتراكي « ارهارد أوير » ولكن الرصاص لم يصبه وهرب المعتدون . وصدرت الصحف الماركسية واليهودية في اليوم التالي تحمّل علينا بشكل سافر وتطلب وضع حد لما دعت « نشاط العصابة الارهابية التي نالت فساداً في ميونيخ » وقد اتهمت حزبنا بالحادث . وبما ذكرته الجريدة الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي البافاري ، أن تدابير حازمة ستتمخض قبل أن تناطح الاشجار السماء ، وأن معاول العمال ستهوي على هذه الاشجار وتلقي بها على الارض .

وبعد ايام قام خصومنا بمحاولتهم ، ولكن الاشجار العالية الشاخة لم تقع ارضاً .

ففي ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ دعونا الى اجتماع يعقد مساء ٤ منه في قاعة « هوفبروهوس » . وعلّمنا قبل نصف ساعة من الموعد ان الحمر مصممون على

تعطيل الاجتماع وأنهم جهزوا له مئات العمال . فلم تتمكن من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضيق الوقت ، لذلك اكتفينا بسواعد ستين رجلاً من رجال الحرس . ولما وصلت اخبرني رئيس الحرس ان القاعة مملأى بالمشاغبين ولم يتمكن رجالنا من الدخول وبقي معظمهم خارج القاعة . فسارعت الى جمع الحرس وزودتهم بالتعليمات اللازمة ، وصارحتهم بأن الوضع خطير وأنه ربما سقط منهم بعض القتلى . لكنني قرأت في عيونهم ما اشاع الطمأنينة في نفسي . وعندما دخلت القاعة الكبرى وجدتھا غاصة بالناس ، وقد استقبلني الذين عرفوني بالشتائم والتهديدات من نوع « سنصفي حسابكم اليوم » و « سنضع حداً لثورتكم وسنريح المانيا منكم » ...

وقفت وراء الطاولة التي توسطت القاعة لالقي محاضرتي على جمهور من المستمعين يحتمي الجعة وبجالة عصبية ظاهرة .

تكلمت ساعة كاملة غير آبه للصياح والشغب ، وخيل اليّ اني أصبحت سيد الموقف فانتهرت أحد المشاغبين الحمر ، وكانت هذه هي الغلطة الفادحة ، فقد أستغل الحمر هذا الحادث البسيط لينفذوا خططهم المرسومة ، فوقف رجل طويل القامة وهتف ثلاثة مرات للحرية ، فردد « انصار الحرية » الهتاف وقلبوا الطاولات وعمدوا إلى الزجاجات الفارغة يرشقون بها أنصارنا ، فتعالى الصراخ واختلط الحابل بالنابل . ولم اغادر أنا مكاني بل رحت اراقب رجال الحرس وأنا مطمئن إلى النتيجة . فرأيتهم يهجمون على الخصوم وفي مقدمتهم (موريس) امين سري الخاض و« هيس » الذي تولى قيادة الهجوم . وما هي إلا دقائق حتى كانت جموع الحمر تتراكم مندفعة إلى الابواب منهزمة أمام أبطالنا الشجعان ، وبقي محصوراً حوالي خمسين ماركسياً ، فجمعناهم رجائنا محاولين اخراجهم بالقوة ، وفجأة دوى انفجار هائل سقط على أثره خمسة من رجال الحرس . فاهلب هذا الحادث شعور انصارنا حتى النساء والشيوخ فهرعوا لنجدة الحرس وهجم المشاغبين وتمكنوا من اخراجهم وتطهير القاعة بعد ان سقط تسعة من صفوف يقابلهم ثلاثة وعشرون من الحمر .

وبينما كان الرفاق ينقلون الجرحى ، وقف هرمان ايسر رئيس الاجتماع و أعلن
استئناف الجلسة ودعاني إلى إلقاء محاضرتي ، ففعلت وتركت مكاني بعد ذلك
لاقف في الصف الأمامي لاشارك في الاناشيد القومية التي اعتدنا ان نختم بها
اجتماعاتنا ، فأقترب مني أمين السر وممس في اذني أن قوة كبيرة من البوليس
قد وصلت . ودخل ضابط البوليس في هذه اللحظة وأعلن بصوت جهوري انه
يفض الاجتماع بأمر السلطة .



الفصل الثامن عشر

القوي قوي بنفسه

ذكرت في الفصل السابق إلى قيام تعاون أو شبه ذلك بين الأحزاب « العنصرية » في ميونيخ ، بحيث تقوم هذه الأحزاب بمجهود مشترك في سبيل الهدف المشترك .

لا شك أن التعاون بين الأحزاب المتقاربة الأهداف أمر مرغوب فيه . لكن بخطيء من يعتقد أن هذا التقارب يقوي على زيادة العمل الذي يرفع من شأن كل منها . فقد تعلم حزبنا أن الهدف يجب أن يصل اليه الحزب الذي كان السابق إلى اختياره ، فإذا عجز عن تحقيق هذا الهدف جاز للأحزاب التي تعمل لنفس الهدف ان تعمل عوضاً عنه عليها تنجح حيث اخفق هو . أما إذا تغلب الحزب الأول على الصعاب ، فبقاء الأحزاب الأخرى منفصلة عنه يعتبر خيانة لهذه الفكرة وإضعافاً للحركة حق لو قام تعاون وثيق بينها .

وقد حاولنا نحن عام ١٩٢٢ أن نتعاون مع المنظمات « العنصرية » على أساس توحيد الخطط ما دام الهدف واحداً ، ولكن مرعان ما ادركنا خطائنا ، لان حلفاءنا أرادوا من هذا التعاون تقوية منظماتهم على حسابنا ، فكانت النتيجة أن عمت الفوضى وانعدمت المسؤولية وقامت الانانية والمطامع الشخصية لتبعد الحركة الموحدة عن اهدافها السامية . عند ذلك طلبت من

حزبنا أن يضع حداً لهذا التعاون المضر بمرتكباتنا ، وكانت حجتي أن حركة قوية كحزبنا ستخسر من قوتها بتعاونها مع حركات اضعف منها . وبينت لهم مطامع زعماء المنظمات بأنضمامهم الى حركتنا .

*

كانت قوة الدولة قبل عام ١٩١٨ تعتمد ثلاث دعائم : النظام الملكي والجيش وهيئة الموظفين الاداريين . وقد قوضت ثورة عام ١٩١٨ الدعامة الاولى ، وسرحت الجيش ، وافسدت الموظفين . وبذلك فقدت سلطة الدولة مقوماتها الاساسية .

ان الأساس الاول الذي ترتكز عليه السلطة هو الشعبية ، ولكن السلطة تبقى ضعيفة اذا كانت الشعبية مرتكزها الوحيد ، لأن سلامتها واستقرارها يبقيان مضطربين . لذلك كانت القوة مرتكز السلطة الثاني ، ولكن القوة وحدها لا تضمن الاستقرار والسلامة . فاذا توفرت الشعبية والقوة امكنها أن يولدا ما يدعي بالتقليد . ومن هذه المرتكزات الثلاث يمكن انبثاق سلطة قوية الاركان متينة .

لكن الثورة جعلت توفر المرتكزات الثلاثة مستحيين ، فهي قد نزعَت التقليد من كل سلطة حين قضت على النظام الملكي ، كما لطخت سمعة الموظفين عندما ممحت للسياسيين أن يعينوا ويعزلوا وينقلوا من يشاؤون تدفعهم الى ذلك نزعاتهم ومصالحهم السياسية . كما ازالَت الثورة معالم القوة حين سرحت الجيش ، رمز القوة ، ففقدت السلطة بذلك مرتكزها الثاني ، ولم يبق للثورة إلا الشعبية ، وهذا المرتكز كان غير مستقر في بلد ضعفت هزيمة واطاحت الحرب بالتوازن الطبيعي الذي جعل من شعبنا مثلاً للشعوب .

فالشعب الألماني ، ككل الشعوب ، يتألف من ثلاث فئات . فئة النخبة ذات الميول الوطنية المتطرفة ، وهي تتحلى بالترف والاخلاص والشجاعة ونكران الذات . وفئة تضم حشالة البشر كالمغاوين والانانيين والحوثة . وبين

هاتين الفئتين نجد الفئة الثالثة المتوسطة التي تترفع عن مايشين الفئة الثانية ، ولكنها لا تتمتع بفضائل الفئة الأولى . فاذا تقدم مجتمع بشري نحو الرقي كان بفضل الفئة الأولى ، وإذا نما هذا المجتمع نمواً طبيعياً في ظل الهدوء والنظام كان بفضل الفئة المتوسطة التي تميل بطبيعتها إلى الاعتدال . أما حين يدرك المجتمع الانحلال وتنهار فيه القيم فهذا يرجع إلى تسلط العناصر الفاسدة من الفئة الثانية .

وجدير بالذكر أن الفئة المتوسطة وهي الأغلبية الساحقة لا تتمكن من السيطرة الا حين يكون التنافس على أشده بين الفئتين المتطرفتين ، ولكن إذا أنتصرت احدهما فسرعان ما تخضع الأغلبية للمنتصر ، ولكنها لا تؤيد المنتصر الشرير ولا تعارضه بنفس الوقت . لأن هذه الفئة المتوسطة لا تتميز بروح النضال .

قلت أن الحرب أطاعت بالتوازن بين الفئات الثلاث ، فقد ضحت النخبة بدمائها وسقط آلاف الشهداء من الفئة المتوسطة بينما بقي الأشرار يوفرون أنفسهم للثورة ولطعن المانيي في ظهرها . كان المسؤولون يذيعون النداءات مناشدين المواطنين على التطوع لاداء مهمات معينة ، واستمرت النداءات طيلة أربع سنوات ونصف فكان يلي النداء شباناً دون السابعة عشرة من عمرهم وشيوخاً تجاوزوا الخمسين ، قدفعهم وطنيتهم الصادقة وشجاعتهم النادرة ، ليلقوا بانفسهم في جحيم النيران المشتعلة ...

فالذين سقطوا في معارك ١٩١٤ كانوا أبناء الفئتين الخيرة والمتوسطة ، فأختل التوازن لمصلحة الفئة الشريرة التي أتاح لها تراخي السلطات أن تبقى بآمن من الخطر ، فما أن أصيبت جيوشنا بالنكسة حتى قامت هي بمهمة لغم الجبهة الداخلية بشورة جارفة لم تقف في طريقها اية عقبة لان البقية الباقية من العناصر الطيبة كانت أضعف من أن تقاومها .

فالقول بان ثورة ١٩١٨ كانت ثورة شعبية قول عار عن الحقيقة . فالذين قاموا بالثورة كانوا اعداء للشعب لانهم استغلوا الهزيمة أبشع استغلال بعد أن تسببوا فيها .

لقد رحب جنودنا بانتهاء القتال ، ورحبوا بالعودة إلى بيوتهم ، ولكنهم ظلوا غرباء عن الثورة ومسببها ، لان المحرضين عليها ما أوحوا للجنود غير الحذر والحيطه ، ولأن الحرب وويلاتها لم تنسهم الضرر والعبث اللذين يتميز بهما نشاط الأحزاب السياسية في البلاد . أما المواطنون القلائل اللذين رحبوا بالثورة فقد استبشروا بما ستؤتيه من جديد ولم يرحبوا بها هي . وعلى هذه القلة ارتكزت الثورة ، ولكن هذا المرتكز الشعبي كان من الضعف بحيث وجد الماركسيون أنفسهم بعد أشهر من قيام الجمهورية ، مضطرين إلى إيجاد مرتكز جديد لسلطتهم قبل ان تنظم الفئات الحضرية نفسها وتخرج البلاد من عهد الفوضى والفساد ...

كانت الجمهورية عام ١٩١٩ بعيدة عن الاستقرار . ولم يخف على « ابطال » الثورة أن المرتكز الشعبي لسلطتهم سينهار عند أول زوبعة من زوابع النقمة . لذلك راحوا يبحثون عن رجال يمكنهم حماية الجمهورية بقوة السلاح .

وجدت الجمهورية التي سرحت الجيش نفسها في أشد الحاجة الى جيش يدافع عنها . لكن مرتكزها الوحيد الذي هو شعبيتها كان يستمد اصوله من اوساط اجتماعية لا تؤمن بالمثل ولا ينتظر منها ان تضحي ولو بالقليل في سبيل مثالية جديدة . فالأوساط كانت تضم اللصوص والمحتالين والخونة والمغامرين ، أي فئة الاشرار التي لم تقم بالثورة إلا بعد ان خلت الساحة من السواعد المقتولة . هذه الفئة لا يمكنها أن تقدم جنوداً يدافعون عن الثورة . هذه الفئة التي جعلت لها الوحيد نهب الجمهورية التي قامت على انقراض الملكية .

أما اصوات الاستغاثة التي انبعثت من ممثلي الشعب فلم تسمعها تلك الفئة العابثة . لقد استغاث هؤلاء لأنهم شعروا ان الشعب الألماني بدأ يتعلم ، وان هناك من يدعو الى قلب النظام القائم ووضع حد للسراقات والاختيانات .

أما الذين لبوا النداء في شتاء ١٩١٩ ، واخرجوا بزاتهم المهترئة وحلوا بنادقهم عديد ، فقد فعلوا ذلك بدافع الوطنية لا حرصاً على الجمهورية . فقد كان الامن والنظام بحاجة الى من يحفظه ، وكان الوطن بحاجة الى من يرد عنه

مؤامرات اعدائه الداخليين . فانتظموا في وحدات ارجلت ارجالاً ، وعملوا
مخلصين لدعم الجمهورية مع نفورهم من هذا النظام والذين اقاموه .
لقد ادرك منظم الثورة الفعلي ، اليهودية العالمية ، الموقف على حقيقته ،
فالشعب الالماني لم يهبط الى مستوى الشعب الروسي ليتمكن من جره لأحوال
المستنقع البولشفي . ويمكن القول ان ضعف البولشفية في المانيا مرده الى وحدة
العرق التي ربطت رجال الفكر الألمان بالعمال الألمان . وهذه ظاهرة اجتماعية
موجودة في أغلب البلدان الاوروبية الغربية ولكن لا أثر لها في روسيا ، حيث
يبقى المفكرون في برجهم العاجي لأنهم غرباء عن قوميتهم الروسية . فهم لا
يشعرون بقضايا الطبقة العاملة ولا يعانون مشاكلها . ولم يكن هناك من يقوم
بربط الصلة بين المفكر والعامل ، علماً ان مستوى الاغلبية الفكري والحلقي
كان منخفضاً قبل الحرب ، لذلك لم يحدد المعرضون عناء في حمل الملايين من
الجهلة والأميين على رفع الراية الحمراء وخدمة اغراض اسياهم اليهود الذين
موهوا دكتاتوريتهم بمهارة حين زعموا انها دكتاتورية صعاليك .
أما ما حدث في المانيا فهو الآتي :

لم تنجح الثورة في المانيا إلا بعد الحلال الجيش ، ولكن هذا لا يعني ان
الجندي في الجبهة كان وراء تلك الثورة ووراء الحلال الجيش وتفككه . فالذين
عملوا للثورة وبشوا روح التذمر في الجيش كانوا من الذين لم يذهبوا الى الجبهة ،
أما لأنهم إداريين لا يستغنى عن خدماتهم ، أو لأن السلطة الخدعت بهم
واعتبرتهم اخصائيين في الشؤون الاقتصادية والمالية . يضاف الى هؤلاء ألوف الفارين
الجنبناء الذين تمكنوا من الهرب بفضل تسامح القوانين .
ان الجبان يخاف الموت الذي يبرز أمامه في ميدان المعركة بأشكال مختلفة
مرات عديدة كل يوم . ولكي نمنع الجنود الجنباء من الفرار ، يجب علينا
افهامهم ان المرء يمكن أن يموت في الجبهة ، أما الجبان للفار فسيموت حتماً حين
يهرب .

إن إداء الواجب فضيلة كبرى لا يتحلى بها ، مع الأسف ، المواطنون كافة ،

والمواطن المثالي هو الذي يؤدي واجبه من تلقاء نفسه ، أما المواطن العادي فليس هذا شأنه ، لذلك كان وجود الحافز الارهابي ضرورياً .
لندلل على ذلك بمثل القوانين الموضوعية لقمع اللصوصية . ان هذه القوانين لم تُسن لارهاب الشرفاء ، بل لتخويف ضعفاء الارادة العاجزين عن مقاومة التجربة والغرائز ، فلولا هذه القوانين التي ترهب هذه الفئة ولولا العقوبات الزاجرة التي تنزل بها لقامت نظرية تقول ان الرجل الفاضل الشريف هو أنسان أبله ، والافضل المرء ان يسرق بدلاً من أن يبقى صفر اليدين ..
إذن كان من قصر النظر حين ظن المسؤولون ان باستطاعتهم التغاضي عن تدبير هام أثبت جدواه طيلة قرون . اعني به الاعدام . فعقوبة الاعدام تفرض نفسها كتدبير احترازي وارهابي حين يكون المقاتلون مزيحاً من الابطال والافراد العاديين الذين فرضت عليهم الجندية . ففي صفوف هؤلاء هناك الجبان والاناني الذي يرى أن حياته اثنان من حياة المجتمع الذي ينتمي إليه ، لذلك وجب قيام اجراء رادع لضمان بقاء هؤلاء المقاتلين في ساحة القتال حيث هم أو لحثهم على ملاقات الموت ومواجهة العدو .

لقد ترتب على إلغاء عقوبة الاعدام عندنا ، انتشار جيش من الجبناء الهاربين في المؤخرة . وقد عرف الخونة من الداخل كيف يستغلون هؤلاء الجبناء ويستخدمونهم لتنفيذ مآكرهم ويتخذون منهم وقوداً لثورة ١٩١٨ .
وبعد وقف القتال ، ولما عاد الجيش الى ارض الوطن ، استحوذ القلق على رجال الثورة واصبحت معرفة رأي العائدين بالذي حدث شغلهم الشاغل ، فهم يريدون التأكد من رغبة الجيش في التعاون معهم . لذلك وخلال الأسابيع الثلاثة التي مضت بين اعلان الهدنة ووصول القوات الألمانية إلى الوطن عمد الثوريون إلى تبديل اتجاه الثورة ، إذ ان فرقة واحدة من الجيش تقوم لطرد الحر من البلاد تكفي لينضم اليها عشرات الفرق خلال أيام معدودة ، وقد أدرك اليهود هذه الحقيقة فبدلوا الاتجاه المتطرف وأعتنقوا شعار الاعتدال والهدوء .

لذلك كانت الدعوات الحارة للتعاون مع السلطات ، وخاصة النداءات إلى كبار القادة العسكريين للعمل على انهاض المانيا من كبوتها . فاليهود وحلفاؤهم كانوا بأشد الحاجة إلى العسكريين للاستفادة من خدماتهم من جهة ومن جهة ثانية انتقاء لشركهم وقطع الطريق امامهم لمقاومة الوضع القائم .

لقد نجحت هذه المناورة اليهودية نجاحاً باهراً . لكن المتطرفين ، بعد أن لزم اسياد العهد جانب الحكمة والاعتدال ، حاولوا مقاومة هذا الاتجاه الجديد لكن اليهود استطاعوا تشتيت قواهم وذلك بأحداث انقسام خطير في صفوف اكبر حزب ماركسي : الحزب الاشتراكي الديمقراطي . فقسم اقتنع بالوضع الجديد وقسم عارضه . وترتب على هذا الانقسام قيام معسكرين الأول شعاره الهدوء والثاني الارهاب . أما البورجوازية فكان عليها ان تختار بين الاثنين فانتقلت الى المعسكر المعتدل .

وهكذا اصبح الموقف في مطلع شتاء ١٩١٩ كما يلي :

كانت الثورة من صنع فئة شريرة من الشعب ، تبعنها بعد ذلك الاحزاب الماركسية كلها . ولكن الذين استولوا على الحكم بدلوا مناهجهم وقرروا مبدأ الاعتدال مما اغضب المتطرفين فقاموا بسلسلة من الاعمال الارهابية في طول البلاد وعرضها . ولمواجهة هذا الخطر تعاون انصار الوضع الجديد مع انصار الوضع القديم لمجابهة الارهاب القائم . وهكذا نظم اعداء الجمهورية أنفسهم لمحاربة الجمهورية كنظام حكم متعاونين ايضاً مع الذين يحاربون الجمهورية لأنها توشك أن تغرق البلاد في الفوضى لا لأنها نظام حكم .

وقد أيد هذا التحالف تسعة أعشار الشعب الالماني ، وفي الوقت الذي كان المتطرفون من الجانبيين يقتتلون كانت الفئات المتوسطة وهي الاغلبية الساحقة تقبض على الزمام . ولم تتأثر الجمهورية بالاشتباكات الدامية ، فقد أدى التقاء الماركسية والبورجوازية الى تقوية مركزها مع أن البورجوازيين ، قبيل الانتخابات ، بدأوا يتوددون الى الملكيين متظاهرين بالحنين الى العهد السابق ،

لأنهم كانوا بحاجة الى اصوات المحافظين .

*

كيف تمكنت الثورة من النجاح بالرغم من افتقارها الى مقومات هذا النجاح؟
والجواب على ذلك هو :

١ - تحجر نظرتنا الى الواجب والطاعة .

٢ - سلبية احزابنا المحافظة .

ويعود تحجر نظرتنا الى الواجب والطاعة الى تربيتنا الوطنية التي تركز على مفهوم الدولة ولا تعتنى بالقومية . وقد نجم عن هذا النقص عجزنا عن تمييز الوسطة من الغاية ، وفاتنا ان الشعور بالواجب واداء الواجب ليست غاية بحد ذاتها ، وكذلك الدولة . ولو لم نسهى عن هذه الحقيقة لكان موقفنا من مسبي الكارثة غير هذا الموقف المخزي الذي اساء الى سمعتنا اساءة بالغة . ففي الوقت الذي كان شعبنا يقامي من الهوان والمذاب من جراء الخيانات ، كانت الطاعة لهؤلاء اجراماً بحق الوطن . ولو تجاهل البعض تنفيذ الاوامر المعطاة له وتصرف حسبما يليه عليه واجبه ومسؤوليته الشخصية لتغير الوضع تماماً . ولكن ماذا نفعل بالبورجوازيين ونظرتهم الى الدولة ؟ فالطاعة العمياء هي أول واجبات البورجوازيين ولو كانت تلى حساب الشعب ، أما نحن الوطنيين الاشتراكيين فأننا نقدم طاعة الجماعة على طاعة الرؤساء الضعاف ، ونرى أن مسؤولية الشخص تجاه أمته تصبح في الظروف الحرجة اقدس الواجبات .

أما عن سلبية الاحزاب المحافظة فنقول :

لقد نتج عن تساقط الفئات الخيرة في ميدان القتال تجريد أحزاب اليمين من العنصر الوحيد الذي كان باستطاعته حمايتها وحماية النظام الذي تحرسه . وقد شاء البورجوازيون ، بعد أن أضعوا القوة المادية ، أن يتولوا الدفاع عن مبادئهم على صعيد الفكر وبالاسلحة الفكرية . علماً أن خصمهم قد استعاض عن تلك الاسلحة وقرر فرض مبادئه بالقوة والعنف وقد أثبت الماركسيون بعد نظرهم ،

فكانت قوتهم سيدة الموقف ، بينما ضاعت بلاغة البرلمانيين البورجوازيين بين الضجيج وازيز رصاص الحمر . وبعد الثورة عادت الأحزاب البورجوازية باسماء جديدة وبرزوا إلى الميدان بسلاحهم القديم واهدائهم القديمة : الاستيلاء على كرسي الحكم .

لقد أصيب البورجوازيون بهزائم شنعاء في البرلمان وفي الشارع ، وعندما قدمت الحكومة للبرلمان مشروع قانون حماية الجمهورية عارضه خطباء أحزاب اليمين والوسط معارضة شديدة . وعلم الماركسيون أن المشروع لن ينال أكتريية الثلثين فاعزوا إلى رجاءهم بالتظاهر امام البرلمان ، فقدم حوالي مئتي ألف ماركسي ، وباشروا الهتافات والصياح والتهويل ، فجبن المعارضون وتخاذلوا واضحت النتيجة اقرار المشروع باكتريية ساحقة .

وهكذا قامت الدولة الجديدة دون أن تلاقى أية مقاومة جدية . وكان هناك منظمات قامت لتقف في وجه الماركسية بشجاعة وهي « الكتائب الحرة » و « الحرس المدني » و « عصبة الدفاع عن التقاليد » و « عصبة المحاربين القدماء » .

لكن هذه المنظمات لم يكن لها أي تأثير لاسباب عديدة : فلم يكن لهذه الأحزاب المعتدلة أي سلطة في البلاد لافتقارها إلى العناصر المناضلة . وقد كان للمنظمات اليمينية وحدات صدام منظمة ومع ذلك بقي تأثيرها ضعيفاً لانها لم تكن ذات مباديء وليس لها أهدافاً سياسية واضحة .

لقد فاز الماركسيون وانتصروا على العقبات بفضل الترابط بين الارادة السياسية والتصميم وبين شراستهم في العمل . ولو اجتمع لألمانيا القومية هذا الترابط بين الشراسة والارادة القومية لما تمكنت الماركسية من الانفراد بتقرير مصير البلد . فقد كان للأحزاب القومية ارادة قوية ولكنها كانت بحاجة إلى القوة لفرض إرادتها هذه . أما المنظمات فقد كانت تتمتع بالقوة وكان بإمكانها أن تفرض سيطرتها على الشارع وعلى الدولة ولكن كان ينقصها الدافع والهدف السياسي . وقد أستغل اليهود هذا النقص المزدوج وعملوا جاهدين لإقناع المواطنين

بقبول الاوضاع الحالية باعتبارها مناسبة . فقد راحت الصحافة ، بإيعاز من اليهود ، تظهر الطابع الغير سياسي للمنظمات اليمينية وبالتالي تمتدحه ، كما كانت تمتدح الذين « يقابلون التحدي والعنف بالاسلحة الفكرية » . وقد تبنى ملايين الألمان هذه النظرية السخيفة ولم ينتبهوا للخدعة اليهودية التي جردتهم من كل سلاح حين اعتمدوا الفكر وحده سلاح وحيد في معركة الحياة أو الموت ، فاصبحوا بذلك تحت رحمة اليهود وعصاباتهم الشرسة .

وهناك تفسير آخر لضعف الأحزاب البورجوازية والمنظمات اليمينية ، فقد نزلت إلى المعركة ولا مثاليه لها ، وفي التاريخ أكثر من مثال على حركة من هذا النوع ، فهي لا تتحلى بروح النضال الذي تتحلى به الحركات ذات الرسالة . فالإيمان بانتصار فكرة ما يعطي لرسل هذه الفكرة حق اللجوء إلى العنف حق أقصى درجاته .

لقد نجحت الثورة الفرنسية لان اعلان حقوق المواطن بهر الجماهير ، فتبنته وتعضبت له وناضلت في سبيله . وقامت الثورة الروسية بفكرة لاقت صداها الحسن عند الجماهير ، فأمنت بها واستأثرت في الدفاع عنها . كما أن الفاشستية استمدت قوتها من رسالتها الاصلاحية .

*

بقيام الحزب الوطني الاشتراكي قامت في ألمانيا حركة غايتها إعادة بناء الدولة على أساس عنصري . وقد قرر الحزب اعتماد الوسائل الفكرية لنشر مبادئه ، مع الاحتفاظ بمبدأ القوة لدعم هذه المبادئ اذا لزم الأمر .

قلت في فصل سابق انه لا يمكن التغلب على حركة يدعمها الارهاب بأعتد الاسلحة الفكرية ، فلا بد من مواجهة تلك الحركة بحركة ذات عقيدة تعتمد ايضاً سلاح الارهاب .

فقد ظلت الدولة الالمانية هدفاً لهجوم ماركسي عنيف طوال سبعين عاماً ، ولم تنجح في صد هذا الهجوم بالرغم من جهودها المبررة وكفاحها الشاق . فلم

تنجح في سحق المبادئ الهدامة بالرغم من ثدايبرها الصارمة بحق زعماء تلك المبادئ . وهذا يرجع الى كونها اتخذت تدابير سلبية عوضاً عن مقابلة هذه المبادئ بمذهب فلسفي يقضي على مبرر وجودها . فالدولة التي ألقت السلاح في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ وتركت للماركسيين حرية العمل والاستيلاء على زمام الحكم ، لا يرتجى منها خيراً خاصة بعد وصول البورجوازيين الى الحكم في ظل النظام الجديد . فعمد عام ١٩٢١ والحكومة البورجوازية تلاطف الحمراء زاعمة انها لا تريد اغضاب البروليتاريا . فهذا الخلط بين الماركسية والطبقات الكادحة هو تزوير للتاريخ يتحجج به الحاكمون لتغطية فشلهم في انقاذ البلاد من مخالب المفاشرين الدوليين .

تجاه هذا الخضوع للماركسية ، اخذت الحركة الوطنية الاشتراكية على نفسها مهمة انقاذ المانيا ، فاتخذت على مسؤوليتها تدابير وقائية لتواجه بها الارهاب الاحمر . وقد ذكرت أن حركتنا قد انشأت وحدات هجومية لحماية اجتماعاتنا ، وبعد ان توسعت دائرة نشاطنا جعلنا من الوحدات نواة ما دعيناه « الحرس الخاص » ، واتبعنا نظام المنظمات اليمينية في تنظيم الحرس التي عرفت بأسم « منظمات الدفاع » . ولكن وجه الشبه لم يتعد التنظيم . فالمنظمات اليمينية كانت تعمل معنا ، كما تقدم ، بدون هدف سياسي واضح . اما « الحرس الخاص » الذي انشأناه فلانته مهمته حماية حركتنا القومية التي ترفض تكريس الوضع القائم وتناضل في سبيل خلق المانيا الجديدة .

*

بعد معركة قاعة هوفمبروهوس اطلقنا على وحدة الحرس اسماً جديداً هو « فرقة الهجوم » وقد شعر الماركسيون بخطر حركتنا الزاحفة فزادوا من قوة نشاطهم محاولين بالارهاب وباستعداد السلطات علينا تعطيل اجتماعاتنا . وكانت الصحافة الماركسية تلعب دورها في التحريض علينا وفي التهليل والتصفيق لكل محاولة يحالفها التوفيق .

ولكن ماذا نقول عن الاحزاب البورجوازية التي كانت تفرح لفرح الماركسيين حين يتمكن هؤلاء من تعطيل أحد اجتماعاتنا ؟ فقد كان يفرحهم أن يهزم حزبنا أمام الحزب الماركسي الذي كان قد هزمهم في السابق . وماذا نقول في الموظفين الاداريين ومدراء البوليس ، وحتى الوزراء المتظاهرين بالوطنية الذين يتسابقون لخدمة الماركسية حين تصطدم بحزبنا الوطني الاشتراكي ؟

هذه العقلية المريضة هي التي اجبرت مدير البوليس السابق بوهر ، هذا الموظف المثالي ، على القول للذين أرادوا رشوته : « لقد حرصت في حياتي ان اكون المانياً قبل ان اكون موظفاً . وأنا كأنا في صميم لا اسمح لأحد بأن يشك في نزاهتي وطهارة ذيلي . وإذا كان لدينا موظفون يقبلون الرشوة . فـ هؤلاء هم حشالة شعبنا ، وأن الدم الذي يسري في عروقهم ليس دماً ألمانياً ناعياً » .

لاسباب كهذه كان علينا أن نوسع نطاق منظمنا الدفاعية . وقد حرصنا على اظهار فرقة الهجوم بمظهر يستهوي الجماهير ، كما حرصنا على أن نجعل منها قوة معنوية مشبعة بالمثالية الوطنية الاشتراكية ، فلا يكون لها طابع الجمعية السرية ولا عقلية المنظمات البورجوازية المنشأة لاغراض دفاعية .

وقد قام هذا الحرص للاعتبارات التالية :

ان التربية العسكرية لدى المنظمات الخاصة تعتمد على المساعدات المالية التي تقدمها لها الدولة . يضاف إلى ذلك أن هذه المنظمات الخاصة تكتفي بالنظام الاختياري ، وهذا معناه عدم تمكين القيادة من معاقبة من يجب معاقبته .

لقد كان انشاء « الوحدات الحرة » ممكناً في ربيع ١٩١٩ لأنها أنشأت من المحاربين القدماء والجنود المسرحين حديثاً ، وكلهم سبق وتخرجوا من مدرسة النظام والانضباط أي الجيش الألماني . أما النظام والانضباط ففضيلتان لم تتوفرا لدى رجال « المنظمات الدفاعية البورجوازية » فهي لم تضم من الجنود والمسرحين إلا بنسبة عشرة بالمئة . وقد كان تدريب المتطوع في تلك المنظمات يجري بصورة شكلية . فالمتطوع الذي لم يحمل بندقية من قبل ، كان

يخضع لتدريب لمدة ساعتين اسبوعياً على أن تنتهي مدة تدريبية خلال ستة أشهر .

عندما أقترح بعض الرفاق على جعل منظمتنا الهجومية ذات طابع سري عارضت هذا الاقتراح بشدة ، لان المنظمات السرية ستبقى ضمن نطاق محدود وضيق خوفاً من افتضاح أمرها تجاه السلطات . علماً أن شعبنا يميل إلى الثروة ، فالمحافظة على سرية القرارات المتخذة أمر صعب جداً ، خاصة وأن للسلطات مؤسسات بوليسية تتورد بالمعلومات الأولية من المخبرين والجواسيس البارعين في فن الكذب والتلفيق . فحركاتنا لم تكن بحاجة إلى مئة متآمر شجاع ، ولكنها تحتاج إلى جيش يضم آلاف المناضلين المتعصبين العاملين في وضع النهار ليلهررا الجماهير بظواهر القوة وحسن التنظيم . وحركاتنا لن تتدعر ما دام الشارع تحت سيطرة الحر ، لذلك يجب علينا ان نبرهن لهم أن الوطنيين الاشتراكيين هم أسياد الشارع القابضين على الزمام .

أما خطر المنظمات السرية فيمكن في ظاهرة شائعة في أيامنا . فاعضاء هذه المنظمات لا يدركون عظمة مهمتهم ، وكل ما يدركوه أن مصير شعب من الشعوب يمكن أن تقررهِ جريمة قتل !

ويمكن الاخذ بنظرية الاغتيالات حين يكون الشعب خاضعاً لحكم طاغية مستبد ، ففي هذه الحالة يمكن أن يبرز مواطن من صفوف الشعب ويغمد خنجره في صدر الطاغية ، ولا ننسى ان شيلز مجد في « غليوم تل » جريمة من هذا النوع .

كان يخشى بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ان تلجأ المنظمات السرية إلى سلسلة اغتيالات للانتقام من مسيبي الكارث ومن مستفلي محنة الوطن ، ولو أنها فعلت ذلك لجاء هذا الانتقام في غير محله . إذ أن الماء كسية لم تنجح بفضل عبقرية قادتها ، بل نجحت لان العالم البورجوازي أفسح لها مجال العمل بأنطوائه على نفسه ... واه تطيع أن أفهم كيف يلقي البورجوازي الفرنسي سلاحه أمام رجال من طراز روبسيير ودانتون ومارا ، واكن أليس من العار أن ينحني

البورجوازي الالماني امام أشباه الرجال أمثال شيدمان وارزبرجر وفردريك اليبرت وغيرهم من اقزام السياسة ؟ لذلك فاغتيال زعيم أو أكثر لن يعود على القضية القومية بأية فائدة ما دام هناك من يستطيع أن يأخذ مكانه . جميع هذه الاعتبارات جعلتني اعارض مشروع جعل « فرقة الهجوم » ذات طابع سري ، وحرصت منذ ذلك الحين على منع انصارنا من الانتظام في منظمات تعمل في الظلام .

بعد أن قررنا ازالة الطابع السري عن « فرقة الهجوم » وابعادها عن المنظمات الدفاعية ، انصرفنا إلى العناية بامور ثلاثة هي : التدريب ، وعلنية الاجتماعات والاستعراضات ، واللباس الخاص .

أما التدريب فلم ننظر اليه من ناحية عسكرية بحجة ، بل حرصنا على جعله منسجماً ومصلحة الحزب ، فمثلاً أولينا الأفضلية للتارين الرياضية بدلاً من التارين العسكرية ، فقد كان رأيي دائماً أن الملاكمة والمصارعة اليابانية افضل من التدريب على الرماية تدريباً ناقصاً .

ولإزالة الطابع السري عن الفرقة فقد حظرتنا على الرجال التستر والتأمر بعد أن وسعنا نطاقها ، وحرصنا على توسيع افكارهم حتى يشعروا انهم حماة فكرة مثالية واعداء عقيدة غريبة تريد بالوطن شراً .

اما بالنسبة للباس الخاص فقد حرصنا على جعله لائقاً بالرجال من حيث اللون والزى ونوعية القماش .

وفي أواخر صيف ١٩٢٢ جاءت ثلاث مناسبات كانت بمثابة امتحان للفرقة ، فأجتازتها بنجاح باهر أدى الى نموها وعاد على الحركة بالفوائد الكثيرة . أما المناسبات الثلاث فكانت :

أولاً : التظاهرة التي قامت بها الهيئات الوطنية في ساحة كونيغس في ميونيخ احتجاجاً على قانون حماية الجمهورية .

فقد اشترك حزبنا في التظاهرة ، ومشى الرجال في صفوف متواصلة ، منتظمة

وكانت فرق الهجوم الخاصة بمدينة ميونيخ تتقدم الصفوف بنظام بديع تحمل على سواعدها خمس عشرة راية . وقد استقبل الشعب هذه الفرق لدى دخولها استقبالا حماسيا رائعا ، وكان لي شرف الكلام باسم الحزب فتلوت خطابا جريئا ألهب شعور ستين ألف مستمع .

وفي ذلك اليوم بالذات حاول الحمر التعرض لموكبنا ، فتصدت لهم فرقة الهجوم وصفت حسابهم في دقائق . وهكذا أثبتت حركتنا أنها قادرة على النزول الى الشارع وفرض سيطرتها عليه مزيلة ما كان باقيا من أوهام في اذهان الشعب حول قوة الحمر في ميونيخ .

ثانيا : زيارة مدينه كوبورغ .

قررت المنظمات « العنصرية » عقد مؤتمر الماني في كوبورغ في تشرين الاول ١٩٢٢ ، وقد تلقيت دعوة للحضور مع الرجاء بأن اصطحب معي نفرا من انصار الحزب الوطني الاشتراكي . فقررت أخذ ثمانية من رجال فرقة الهجوم ونقلهم بقطار خاص من ميونيخ الى كوبورغ . وبناءا للتعليمات المرسلة الى انصار الحركة في الاماكن التي مر بها القطار ، كان يستقبلنا في كل محطة وفود الوطنيين الاشتراكيين ومعهم اعلامهم ، مما كان له أكبر التأثير في نفوس السكان .

ولكن في محطة كوبورغ كانت تنتظرنا مفاجئة مزعجة .

فقد استقبلتنا لجنة تنظيم المؤتمر وأبلغتنا أن النقابات المحلية والحزب الاشتراكي المستقل والحزب الشيوعي والسلطات المحلية قررت بالاشتراك مع منظمي المؤتمر عدم السماح بدخول المدينة إلا بمجموعات صغيرة بدون أي مواكب أو اعلام ... وقد رفضت دون تردد هذه الشروط الغربية قائلا أن هذا المسلك غير مشرف وصرحت لهم ان فرق الهجوم ستدخل المدينة صفوفاً متراسة تتقدمها الاعلام والموسيقى ... وهكذا كان ...

وقبل أن نغادر المحطة وصلت جماهير غفيرة كانت تنتظر اشارة من خصومنا لتتحرش بنا ، وراحت تكيل لنا الشتائم لكن فرقنا لم تلتفت إليها واستمرت في تنظيم صفوفها ، ووصلت قوات من البوليس ورافقت الموكب الى قاعة هوفمبروهوس في وسط المدينة ، وقد لحقت بنا الجماهير الغاضبة دون أن ترد عن التحرش بنا . وما أن دخلنا القاعة حتى هجم المشاغبون يريدون اقتحامها ، لكن البوليس سارع الى اقفال الابواب كمن يريد وضع الاجتماع تحت حمايته ، فجمعت الرجال فوراً وطلبت منهم أن يكونوا على استعداد تام ثم طلبت فتح الابواب حالاً وقلت لقائد البوليس بأننا قادرين على حماية الاجتماع بطرقنا الخاصة عندما يحين الموعد وافهمته أننا نريد الذهاب الى مركز الحزب في كوبورغ . فأمر بفتح الابواب وسلكنا طريقاً آخرأ متجهين الى المركز ملشدين الاناشيد القومية . ولما وجد الحر وحلفاؤهم ان الشتائم لم تخرجنا عن وقارنا عمدوا الى رشقنا بالحجارة ، فنفذ صبر الرجال وشمروا عن سواعدهم القوية وهجموا على المعتدين وفي أقل من عشر دقائق خلت الشوارع من المشاغبين .

وقد حصلت اصطدامات عنيفة في الليل في عدة احياء من كوبورغ . وقد اعتدى الحر على اخوان لنا من ابناء المدينة بشكل وحشي ، ولكن رجال فرقة الهجوم اعادت الكرة عليهم ونظفت الشوارع منهم وسحقت ارباب الحر الذي سيطر على كوبورغ لسنوات .

لكن الماركسيين لم يكتفوا بما حصل ، فدعوا الى تظاهرات شعبية يمشي فيها الوف العمال ، وزعمت نشراتهم أن الوطنيين الاشتراكيين دخلوا المدينة ليقوموا فيها بحملة ارهابية ضد العمال المسالمين ، ولما علمت بالخبر أمرت فرق الهجوم بتجهيز الف وخمماية رجل بالاشتراك مع الانصار الهلبيين ، ومشيت على رأس هذه القوة إلى قلعة المدينة مروراً بالميدان الذي دعي العمال إلى التجمع فيه ، وقد كان هدفنا تحدي الخصوم وتلقينهم درساً لا ينسوه . لكننا لم نجد في الميدان

إلا بضع مئات من الرجال والنساء والاولاد ، فمررتا بهم تتقدمنا الأعلام والموسيقى دون أن يحركوا ساكناً أو تبدو من أحدهم بادرة عداء .

كان لمظاهرتنا فعل السحر في نفوس السكان ، فبعد أن كانوا غير مكترئين لنا وقفوا على الارصفة يحيوننا ويهتفون لحركتنا ، كما أنهم شيعونا في المساء لغاية المحطة . وهناك فوجئنا برفض الموظفين المختصين قيادة القطار العائد بنا إلى ميونيخ ، وكان هذا بتحريض من النقابيين الماركسيين الذين تجمعوا حولنا ليراقبوا تطور الموقف . ولكنني فاجأتهم بقولي بأنني لن اتورع عن احتجاز العشرات منهم في إحدى عربات القطار الذي سنتولى نحن قيادته بالرغم من عدم معرفتنا بالقيادة ، وإذا تدهور القطار سنهلك ويهلك معنا الذين احتجزناهم ، وهذا الاقتراح ينسجم مع مبدأهم في المساواة حتى في الموت . وكان لهذا التهديد نتيجة حسنة إذ تحرك بنا القطار من المحطة في الموعد المحدد ووصلنا ميونيخ في اليوم التالي سالمين .

لم تظهر نتائج رحلتنا إلى كوبورغ دفعة واحدة ، ولكن رجال « فرقة الهجوم » عادوا من رحلتهم وقد ازدادت ثقتهم بانفسهم وبرؤسائهم . وكذلك الذين استخفوا بحركتنا في بدايتها ، فقد بدأوا ينظرون إلى الحزب الوطني الاشتراكي كمؤسسة قوية ستمكن يوماً ما من الوقوف في وجه الوباء الماركسي في المانيا .

أما انتصاراتنا في كوبورغ فقد شجعنا على مواجهة الأرهاب الأحمر في كل مدينة وقرية ، وتمكننا من سحقه حتى في المناطق الخاضعة لسيطرة الحمر . وهكذا أعاد حزبنا حرية عقد الاجتماعات وتنفس الناس الصعداء في بافاريا لسقوط كابوس الماركسية الرهيب . وما أن انتهى عام ١٩٢٢ حتى أصبح لدينا أفواجاً جديدة ألفنا منها ومن الأفواج السابقة « جيش الهجوم » .

ثالثاً : في اذار ١٩٢٣ احتل الفرنسيون منطقة الروهر . فاجمعت الاحزاب

والمنظمات ذات الطابع القومي على ضرورة جعل المنظمات الدفاعية كوحدات عسكرية ذات طابع هجومي . وقد ساهمنا نحن في ذلك واتحنا لجيش الهجوم فرصة المساهمة في الدفاع عن شرف الوطن . وما أن أُنْتَهَى هذا التدبير المؤقت حتى أعدنا لجيش الهجوم طابعه الأول : جندي الحركة وعنوان قوتها وحامي مثاليتها .



الفصل التاسع عشر

القناع الفيديريالى

أثناء عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ اضطر حزبنا الناشئ إلى تحديد موقفه من قضية كان قد جرى حولها جدال طويل أثناء الحرب .

في فصول سابقة وصفت اعراض الانهيار الذي كان يهدد البلاد وهي منصرفة إلى منازلة الاعداء الشديدي المراس ، والمحت إلى المحاولات التي لجأت إليها الدعايات الانكليزية والفرنسية لتوسيع الحلاف بين جنوب المانيا وشمالها . ففي ربيع عام ١٩١٥ ظهرت نشرات حليفة تحمل بروسيا وحدها تبعة نشوب الحرب . وفي شتاء عام ١٩١٦ تركزت الدعايات على المان الجنوب مشجعة اياهم على التحرر من سيطرة البروسيين . ولا بد من الاعتراف أن الدعايات حول الحوادث الدامية بين ألمان الجنوب والشمال لم تكن دائماً كاذبة ومغرضة ... ولا بد من الإقرار أيضاً أن السلطات الالمانية المدنية والعسكرية وخاصة السلطات البافارية تلام أشد اللوم لعدم تعرضها للصحافة الالمانية الثائرة التي كانت تنشر مقالات تبرز النزعات الانفصالية .

بدأ الحقد على بروسيا والبيت المالك أول ما بدأ في ميونيخ ، ولا يسعنا إلا الاعتراف بأن الشعب لم يكن ليقع في شرك الدعايات الحليفة لو لم تكن الأدلة

كافية على سوء نية ولاية الشان . فقد كانت ادارة الاقتصاد القومي سيئة جداً . وكانت برلين مستأثرة بالسلطة ، وبرلين في نظر الرجل العادي هي بروسيا ...

كان الشعب يعلم ان أمور الحرب التي تبرم منها متجمعة كلها في برلين، ولكنه كان يجهل ان منظمي أمور الحرب لم يكونوا برلينيين أو بروسين وأن معظمهم لا يمت الى المانيا بصلة ... أما حكومة بافاريا فكانت على علم تام بكل شيء ، ومع ذلك بقيت متجاهلة لتفاهل التيار المعادي لبروسيا بدلاً من أن توقفه وتزيل ما علق بأذهان الناس من اوهام .

أما اليهودي الماكر الذي نظم مصالح الحرب ليسرق الشعب بواسطتها ، فقد تنبه الى أن النعمة ستفجر بوجهه ، ولتفادي هذا الانفجار عمد الى التفریق بين ابناء الوطن الواحد ، فحرض بافاريا على بروسيا والعكس بالعكس ، ووقعت كلتاهما في الفخ الذي نصبه ونسوا خطورة العلقة الدولية التي كانت تمتص دماء الشعب .

واستمرت الحال على هذا الشكل الى ان نشبت الثورة ، فانتزها اليهود والبلاشفة فرصة ذهبية لتفكيك روابط الوطن الالماني . وعيّن منظم الثورة في بافاريا نفسه وصياً للمصالح البافارية، مع أنه آخر من يحق له الكلام بأسم الشعب البافاري وهو اليهودي الشرقي ذو الماضي المجهول .

لقد حرص منظم الثورة البافارية ، كورث اميزنر، على صبغ الحركة بطابع الهجوم على باقي أجزاء الرايخ ، وهو إذ يحرص على هذا إنما ينسجم مع نفسه كيهودي اصيل ومنفذ لتعليقات اليهودية العالمية التي شامت تقطيع اوصال الوطن الالماني قبل بلسفة شعبه .

وحين انقذت القوات الالمانية بافاريا من مخالب البلاشفة ادعت دعايتهم أن نضال الحمر في سبيل بقاء سيطرتهم بأنه « نضال العمال البافاريين ضد العسكريين البروسيين » . وقد كان لهذه الدعاية المغرضة صداها المطلوب فأزداد نفور

البافاريين من بروسيا كما ازداد حقدهم عليها ...
في ذلك الحين نزلت أنا الى المعتزك لكي أساهم في الحد من هذه الدعايات ،
ودعوة المواطنين الى تفهم عواقب انقسامهم .
كانت مهمتي صعبة لأن النقمة على بروسيا بلغت حداً من الذروة في الاوساط
البافارية ، ففي كل مدينة أو قرية كانت تقوم منظمات خاصة تحض السكان
على كراهية البروسيين وتدعوهم الى الانفصال .

لكنني قررت الصمود في وجه التيار فحضرت اجتماعاً عقده غلاة الانفصاليين
في قاعة لوفن - بروكلر في ميونيخ ، وذهبت بمرافقة بعض الاصدقاء . وبعد أن
انتهى أول الخطاب ، نهضت من مكاني وارتجلت كلمة صريحة نددت فيها
بالنزعة الانفصالية ، وقلت لهم أن النزاع القائم لن يفيد منه إلا المغامرين
الدوليين من يهود وماركسيين . لكن صراحتي هذه اغضبت الحاضرين وتصدت لي
جماعة منهم تريد مهاجمتي لولا ان احاطني رفاقي الشجعان بسواعدهم واخرجوني
من القاعة .

وتكررت مداخلاتي منذ ذلك الوقت وازداد عدد المؤيدين والاصدقاء ،
ولكن الانفصاليين لم يتركونا وشأننا بل كانوا يعتدون على رفاقي بالضرب واللكم
بشكل وحشي مؤسف .

وبعد قيام الحزب تبني وجهة نظري وقام بالعبء الضخم الذي قمت به
لوحدي في عام ١٩١٩ والاشهر الأولى من عام ١٩٢٠ ، معتمداً على وطنية
الناصرين من أبناء بافاريا الذين بذلوا جهدهم لتنوير اذهان مواطنيهم ، متحملين
انواع الأذى وشتى انواع الاعتداءات .

ولما ازدادت حملة الحزب ضد الاتجاه الانفصالي عمد اليهود الى تكتيك جديد
لتغطية لعبتهم الخطرة فزعموا أن الحركة الي افعلوها تهدف الى انشاء دويلات
الرايخ على أساس اتحاد فيدرالي ، بشرط أن تقطع بروسيا لمصلحة الدويلات
الجاورة لها ، وهكذا افتضحت اللعبة الانفصالية الخطيرة وتسهلت بالتالي

مهمتنا الى حد كبير ، وجاءت حادثة دورتن الانفصالي الريثاني الخائن ، فأزالت الوم العالق في اذهان المحدثين من ابناء باقاريا وتبين لهم أن زعماء الحركة الانفصالية والفيدرالية مأجورون للاجنبي ويعملون لحساب انكلترا أو فرنسا .

وقد لاحظنا أن الحملة التي استهدفت بروسيا انصبت على العناصر البروسية المحافظة دون غيرها ، باعتبار ان المحافظين رفضوا دستور فيمار الذي وضعه المان الجنوب واليهود ... وعندما شعر اليهود بتلاشي الحركة الانفصالية صرفوا الاذهان عن اعمالهم في السلب والنهب والايقاع بين المحافظين البافاريين والمحافظين البروسيين .

أما الشعب فكان في غفلة عن دسائس اليهود ، وفي شتاء عام ١٩١٩ حاولنا تنوير الاذهان الى الخطر اليهودي المتفاقم لكن الناس استنكروا هذه الحملة ونعتونا بالمتعصبين . ولا بد من الاعتراف أن الفضل الأكبر في اثارة المسألة اليهودية يرجع الى « عصابة الدفاع والهجوم » التي نشأت في العام المذكور ، والتي تبنى فكرتها الحزب الوطني الاشتراكي وجعلها محور حركة شعبية واسعة النطاق. لكن اليهود علموا بهذا الخطر الجديد فبادروا الى حماية أنفسهم معتمدين طريقتهم التقليدية . فأثاروا القضايا المذهبية في ثلاث صحف مأجورة ووقفوا يتفرجون على الجدل العقيم بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعلى ما نجم عن هذا الجدل من أنقسام بين صفوف العنصريين القائمين بالحركة اللاسامية .

نسي الكاثوليك والبروتستانت عدوهم المشترك ليقاتلوا بعضهم البعض ، نسوا هذا الغريب ذا الشعر الاسود والأنف الطويل الذي يعيش عائلة عليهم ويدبر لهم المؤامرات ويلطخ دمهم الآري . نسوا أن اليهودي الوسخ هو عدو المسيحية لا فرق عنده بين كاثوليكي وبروتستانتي ، وهو الذي يتجاسر على هدر كرامة الآري النبيل حامل مشعل الحضارة عبر الاجيال .

نسوا كل هذا ليدخلوا في جدل عقيم حول قضايا بعيدة عن جوهر الدين بعد الارض عن السماء ، وقامت الصحافة الماركسية والملاحدة لتزيد النار اشتعالاً بنشرها آراء الطرفين السخيفة . وبدلاً من أن يبادر العنصريون الى اخاد النار نزلوا الى المعترك وادخلوا الحركة العنصرية في النزاع الديني القائم . وفي هذه الاثناء كان اليهودي يتابع تلويث دم شعبنا وهدر كرامته وتحطيم مصالحه ، وكان اعداءنا في الخارج يقسمون العالم فيما بينهم ساخرين من مشاكلنا الداخلية الحقة .

*

اضطر الحزب الوطني الاشتراكي إلى تحديد موقفه من النزاع القائم بين الفدراليين وأنصار الدولة الموحدة . فقد وجب عليه ابداء رأيه في هذا النزاع دون أن يتدخل تدخلاً فعلياً .
كان علينا ، والحالة هذه ، أن نحدد مفهومنا للدولة الاتحادية لأن هذا التعبير قد اسيء فهمه حتى في عهد بسمارك .

فالدولة الاتحادية هي مجموعة دول مستقلة اتحدت فيما بينها وتنازلت لهذا الاتحاد عن بعض حقوقها كدول ذات سيادة . وهذا التعريف لم يطبق عملياً في الدول الاتحادية الموجودة ، فالولايات المتحدة الاميركية مثلاً لم تنشأ عن اتفاق دول ذات سيادة باعتبار ان هذه الولايات التي تألف منها الاتحاد لم تكن دولاً ذات سيادة أصلاً ، حتى ان بعضها جاء نتيجة الاتحاد نفسه كذلك الولايات لم تمارس أية سيادة لا قبل الاتحاد ولا بعده ، فهي تمارس الحقوق التي حددها لها الدستور واصبحت كامتيازات محلية .

كذلك لا ينطبق هذا التعريف على المانيا انطباقاً تاماً ، رغم أن كون الدول التي يتألف منها الاتحاد قد سبق قيامها انشاء الاتحاد . فالرايخ الالمانى لم ينشأ عن اتفاق بين الدول الالمانية أو نتيجة تعاون متساو بينها ، بل كان نتيجة تفوق احداها أي بروسيا .

فبروسيا كانت من حيث المساحة أكبر الدول الألمانية ، وأكثرها عطاء ، فكان من البديهي أن تترغم حركة تكوين الدولة الاتحادية ، يضاف إلى ذلك أن سيادة الدويلات الألمانية كانت اسمية فقط ، وبذلك يمكن القول أن هذه الدويلات تنازلت للاتحاد عن حقوق لم تمارسها أو ربما مارسها جزئياً .

ليس هناك مجال لبحث قضية هذه الدويلات ، وتكفي الإشارة إلى ضعف تركيب هذه الدويلات أن نذكر أن انشاءها كان لاعتبارات سياسية محضة وفي اسوأ العهود التي مرت بالرايخ ، أي عهود ضعفه وإنهياره .

عندما انشأ بسمارك الرايخ الألماني أخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار ، فجعل تمثيل دول الاتحاد في مجلس « البوندسرات » متناسباً مع أهمية كل منها . وكان معتدلاً في تعزيز سلطة الرايخ على حساب الدويلات التي يتألف منها ، فما أخذ منها إلا ما كان الاتحاد بحاجة ماسة إليه ، كما حرص في نفس الوقت على احترام العادات والتقاليد المحلية . وقد شاء المستشار الحديدي مدارة الدويلات الألمانية تاركاً للزمن إتمام ما بدأ به هو ، لأن الطفرة غير مضمونة العواقب ، وبذلك برهن عن بعد نظره وسلامة تفكيره . وهكذا نما الرايخ نمواً كبيراً على حساب الدويلات الألمانية .

أما بعد الحرب والهزيمة ، فكان من البديهي أن تفقد الدويلات الألمانية أهميتها بمجرد زوال الانظمة الملكية ، ورأينا الكثير من هذه « الدول الوهمية » تندمج في دول أخرى مجاورة لها أو تتعلق بركابها .

وبالإضافة إلى الضربة القاصمة التي وجهت إلى نظام الرايخ الاتحادي نتيجة لإنهيار النظام الملكي ، فقد أجهزت على هذا النظام الشروط والالتزامات التي فرضتها علينا معاهدة الصلح . إذ أن الرايخ جرد الدول الألمانية من صلاحياتها المالية عندما فرضت عليه التزامات مرهقة لا يتمكن من احتمالها بالاعتماد على الوسائل العادية المتوفرة لديه ، ولم يكن تأمين السكك الحديدية والبريد سوى نتيجة حتمية لسياسة التخاذل التي تبناها الرايخ حيال المنتصرين فقد

أضطرت الحاجة الماسة إلى المال ليقوم بالتزاماته إلى أن يضع يده على موارد البلاد كلها .

فلو عرفت الأحزاب الألمانية كيف تنهي الحرب نهاية حسنة لما اضطرت الرايخ إلى الاستئثار بالسلطة وتجريد الدول الألمانية من معالم سيادتها ارضاء للمنتصرين . لكن الأحزاب تجاهلت حقوق الرايخ ومصالحه أبان الحرب وذلك لتلتفت لخدمة مصالحها الخاصة .

ان الذين سيكون اليوم على السيادة الضائعة والحقوق السلبية هم من المنافقين الذين يحاولون تغطية مسارهم . فهم ساهموا مساهمة مباشرة في القضاء على الأسس التي وضعها بسمارك للدولة الفدرالية ، وقاموا اليوم باتهام الرايخ بالانانية ليبرثوا أنفسهم تجاه الناخبين . والادعى من ذلك أن الاحزاب تحاول أن تضع اللوم على الحكومة الاتحادية في برلين وتعتبرها المسؤولة عن اشراف الرايخ على مالية الدويلات الألمانية ، هذا الاشراف الذي أثار الحقد في الاوساط الشعبية .

أن الشعب الألماني لم ينتقم على الرايخ لانه انتزع من الدويلات التي يتكون منها مقومات سيادتها ، بل هو نقم عليه لانه لم يعبر عن أمانيه . وقد بقي الرايخ الحالي منقوماً عليه من الألمان ، ولئن تكن القوانين الاستثنائية والتدابير الأرهابية ضامنة لسلامة المؤسسات الجمهورية ، لكن هذه القوانين لن تنجح في تقريبها من قلوب الشعب .

كيف نطلب من الشعب أن يتعلق بالدولة ، حينما يشعر أن دولته خاضعة تمام الخضوع للقوى الدولية التي تسببت في خراب بلاده وجرتها الى هذه النهاية المؤسفة ، فقد كان الشعب فخوراً بانتمائه إلى الرايخ الألماني السابق وكان يجد فيه الطمأنينة في الداخل كما يجد فيه مظاهر العظمة والقوة في الخارج . أما الجمهورية فتضطهد المواطن في الداخل بينما تتخاذل حيال الخارج .

ان الدولة القومية النشيطة ليست بحاجة إلى سن القوانين العديدة في الداخل ،

فالمواطنون يحترمونها ويؤيدوها وبالتالي يبعدون عن كل ما يسيء إلى سمعتها . لكن الدولة ذات الطابع الدولي تسخر رعاياها بالقوة وتعاملهم معاملة العبيد ، لذلك فالنظام الحالي في ألمانيا لا يمكن أن يصف مواطنيه بأنهم « مواطنون احرار » . فهذا كان شأنهم أيام الرايخ السابق ، أما الآن فالجمهورية تستعبد شعبها لخدمة الأجنبي وليس لديها مواطنين ولا هي تملك علماً قومياً . أما الرمز الذي اختارته فقد احتقره الشعب ولم يعترف به .

تجد الدولة الحالية نفسها مضطرة الى تجاهل حقوق الدويلات الألمانية لا لاعتبارات مادية فحسب ، بل لاعتبارات سيكولوجية . فهي حين تتبع طريقة ارهاق الشعب بالضرائب والكبت والتضييق على الحريات تخشى انفجار النقمة الشعبية يوماً ما وتتحول الى ثورة مكشوفة ، وهي تجنح تدريجياً الى الاستئثار بالسلطة كلها منتزعة من حكومات الدويلات الألمانية البقية الباقية من معالم السيادة .

من الواضح أن دول العالم المتمدن تتجه الى المركزية ، وألمانيا من تشذ عن هذا التطور . فالتشبث بسيادة الدويلات في الرايخ الألماني هو السخف بعينه ، سيما والدويلات هذه قد فقدت أهميتها ومرتكزها الأساسي لسيادتها « الملكية » . فالنظام الفدرالي كان له ما يبرره حين كانت وسائل النقل والمواصلات بطيئة . أما اليوم فبفضل المخترعات الحديثة اختصرت المسافات الطويلة وأصبح بالامكان الانتقال من ميونيخ الى برلين في ساعات معدودة .

اذن فالاتجاه نحو المركزية هو تطور لا بد منه .. أما نحن الوطنيين الاشتراكيين نجد أنفسنا مجبرين على محاربة هذه المركزية حين تم في الوقت الحاضر لمصلحة دولة تسيء استعمال سلطتها . فالرايخ الحالي لم يؤمم مثلاً السكك الحديدية تمشياً مع نهج قومي واضح نبيل ، لكنه اعتمد التأمين لينفذ شروط المستعمرين وينزل عند رغباتهم .

لذلك وجد حزبنا نفسه معادياً للمركزية . وهناك سبب آخر لمعاداة

المركزية ، فهي قد تؤدي الى تقوية نظام حكم معين كان ولم يزل وبالأعلى الأمة الألمانية . ولما كان هدفنا الرئيسي القضاء على النظام «الديمقراطي - اليهودي» ، وأقامة دولة عنصرية يتوفر فيها للشعب جو العمل والابداع ، فقد قررنا والاحزاب البافارية ، التي بدأت تتبرم بأزدياد صلاحيات الرايخ الجديد ، وتعادي المركزية . وقد حاولنا رفع القضية الى مستوى رفيع يجعل منها قضية قومية والألمانية بعكس ما يريدونها « حزب الشعب البافاري » قضية محلية ذات طابع خاص .

وهناك سبباً آخر لا يقل أهمية عن السببين السابقين ، فقد تجمع لدينا أكثر من دليل على أن اليهود هم وراء جنوح برلين نحو المركزية المطلقة ، وان ما يدعى « بالتأميم من أجل الرايخ الألماني » لم يكن في الحقيقة إلا محاولة لسحب المشروعات الكبيرة من الدويلات ليتمكن اليهود والاحزاب التي يوجهونها من استثمار تلك المشاريع بأنفسهم ولمصلحة مؤيديهم . فبعد تأميم البريد قامت السلطات بطرد موظفي الادارة القدامى وعينت مكانهم اشخاصاً تثق بهم وبولائهم الى الجمهورية ، وعهدت بفريق من الخبراء اليهود لعملية الاشراف على الاستثمار ...

يجب أن لا نفرس محاربتنا للمركزية بأنها محاربة للمبدأ بحد ذاته ، فنحن من محبذي توسيع صلاحيات الرايخ ، لأن الدولة نفسها ليست أكثر من شكل ، أما الجوهر الذي يحتويه هذا الشكل فهو الشعب . ومن الواضح ان مصلحة الدولة يجب أن تخضع لمصلحة الشعب وتنسجم معها . ولما كانت النزعات الخاصة لكل دولة من الدويلات الألمانية تتعارض ومصلحة الشعب الألماني ، فنحن نكون ضد هذه النزعات ولا نعترف للدويلات بحقوق الدولة ذات السيادة ، ونطالب بمنعها من تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الخارج ، باعتبار ان هذه النزعة الخاصة تكشف عن ضعف الرايخ في العواصم الأجنبية وتغري به الطامعين .

فالدولة القومية التي نطمح إليها إنما هي دولة موحدة لن تعتبر المركزية كوسيلة للاستئثار بالمنافع ، ولن تعمل على القضاء على ميزات البافاريين وإبناء الساكس والبروسيين وغيرهم ... فهي ستشجع مثلاً بقاء ميونيخ عاصمة الفن الألماني الرفيع ، وليزيغ عاصمة العلوم ، ولكنها بنفس الوقت لن تسمح بأنه يكون لبافاريا جيش ذو طابع بافاري وللساكس جيش ذو لباس وأعلام خاصة به ... فالجيش الألماني في الدولة القومية يجب أن يبقى بعيداً عن التيارات الخصوصية لأن الدولة القومية ستجعل منه بوتقة تنصهر بها النزعات المختلفة ، فينسى الجندي البافاري أنه له وطنين : بافاريا والرايخ ، فيعتز بأنه ينتسب إلى الأمة الألمانية .

قلت ان الحزب الوطني الاشتراكي هو ضد المركزية التي تتم لمصلحة الرايخ الحالي . لكن الحزب يرحب بكل خطوة تخطوها الجمهورية لتنظيم الجيش واخضاعه للمركزية ... اليس من العار أن يبقى الجندي البافاري في ثكنة ميونيخ والجندي من وارتمبورغ في ثكنات شتوتغارت وإبناء إمارة فرنكوفي في ثكنات نورمبرغ ؟ إلا يكون أفضل للبافاري ان يتاح له فرصة زيارة بلاده فيرى تباغاً رينانياً وستاليا ومنطقة بحر الشمال ؟ وأن نتيح لأبن هامبورغ رؤية الألب ولأبن بروسيا الإقامة في ميونيخ لبعض الوقت ؟

إن الدولة التي ندعو لها بالمركزية هي التي تكمل ما بدأه بسمارك دون ان تتعرض للطابع الخاص لكل جزء من اجزاء الوطن الألماني ، وهي التي تحمل هذه الاجزاء على التنازل ببعض إرادتها واختيارها عن آخر حق من حقوقها في السيادة .

هذه الدولة التي نطلب هي الدولة العنصرية التي تسود فيها العقيدة الوطنية الاشتراكية .

أخيراً يتهمنا الانفصاليون في بافاريا أننا نعمل لمصلحة برلين بينما يتهمنا

الحر بأننا انمزاليون متعصبون ، كذلك تتهمنا برلين بأننا نقف في طريق
المركزية التي تريدها ..

إن الحركة القومية تسخر من الحدود المصطنعة والنزعات المفتعلة لأنها
تعمل على تحقيق الوحدة الالمانية الشاملة ، والسير بالامة الواحدة في طريق
المجد والعظمة ..



هتلر والحركة النفاية

الفصل العشرون

الدعاية والتنظيم

كان لعام ١٩٢١ معنى خاص بالنسبة لي شخصياً وبالنسبة إلى الحركة الوطنية الاشتراكية . فبعد ان أصبحت عضواً في حزب العمال الألماني اضطلعت بمهمة تنظيم الدعاية للحزب والاشراف على توجيهها ، وذلك بعد مضي بضعة أشهر من انضمامي إلى الحزب . وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن مسؤوليتي ستتعدى التنظيم والاشراف من الناحية الادارية ، بل ستتعداها إلى نشر الفكرة نفسها ، فالدعاية يجب أن تسبق التنظيم لتجمع حول الفكرة أكبر عدد ممكن من الناس . ولم ابدل رأيي هذا فيما بعد لاقتناعي أن الترتيبات المرتجلة لا يمكن ان تنبثق منها منظمة حية ، لان المنظمات تستمد وجودها من كائن عضوي ينمو نمواً طبيعياً مستمراً .

عندما يتبنى فريق من الناس فكرة ما نراهم يسارعون إلى تنظيم جمعية أو حزب ينضمون اليه ، وهذا التطور السريع له ميزته الكبرى ، ولكن في أغلب الاحزاب تبرز في هذه المنظمة أو الحزب شخصية موهوبة تصاح للزعامة فتفرض نفسها والحركة لا تزال في بدايتها وتعمل على رسم سياستها وتوجيهها . لكن هذا

الاستثمار قبل ان تنتشر الفكرة بشكل كاف يؤدي في أغلب الاحيان إلى نتائج سيئة ويكون وبالأعلى الفكرة وعلى الحزب الذي يأخذ بها .

لذلك يجب العمل على نشر الفكرة أولاً ، وحين تجمع حولها عدداً ضخماً من المؤيدين ، يمكن البحث عن الأشخاص المؤهلين للزعامة . ويخطيء من يعتقد أن العلوم النظرية تكفي للشخص بأن يصبح مؤهلاً لاحتلال مركز الزعامة ، فالمفكرون قلما يصلحون للتنظيم لان عظمة المفكر ومؤسس المنهج تقوم على المعرفة وسن القوانين لكن المنظم يجب أن يكون رجلاً عملياً مطلعاً على نفسية البشر ليعالج القضايا بشكل موضوعي ، ولا يسقط من حسابه ، في محاولته انشاء منظمة حية ، الضعف البشري والنزوات الحيوانية .

من النادر أن نجد صاحب فكرة مؤهلاً للزعامة . ولكن باستطاعتنا إيجاد زعماء بين صفوف المحرضين مثلاً لانهم يكونون أعلم من غيرهم بنفسية الجماهير نتيجة احتكاكهم بها . فالمفكر دائماً منطوق على نفسه مستغرق في تأملاته بمعزل عن الناس . فالتوجيه والقيادة يعنيان تحريك الناس أو الشعب . أما موهبة خلق النظريات والمبادئ فانها لا تؤهل صاحبها للزعامة .

لقد اجهد فريق من المتناظرين أنفسهم في أس طویل حول مسألة عقيمة هي : من يستحق شكر الإنسانية : صاحب الفكرة أم منفذها ؟ وقد سهى عن ابائهم أن أعظم الأفكار تبقى بدون قيمة ان لم يخلق لها زعيم يتمكن من جذب لجمهور إليها ، كما ان أقدر الزعماء واذ كان يبقی عاجزاً عن توجيه حركة لا يضع أهدافها رجل مفكر . ولكن إذا اتفق واجتمعت في شخص واحد مواهب الفكر والتنظيم والزعامة ، وهذا نادر ، انبثق من هذا الاجتماع الرجل العظيم - الفوهرر -

قلت انني انصرفت إلى تنظيم الدعاية بعد انضمامي للحزب . وقد وضعت نصب عيني توفير نواة العتاد البشري الذي يمكن اعتماده كأساس للعمل المنظم . وبتوفر النواة تألفت العناصر الأولى المنظمة ، فقسمنها إلى قسمين : الانصار

والاعضاء . وأصبح من واجب الدعاية حشد الأنصار ، ومن واجب المنظمة نفسها كسب الاعضاء أما الفرق بين الانصار والاعضاء فهو ان الأنصار تؤيد مبادئ الحركة وأهدافها ، أما الأعضاء فهم الذين يجاهدون في سبيل هذه الحركة .

ان عمل الدعاية هو في كسب الأنصار ، وعمل الأعضاء هو في اختيار الأنصار وجعل المناسب منهم عضواً في الحركة . ولا يتطلب من الانصار أكثر من الاخذ بالفكرة ولكن العضو عليه أن يمثل هذه الفكرة ويدافع عنها وينشرها . لذلك كان الأعضاء قلة في المنظمة وكان الانصار أكثرية ساحقة ...

كان على الدعاية التي عهد الي بتنظيمها وتوجيهها ان تجمع الانصار للفكرة ، وبعد ذلك تختار الحركة الاعضاء من بين هؤلاء الانصار ، ولم يكن على الدعاية ان تقربل هؤلاء الانصار وتصنفهم حسب كفاءاتهم ومعارفهم ، فهذه الغربة من اختصاص المنظمة نفسها التي يمكنها اختيار الاعضاء الصالحين لتوجيه الحركة السير بها الى النصر .

*

تعمل الدعاية على نشر فكرة ما بين الشعب كله ، أما المنظمة فلا تدخل لديها إلا الذين لا يستطيعون ، لأسباب سيكولوجية ، ان يقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الفكرة .

*

تدخل الدعاية في ذهن الشعب فكرة من الافكار وتعمل على ترسيخها في أذهانهم مدة ايام ليوم النصر . أما المنظمة فتكافح في سبيل النصر معتمدة على هؤلاء الانصار وخاصة على الذين يتصفون بالشجاعة والاقدام .

*

يتوقف انتصار الفكرة على مدى النجاح الذي تحزره الدعاية في كسب
الانصار . اما انتصارها فيبقى مرتبطاً بتنظيم الهيئة التي يعهد إليها بقيادة
النضال .

*

تظل الحركة بحاجة الى العديد من الانصار مهما بلغ عددهم ، ومتى تمكنت
الدعاية من اقناع شعباً كاملاً تتمكن بالتالي المنظمة من استغلال هذا النجاح
بقبضة من الرجال . لذلك فإن كل خطوة موفقة تقوم بها الدعاية تخفض من عدد
الاعضاء العاملين ، أما وبمحال فشلت الدعايات المنظمة فإن الحركة ستحتاج الى
جهاز أكبر من الموظفين والاعضاء . لذلك يمكن القول ان عدد الانصار يزداد
نتيجة فشل الدعاية وينقص نتيجة نجاحها ..

*

أول مهمات الدعاية اجتذاب الناس الى الحركة ، وأول مهمات المنظمة كسب
هؤلاء الناس ليتابعوا الدعاية وثاني المهمات الدعائية هي إثارة النعمة على الاوضاع
السائدة واقناع الناس بأعتناق العقيدة الجديدة . أما مهمة المنظمة الثانية فهي
الجهاد من أجل القوة لاستخدامها في تهديم أسس الاوضاع السائدة ونصرة
العقيدة الجديدة .

*

يضمن النجاح لحركة ثورية جديدة اذا مهد لها بتعليم الشعب كله مفهوماً
جديداً للكون وللحياة ، أو حتى بفرض هذا المفهوم فرضاً عند اللزوم ، ففي كل
حركة ذات أهداف انقلابية يجب على الدعاية أن تقوم بنشر مبادئ تلك الحركة
وتشرحها وترسخها في عقول الناس ، أو على الأقل تسعى لزعزعة العقائد القديمة .
والدعاية بحاجة إلى متركز قوي يمكن توفيره بواسطة قوة المنظمة التي تعتبر
متركزاً للدعاية وعلى المنظمة أن تختار اعضاءها من بين الانصار الذين استألتهم

الدعاية إلى صفوف الحركة الجديدة . وتشدد قوة المنظمة حين يقبل الناس على اعتناق الفكرة كما يتسع نشاط الدعاية حين يكون وراءها منظمة قوية .

*

على المنظمة أن تسعى دائماً لمنع ظهور أي خلافات بين أعضائها ، تلك الخلافات التي من شأنها أحداث شقاق يؤدي إلى إضعاف الحركة ، وبالتالي عليها أن تسهر على الابقاء على روح الكفاح مشتملة لتقوى وتزداد يوماً بعد يوم . ولتحقيق هذا الغرض المزدوج لا تحتاج المنظمة إلى زيادة مطردة في عدد أعضائها ، لان الحزم والشجاعة هما من صفات القلة المختارة ، وفي التاريخ أكثر من دليل على ما آلت إليه الحركات التي نمت بسرعة من ضعف وتفكك ، لانها فتحت ذراعيها بعد نجاحها الذين رفضوا الاعتراف بها ومساعدتها قبل أن تبلغ هذا النجاح .

ان الحزب ذو الاهداف الانقلابية سيفقد طابعه الثوري حين يزداد عدد اعضائه بصورة غير طبيعية على اثر احرازه انتصاراً حاسماً . لأن الجبناء والافانين الذين وقفوا موقفاً لا مبالياً من الحركة اثناء كفاحها الأول لا بد لهم بعد انتصارها من التزلف لها وخطب ودها . فإذا هي قبلت بهم وادخلتهم في منظمتها فسرعان ما يحولوها عن اهدافها الحقيقية ويسخرتها لخدمة مصالحهم الخاصة .

لذلك كان علي اقناع رفاقي بوجوب اقفال الباب في وجه الجمهور حين نحرز أول انتصار حاسم لنا ، لنتمكن من المحافظة على النواة السليمة والخيرة التي اوكلنا إليها مهمة القيادة والتوجيه والسعي لتحقيق اهداف الحركة .

*

باشرت بإعداد الافكار الجديدة للحركة الوطنية الاشتراكية ، بصفتي مديراً للدعاية في الحزب ، وحرصت في نفس الوقت على تصفية العناصر المائعة والمترددة والخائفة وإقصائها عن اللجان التنفيذية والهيئات العاملة . وقد أقر لي المئات من الانصار انهم مع كونهم مخلصين للحركة بكل صدق ، لكنهم يفضلون في نفس الوقت عدم الدخول في الحزب كأعضاء عاملين وذلك لاعتبارات شخصية أو خوفاً من المتاعب التي هم بغنى عنها . فلو فتحنا مجال الدخول لعضوية الحزب امام هذا النوع من الانصار المترددين لكنا قضينا على الحركة في مهدها ولأصبحت حركتنا حركة اخاء وحب وتقوى .

وقد ترتب على إعطاء الشكل النضالي الحي للحركة الدعاية التي تسلمتها، ترتب على ذلك إظهار الحركة الوطنية الاشتراكية بمظهر التطرف ، ، اقصى عنها الاتكاليين والوصوليين والانتهازيين وضعفاء النفوس ، وجعل عضويتها وقفاً على المتصفين بالجرأة والإقدام .

في صيف عام ١٩٢١ لجأ فريق من العنصريين النظريين الى الاتفاق مع رئيس الحزب لوضع أيديهم على الحركة والانحراف بها عن غايتها ، لكننا أحبطنا المحاولة وانتخبني الجمعية العمومية رئيساً للحركة وأعطتني صلاحيات مطلقة للعمل . وفي نفس الوقت وافقت الجمعية العمومية على مشروع نظام بخول الرئيس المنتخب صلاحيات جديدة ويحد بالتالي من صلاحيات اللجان والهيئة المركزية أي مكتب الحزب . وقد بدأت عهدي الجديد بإعادة تنظيم الحزب لأن الحركة كانت قد تبنت الأنظمة التقليدية ووزعت السلطة بشكل ضاعت معه المسؤوليات .

ففي عامي ١٩١٩ - ١٩٢٠ قامت بإدارة الحركة لجنة انتخبتهـا مجالس الأعضاء . وكانت هذه اللجنة تتألف من رئيس ورئيس ثان وامين صندوق وامين ثان وامين سر ومعاون ، يضاف اليهم جميعهم لجنة من الاعضاء ورئيس لشؤون الدعاية وغيرهم وغيرهم ...

وكانت هذه اللجنة المنتدبة صورة مصغرة لما كانت الحركة تحاربه اي النظام البرلماني . وكانت اجتماعات اللجنة صورة طبق الاصل عن جلسات البرلمان ، فالقرارات تتخذ

بالأغلبية والمسؤولية تامة ضائعة وكذلك المؤهلات .
وكان للجنة أمناء سر وأمناء صندوق وهيئة لتنشئة الاعضاء الجدد وهيئة
للدعاية وغير ذلك ... وكان هؤلاء يشتركون جميعهم في درس القضايا المعلقة
ويصوتون عليها . وهكذا كان الرجل المختص في شؤون الدعاية يصوت مثلاً على
القضايا المالية وأمين الصندوق يصوت على شؤون الدعاية والتنظيم .
لقد انتقدت هذه الفوضى حين كنت عضواً عادياً ، وبعد أن كلفت بشؤون
الدعاية انقطعت عن حضور الاجتماعات ، ومنعت أعضاء اللجنة من التدخل في
الحقل الذي أفردته الحركة لنشاطي .

وما ان انتخبت رئيساً وخولت الصلاحيات الكاملة بموجب النظام الجديد
حق باشرت بوضع حد للفوضى السائدة ، وحصرت المسؤوليات بي شخصياً .
وابتداء من شهر ايلول ١٩٢١ أصبح الرئيس الاول هو المسؤول الوحيد عن الحركة :
فهو الذي يكلف أعضاء اللجنة بمهامها ، ويختار معاونيه ويوجههم ويعتبر كلاً
منهم مسؤولاً تجاهه عن المهمة التي كلف بها ، وسرعان ما ألقت الحركة مبدءاً
المسؤولية المطلقة . أما الأقلية التي لم ترق لها الأوضاع الجديدة فقد طردتها من
الحزب وبلغت جميع الفروع بوجوب طرد كل عضو يحنّ الى مبدء الاكثريّة ، لأن
الحركة التي اخذت على عاتقها محاربة النظم البرلمانية يجب ان تحرر نفسها من
تلك النظم قبل تحرير البلاد . وقلت في خطابي الذي ألقيته في الجمعية العمومية
ان الحركة التي تقوم في زمن طغى فيه مبدء الاكثريّة على مبدء مسؤولية
الفوهرر ، هي الحركة المؤهلة لتغيير الأوضاع القائمة وإنشاء نظام جديد يصلح ما
أفسدته الأنظمة القديمة .

عندما انضممت الى الحزب في خريف ١٩١٩ ، كان عدد الاعضاء المؤسسين
سته فقط . ولم يكن للحزب مكتب ولا موظفون حق ولا أدوات للكتابة ،
وكانت اللجنة المؤسسة تعقد اجتماعاتها في المقاهي أو الحانات . ولكن منذ أن
انضممت إلى الحزب حاولت ان اجد مكاناً يصلح لعقد الاجتماعات . وكان عليّ
ان اراعي حالة الحزب المالية فلا أرهق ميزانيتها ، المصاريف ، فوجدت في

حانة ستريبنكر في شارع « ثال » حجرة كانت ملقبة مستشاري « الامبراطورية المقدسة » في بافاريا كلما ارادوا عقد اجتماع سري .

كانت الغرفة مظلمة تطل نافذتها الوحيدة على زقاق ضيق ، حتى اننا كنا نلاقي صعوبة في تبين طريقنا الى الباب ، في النهار . ولم يكن باستطاعتنا استئجار مكان أنسب منه باعتبار ان وضع صندوق الحزب لا يسمح بذلك . ومع هذا كان ما حققناه في هذا المضمار يعتبر خطوة لا بأس بها . ولم تمض مدة طويلة حتى أوصلنا الكهرباء الى الغرفة المظلمة وكذلك حصلنا على هاتف خاص كما تبرع بعض الرفاق المقتدرين بشراء مكتب وبضعة كراسي وخزانة صغيرة . ولما لم يكن للحزب موظفون للأعمال الروتينية فقد اقترحت تعيين امين سر للحزب فوق اختيارنا على احد اصدقائي القدامى وهو جندي قديم يدعى شوسلر الذي اضطلع بأعباء المهمة دون ان ينفك عن عمله . فكان يعمل في المكتب ساعتين يومياً من السادسة صباحاً حتى الثامنة ، ثم ازدادت مسؤولياته كأمين سر وذلك بازدياد نشاط الحزب واتساع نطاق عمله فترك عمله الخاص وحصر نشاطه في خدمة الحزب ، واستجلب آلة ناسخة كان يمتلكها ووضعها في المكتب لتساعده في عمله ، ولكن الحزب اشترها منه بأموال التبرعات ، كما اشترى صندوقاً حديدياً لحفظ الملفات والوثائق الهامة .

في نهاية عام ١٩٢٠ انتقلنا الى مكتب جديد في شارع كورينوس مؤلف من ثلاث غرف وقاعة كبيرة . وفي شهر كانون الاول من العام نفسه عمل الحزب الوطني الاشتراكي على إصدار جريدة ، فأخذ على عهده إصدار جريدة « فولكشير بيوباختر » التي كانت تعطف على النزعة العنصرية ، فبدأنا بإصدارها نصف اسبوعية إلى ان اصدرناها في مطلع عام ١٩٢٣ يومية وبمجسم كبير . لكنها كانت الجريدة الوحيدة ذات الميول العنصرية في بلد تتلاعب بعقول سكانه الصحافة اليهودية المضللة . وقد شعرت في اللحظة الاولى لانتقال الجريدة الى الحزب انها أضعف من ان تثبت ضد حملات الصحف المعادية وأن تنافسها من حيث الانتشار والرواج . أما سبب الضعف فيعود إلى قلة الامكانيات المالية وقصر نظر القائمين

على ادارة الصحيفة. فقد اعتقد هؤلاء ان جريدة الحزب يجب ان تكتفي بمواردها الخاصة ، أي بما تجنيه من اجور اشتراكات وإعلانات ومبيعات . أما انا فقد اعتبرت الجريدة مشروعاً تجارياً وقد ناقشت اللجنة المركزية مراراً الى أن أقنعتمها وحملتها على الأخذ بوجهة نظري ، فعملت بعد ذلك على اختيار مدير تجاري لجريدة الفولكيشر بيوباختر. وشاءت الظروف ان تضع في طريقي احد الرؤساء في خط النار «ماكس امان» وهو رجل يتمتع بمواهب تنظيمية خارقة؛ وكان الحزب في ذاك الوقت يحتاز مرحلة دقيقة ويعاني أزمة مالية خانقة. فناشدته ان يدير شؤون الحزب المالية والتجارية ، فوافق بعد تمتع كثير بسبب مشاغله الكثيرة الناجحة التي كانت تأخذ كل وقته . لكنه اشترط للاضطلاع بهذه المهمة ان تطلق يده في العمل ، فلا تتدخل اللجنة في عمله ضمن الحزب .

وقد تولى ماكس امان الاشراف على الجريدة من الناحية المالية ، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى كانت مالية الحزب منتظمة على اساس تغطية النفقات العادية بالعائدات العادية ، وإنفاق المداخيل الاستثنائية في الوجوه الاستثنائية . وقد نظم ماكس العمل في الحزب كأنه ينظم عملاً تجارياً ، فأبعد العناصر التي تنقصها الكفاءة من الوظائف في الحزب وفي الجريدة. واستعان في بعض الحقول بأشخاص لهم من الكفاءات والمؤهلات ما ينسجم والمصلحة المالية ، رغماً عن كونهم غرباء عن الحزب . وقد عارض المسؤولون هذا الاسلوب ، لكن ماكس لم يلتفت لمعارضتهم هذه باعتبار ان الانتساب للحزب لا يؤهل المنتسب لأداء مهام هو غير كفؤ لها . إلا ان هذا لم يمنعه من الاستغناء عن خدمات الغرباء حين يجد بين الاعضاء من تتوفر فيه الشروط المطلوبة .

وبفضل حزم المدير الجديد للحركة استطاع الحزب أن يتخطى الأزمة المالية بسلام ، فازدهرت جريدة «الفولكيشر بيوباختر» وتصدرت مكانها اللائق بين الجرائد الرئيسية في بافاريا ، وبعد أن انتخبت رئيساً للحزب تخلص ماكس نهائياً من مداخلات اللجنة لأن النظام الجديد وزع الاختصاص توزيعاً دقيقاً

انتفى معه تعارض الصلاحيات ، وأصبح كل عضو مسؤولاً عن الحقل الذي تعود
إليه إدارته . وعندما حلت السلطات الحزب يوم التاسع من أيلول عام ١٩٢٣
وصادرت أمواله وممتلكاته بما فيها جريدة « فولكيشر بيوباختر » بلغت قيمة
هذه الممتلكات ١٧٠ ألف مارك ذهبي .

*

الفصل الحادي والعشرون

الحركة النقابية

في عام ١٩٢٢ اضطرنا نحو الحركة الى تحديد موقفنا من قضية لم تظهر حتى يومنا هذا بكل نهائي .

فعين كنا نبحث عن الوسائل التي تمكننا من غزو قلوب الشعب كنا نصطدم باعتراض لا سبيل إلى إنكار أهميته : لا يتمكن العامل أو أي شخص كادح آخر ، ان ينذر نفسه للحركة التي ندعوا اليها طالما ان مصالحه الاقتصادية ممثلة في اشخاص تختلف آراؤهم السياسية عن آرائنا .

ذلك ان اي عامل أو ذي حرفة لا يتمكن من ممارسة أي عمل خارج النطاق النقابي ، فضمن نطاق النقابة يشعر بالاطمئنان الى وجود حماية له ولحرفته . وعند ظهور حركتنا كان هناك ثمانين بالمئة من العمال واصحاب الحرف منتظمين في نقابات وجمعيات تعاونية فاضلت طويلا في سبيل رفع الاجور وتخفيض ساعات العمل .

وقد وقف البورجوازيون ، أحزاباً وأفراداً ، من الحركة النقابية موقف المتفرج اللامبالي ، ولكن ما أن اشتد ساعد النقابات وسيطرت عليها الماركسية حتى وقف البورجوازيون لمحاربتها على الصعيد النظري والبحث ، عوضاً عن معالجة هذه القضية بروح إيجابية محاولين استمالة هذه الحركة الجديدة إلى جانبهم ليستخدموها في مكافحة الماركسية .

وقد دافعت ، في فصل سابق ، عن الحركة النقابية واعترفت بحق الطبقات العمالية في التحالف والتكتل والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم ما دام هناك أرباب عمل أنانيون لا يهمهم إلا الكسب المادي ومراعاة مصالحهم الخاصة . ولم تتغير وجهة نظري منذ ذلك لأن عقلية أرباب العمل لم تتغير ، لذلك وجب على الحزب ان يحدد رأيه وموقفه من هذه القضية قبل ان يحاول استمالة العمال الى صفوفه لا سيما النقابيين .

فكان علينا ان نفصل في القضايا التالية :

١ - هل من الضرورة قيام النقابات ؟

٢ - أينبغي للحزب النازي ان يعتبر نفسه هيئة تعاونية أم يجوز له أن يعمل على إدخال أعضائه في إطار نقابي معين ؟

٣ - اذا أنشأ الحزب نقابة نازية محضة ، فما هي اهداف تلك النقابة وما هي

واجباتها ؟

اطن انني وضحت رأيي في المسألة الأولى ، حين اعترفت بضرورة قيام النقابات في الاوضاع الراهنة . لأن المؤسسات النقابية تأتي في طبيعة المؤسسات ذات الأثر في حياة الأمة اجتماعياً واقتصادياً لأن شعباً يؤمن لسواده حاجاته الحيوية ضمن نطاق مؤسسة نقابية معترف بها ، هو شعب قادر على الانتصار في معركة البقاء بفضل تمتعه بقوى روحية ومادية ضخمة .

ولا ننسى أهمية النقابات في البرلمان الاقتصادي الذي يجب أن تؤلفه الغرف التجارية والاقتصادية في الدولة العنصرية .

إن الاعتراف بضرورة قيام الحركة النقابية يجعل المسألة الثانية سهلة الحل . فالحركة النازية (وقد أسميناها كذلك منذ عام ١٩٢٣) التي تهدف الى إنشاء الدولة العنصرية لن تسمح بوجود مؤسسات على هامش الدولة ، بل ستحرص على قيامها جميعاً من صميم الدولة . لكن حركتنا لن تقع في الخطأ الذي وقع فيه سواها، فتحاول إعادة تنظيم الأجهزة قبل ان تحصل على العناصر المؤهلة للتنظيم ، لأن القيام بخطوة حاسمة في هذا السبيل يجب أن يسبقه اختيار رجال مشبعين

بالفكرة مؤمنين بها . نعم ، من الممكن فرض مبادئ زعيم أو دكتاتور على جهاز اجتماعي ما ، لكن هذه المبادئ تبقى ضعيفة اذا لم يأخذ بها جيش بشري منتخب وقادر على تحقيق فكرة الفوهرر .

لن تقع النازية في الاخطاء التي وقعت بها الاحزاب في العهد الجديد - العهد الجمهوري - فقد اعتقدت تلك الاحزاب ان مجرد سنّها دستوراً جديداً للبلاد سيضمن لها الاستقرار والبقاء . وقد رأيناها ترتجل دستور «فيار» وتقدمه هدية الى الشعب الالماني ، ثم وجدناها تهدم المؤسسات القائمة وتشتد على انقاضها مؤسسات جديدة تتوكل عليها الدولة كأسس لسلطتها .

سيكون للدولة النازية مؤسساتها ، ولكنها لن ترتجل هذه المؤسسات لأن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تبنى على الرمال ، ولكنها تنظم نفسها منذ الآن كما لو انها دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وكل مؤسسة نازية تقوم الآن تكون بمثابة النواة لأن تصبح فيما بعد إحدى دعائم الدولة النازية ، وهكذا تصبح حركتنا بمنظمتها ومبادئها ومفاهيمها المؤسسة الكبرى التي نعتبر تحقيقها المبرر الوحيد لقيام حزبنا .

لذلك وجب على الحركة النازية ان تنظم نفسها على اساس التعاون ، أو أن تؤسس تعاونيات نازية صرفة ، كما ينبغي للحركة النازية ان تربي العمال وأصحاب العمل تربية نازية مسهلة للطرفين سبيل التعاون ضمن إطار المصلحة المشتركة ، فبغير هذا التقارب يبقى الجهد المبذول في سبيل بعث الجماعة الشعبية حبراً على ورق ...

بقيت لدينا المسألة الثالثة :

لن تكون الحركة النقابية النازية كجهاز للنضال الطبقي ، بل ستكون جهازاً للتمثيل الحرفي . فالدولة النازية لا تعترف بالطبقات ولكنها تعترف من الناحية السياسية فقط بوجود بورجوازيين متساوين في الحقوق والواجبات العامة ، وكذلك بوجود رعايا لا يتمتعون من الوجهة السياسية بالحقوق المعترف بها للمواطنين .

فالتعاونية لا تعني بالنسبة للحزب الوطني الاشتراكي او النازي اداة للنضال، لكنها تعني ذلك بالنسبة للماركسية التي سخرتها في الصراع الطبقي كأداة لتفكيك روابط الجماعة الشعبية ، كما استخدمتها اليهودية العالمية في الوقت نفسه كأداة لهدم أسس الاقتصاد القومي لكل دولة مستقلة ليتسنى لها استعباد الشعوب الحرة.

لن يكون الإضراب بالنسبة للنقابات النازية ، وسيلة لتخريب الإنتاج القومي وتقويض أسسه ، بل سيكون الإضراب وسيلة من وسائل الازدهار لهذا الإنتاج ، فبفضل جهاد النازية وكفاحها ضد العوامل المصطنعة التي تقوّت على الاقتصاد القومي فرصة الإفادة من نشاط السواد ستبعث بذلك الازدهار والنمو للإنتاج القومي.

يجب علينا ان نرسخ في عقل العامل النازي ان ازدهار الاقتصاد القومي ، يفسح له الفرصة للتمتع بالبحبوحة المادية .

يجب علينا ان نفهم رب العمل النازي ان ازدهار مشاريعه تتوقف على اطمئنان عماله الى مستوى معيشتهم وارتياحهم الى وضعهم .

في الدولة النازية يمثل أرباب العمل والعمال الشعب الألماني في الميدان الذي يعملون فيه ، ويتمتعون بقدر كاف من الحرية الشخصية ، لأن إنتاج الفرد يزداد بحال أعطيت له حرية العمل ضمن الحدود التي ترسمها المصلحة العامة .

لكن حق الإضراب فتذكره قطعاً الدولة النازية على النقابات اذا كانت اسباب الرفاهية والطمأنينة متوفرة للعامل . ويوم تتجاهل الدولة - سواء كانت نازية او غير نازية - حقوق العمال والكاشرين وتعتبر نفسها حامية لمصالح ارباب العمل ، يصبح عندئذ الإضراب واجباً مقدساً بل من أقدم الواجبات للتعاونيات النازية .

إن المنازعات القائمة اليوم بين ملايين البشر يجب أن توجد لها تسويات عادلة بواسطة الهيئات الحرفية والبرلمان الاقتصادي المركزي الذي سيضم ، في كنف الدولة النازية ، ممثلين عن الصناعيين والتجار كما يضم ممثلين عن النقابات . وبقيام هذه المؤسسات يجب أن يزول التنازع بين البروليتاريا وأرباب العمل ، وبالتالي

سيمنع العمال عن المطالبة برفع الأجور وتخفيض ساعات العمل ، كي يتمكن ممثلهم في البرلمان الاقتصادي من حل هذه المشاكل بالاتفاق مع ممثلي الفريق الآخر وذلك لمصلحة الطرفين التي لا تتعارض مع مصالح الدولة . ولكن كيف يمكننا إنشاء هذه التعاونيات التي تتوفر فيها الشروط المذكورة .

ان وضع الاسس في ارض بكر اسهل من وضعه في ارض سبق استعمالها للفرض نفسه . وليس هناك أسهل من فتح دكان في منطقة خالية من الدكاكين ولكن فتح الدكان هذا في منطقة تشكو تضخماً في الدكاكين هو مغامرة كبرى ، لا سيما إذا كان الدكان يبيع نفس البضاعة الموجودة في الدكاكين القديمة ، ففي هذه الحالة يتوجب على الجديد ان يضاعف جهوده ليتمكن من الثبات ، كما يتوجب عليه السعي لإزالة المزارحين من طريقه . وهذا ينطبق على النقابات تماماً ، فقيام نقابة نازية إلى جانب نقابات أخرى لن تعطي ثمارها لأن هذه النقابات لن تتسامح مع النقابات الأخرى ولو كانت هذه النقابات صديقة ، ولا تدخر وسعاً في سبيل القضاء عليها ليخلو لها الجو ، لذلك فقد وجدت حركتنا نفسها أمام أمرين .

(١) إنشاء تعاونية نازية ومحاربة النقابات الماركسية القائمة .

(٢) التسلل داخل النقابات الماركسية ونشر مبادئ حركتنا في صفوف النقابيين لكسبهم جنوداً مثلنا .

لم يكن حزبنا في وضع مالي يمكنه من اعتماد الطريقة الأولى ، وكان تدهور النقد الألماني بشكل مطرد من الأسباب التي لم تشجع الحزب على الاغراء بالفوائد المادية للذين كن دعوتهم إلى الانتظام في تعاونية وطنية اشتراكية صرفة . يضاف إلى هذا العامل الرئيسي عاملاً آخر لا يقل عنه أهمية هو افتقار حركتنا إلى شخصيات قوية يمكن الاتكال عليها في أمور تنظيم الحركة النقابية الوطنية الاشتراكية . ولو وجدت هذه الشخصية وقدر لها نشر فكرة التعاونية النازية والقضاء على النقابات الماركسية ، لو وجدت هذه الشخصية لوجب علينا رفعها

إلى مرتبة العظماء الألمان وان نقيم لها تمثالاً في كل مدينة وقرية ..
إن الذين يسيطرون على مقدرات النقابات الماركسية ليسوا افذاذاً ، وحق
الذين انشأوا هذه النقابات ورسموا لها اهدافها لم يكونوا نوابغ ، علماً ان هذه
النقابات حين تم إنشاؤها لم يكن عليها أن تزيل المنافسين من طريقها ، لذلك
كانت مهمة الذين انشأوها سهلة لكن الحركة النازية اليوم تواجه عملاقاً قوياً ثابت
القدم متأكداً من قدرته على الكفاح الطويل .

ان قلعة التعاونية الماركسية يمكن ان يدير شؤونها رجل عادي اليوم ،
ولكن لا يمكن اقتحام اسوارها بحملة من الهجوم العادي ، ولكن يجب علينا
للوصول إلى هذا الغرض ، ان نسلم القيادة إلى رجل عبقرى يتصف بالجرأة
والحزم . فلماذا لم نجد رجلاً كهذا فلا لزوم لنا ان نجهد انفسنا ونحاول قلب
الأوضاع الراهنة .

ألا يكون افضل التخلي عن مشروع ما بدلاً من تحقيقه بشكل ناقص لعدم
وجود الامكانيات ؟

كان وراء تخلينا عن اعتماد الطريقة الأولى اسباباً اخرى منها اقتناعنا التام
بان إدخال الاقتصاد في نشاطنا النضالي من شأنه إضعاف هذا النشاط . إذ يكفي
ان تقول الدعاية انه بوسع الفرد الألماني ان يبني بيتاً إذا هو اقتصد قليلاً ، يكفي
هذا القول ليتحول الفرد بكل اهتمامه إلى هذه الناحية وينصرف عن السياسة
انصرافاً كلياً ، ويفرض أن يمد يد المعونة إلى الذين يناضلون في سبيل القضاء على
الصوص الذين يسلبون المواطنين أموالهم التي وفروها .

وكان رأيي في الاجتماعات الحزبية أن حركتنا لا تزال فتية وطريق
الكفاح أمامها لا يزال طويلاً ، فعليها قبل ان تجابه الحركات النقابية الماركسية
وغيرها من الذين يدورون في فلكها على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي ان تعمل
أولاً على نشر مبادئها ودعوة الشعب إلى اعتناق هذه المبادئ ، ولئن تمكن
الوطنية الاشتراكية من النجاح إلا بعد ان تجند جميع قواها لهذه المهمة ، أما

إذا وزعت قواها واعتنت بالاقتصاد والسياسة معاً ، فإنها ستخسر المعركة في الميدانين .

بقيت الطريقة الثانية وهي ذات اتجاهين : فإما أن ندعو الوطنيين الاشتراكيين إلى ترك التعاونيات التي هم أعضاء فيها ، أو نطلب منهم البقاء فيها ليحاولوا بنشاطهم هدمها . وقد اقترحت الاتجاه الثاني ، وكان رأي دائماً ان الاعتناء بالحركة التعاونية سابق لأوانه ، اما حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فيجب ان يقوم بها الحزب بعد وصوله إلى الحكم . وعندما اصر بعض الرفاق على وجوب إنشاء هذه التعاونيات النازية ودعمت الأكثرية هذا الإقتراح حدث الانقلاب في الحزب وانتخبت أنا رئيساً له ، فاستبعدت الفكرة نهائياً وأوضحت في نشرة دورية أن تعاونيه نازية تكون مهمتها الوحيدة منافسة التعاونيات الماركسية لن تقيّد حركتنا شيئاً ، كما ان الحزب بوضعه المالي الراهن لا يتحمل اعباء مالية جديدة لإنشاء تعاونيات تصلح للوقوف في وجه الحركة النقابية اليسارية ، لأنه يفتقر إلى المغريات ولأن أنصاره من الكادحين لم يتشبعوا بالفكرة الوطنية الاشتراكية بشكل كاف ، بحيث يمكنهم فهم رسالتهم ، كنقابيين نازيين ، بأنها كفاح مرير لا ضد النقابات الماركسية كمنقابات فحسب ، بل كمعقّدة يجب القضاء عليها .

وأوضحت في نشرة لاحقة ان خصوم الحركة يقولون ان الحزب النازي يناسب الحركة النقابية العداء لأنه ذو ميول رأسمالية ، وقلت ان الحركة النازية لم تكن موجهة ضد النقابات من حيث انها مؤسسات ترعى مصالح العمال ، ولكنها ضد النزاع الطبقي وتحارب كل تجمع نقابي يقوم على هذا الأساس .

ان الأحزاب التي قامت بعد الحرب لم تكن تدري بهذه الحقائق التي عرضتها فحاولت ان تقلد الماركسيين في الحقل النقابي ، وانشأت بين ١٩١٩ - ١٩٢٢ ست نقابات يمينية ونقابتان مستقلتان ، إحداها نقابة عمال الصناعات الخفيفة .

لكن جميع هذه المؤسسات لم تدم طويلا ، لأنها كانت بحاجة إلى التنظيم وإلى
المثالية ، ولأن الذين أنشأوها كأداة لمحاربة الماركسيين لم يحسنوا تقدير قوة
خصمهم الذي سحقهم سحقاً حين تحرشوا به ، ولم تقم لهم قائمة بعد
ذلك .

الفصل الثاني والعشرون

سياسة المحالفات

لم يكن لحكومات الرايخ أي نهج تسلكه في سياستها الخارجية ، ولم يكن لديها مبادئ تركز عليها سياسة المحالفات التي تنسجم ومصالح البلاد . اما الثورة فلم تفعل شيئاً بل تركت الفوضى تدب في الصفوف ، لأنه لم يكن من اهداف الماركسيين واليهود في وقت من الأوقات النهوض بالدولة الألمانية وتقويتها في الداخل والخارج باتخاذ سياسة بناءة مستوحاة من مصالح الشعب الألماني ، بل كان اول اهداف مجرمي تشرين الثاني ١٩١٨ القضاء على الانتاج في ألمانيا وإخضاع البلاد لسيطرة الرساميل الدولية . ولم يسهر عن بال رجال للثورة ان تخلص الرايخ من القيود التي فرضها عليه المنتصرون يعني زوال نجمهم هم ، لأن تحرير البلاد من السيطرة الأجنبية يفسح أمامها طريق الحرية لتتمكن من إعادة الأمور الى مواضعها وذلك بطرد الحقنة والمغامرين الدوليين . ذلك ان الشعب الناهض لتحرير نفسه ينمو فيه الشعور الوطني نمواً عجيباً وتستيقظ حواسه إلى كل نشاط للعناصر الغير قومية ، فيحاربها دون هوادة . والشعوب تلتفت دائماً هذه الانتفاضة كلما واجهت ضغطاً اجنبياً يؤدي إلى تفجير الأحقاد الداخليه ، فيصب الرأي العام جام غضبه على الفئات الموالية للأجنبي أو التي تقف في سبيل نهضته القومية .

وقد أدركت الطفيليات التي استغلت حوادث تشرين الثاني ان سياسة المحالفات ان كانت رشيدة فستقوي الشعور الوطني وتعيد الثقة إلى نفوس الألمان فيعيدونها إلى القمر الذي خرجت منه ويخلصون البلاد من آثامها . وهذا ما يبين لنا سبب تخبط السياسة الخارجية الألمانية بعد الحرب وسلوكها السبيل الأعوج ، وسوء الادارة الداخلية وتجاهلها لمصالح الأمة الحيوية .

لم تكن الحكومات مسؤولة لوحدها عن هذا الوضع الشاذ ، فقد شجعها على تجاهل مصالح البلاد البرلمان المؤلف من اكثرية لا قومية ، والشعب الذي ضرب رقماً قياسياً في الصبر وطول البال . ولا بد من الاقرار ان حزبنا لم يهتم بالسياسة الخارجية اهتماماً كبيراً وهو بعد حركة ناشئة تحاول ان تثبت وجودها . وكانت حاجتنا ان كسر القيود التي فرضها الاجنبي لا يتم إلا بعد القضاء على الضعف الداخلي والاطاحة بالذين يستغلون هذا الضعف . لذلك ركزنا الاهتمام على الاصلاح الداخلي أولاً والشؤون الخارجية ثانياً .

وعندما قويت الحركة وازداد عدد انصارها وجدت نفسها مضطرة إلى تحديد موقفها من المسائل التي كانت تثيرها معاهدات الصلح ، وهي لم تكتف بهذا القدر ، بل عمدت إلى وضع الأسس التي يجب ان تتمشى عليها السياسة الخارجية الألمانية ، دون ان تبتعد عن المخطط العام الذي تركز عليه مفاهيمنا العقائدية .

كان على حركتنا ان تثقف الشعب وتسدل المسؤولين الى الطرق الواجب اتخاذها ليتمكن شعبنا من استخلاص حقوقه واستقلاله . وقد وضعنا امامنا المبدأ الاساسي التالي :

السياسة الخارجية هي الوساطة لبلوغ غاية سامية ، والغاية هي خدمة مصالح الشعب . فكل مسألة من مسائل السياسة الخارجية يجب أن تراعي بحلولها مصلحة الشعب في حاضره ومستقبله وان تنبذ كل حل يعود بالضرر على هذه المصلحة .

هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يجب علينا أن نقف عنده والذي تسهل أمامه جميع الاعتبارات الأخرى من دينية وإنسانية وغيرها ..

*

قبل الحرب كان على السياسة الخارجية أن تهتم بتوفير الغذاء لشعبنا بتمهيد السبل الموصلة إلى هذه الغاية ، وإن تؤمن للرايخ قوة اضافية باعتمادها نظام محالفات مستوحى من الاختبارات . وقد بقيت هذه المهمة عينها بعد الحرب مع فارق واحد ، فقبل عام ١٩١٤ كان على ألمانيا أن تحافظ على كيان الشعب وتؤمن له مسببات البقاء ، معتمدة على دولة قوية ومستقلة ، أما اليوم فعلينا أن نعيد إلى شعبنا المقدرة على بعث الدولة القوية الحرة ، فبدون هذه الدولة القوية لا يمكن ممارسة سياسة خارجية قادرة على صون كيان الشعب وتأمين غذائه واسباب نموه .

ومجمل القول: يترتب على سياسة ألمانيا الخارجية في الوقت الحاضر ان تهيم للشعب الألماني السبل التي يجب عليه ان يعتمد بها ليستخلص استقلاله ويسترد اعتباره وحرية . ولا يسهى عن بال الذين يشبطون العزائم بأرائهم السخيفة أن توحيد اراضي الدولة ليس بالشرط الاساسي لنجاح الثورة التحريرية ، فيكفي ان يحصل على الحرية جزء صغير من الدولة ليتولى اعداد العدة للكفاح واسترداد حقوق الشعب المساوية .

وعندي ان شعباً يفضل العبودية على رؤية بلاده مجزأة هو شعب لا يستحق الحرية ، وأفضل منه ألف مرة شعب ينهض القسم المتحرر منه لتعظيم الاستعمار وقيادة معركة الخلاص التي تزيع الكابوس عن الشعب كله . ولا يكفي ان يعلن القسم الحر الطليق ان الشعب متحد اتحاداً روحياً وثقافياً ، بل عليه ان يتخذ الاجراءات الكفيلة بدعم بقية الشعب الذي يزرع تحت وطأة الظلم فيعده بالسلاح ويدربه على استعماله ويحثه على العمل المشترك لجمع شتات الأمة .

وعندما يكون الأمر متعلقاً بدولة اضاع جزءاً من ارضها ، يتوجب على

الوطن الأم ان يبدأ بأسترداد اعتباره واستعادة قدرته السياسية قبل ان يفكر بأسترداد الجزء الذي اضاعته. وبكلمة أخرى ان مصالح الاراضي المفقودة يجب ان يضحى بها في مثل هذه الاحوال وذلك للالتفات الى ناحية أهم وهي تحرير الوطن الأم . ذلك ان تمنيات الجزء المفتصب ومعارضة الاجزاء المتمتعة بالحرية لن تفيد شيئاً ولا تؤدي بالتالي الى تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة الاجنبي ، فهمة التحرير مناصرة بالاجزاء المتحررة ، ولكي تتمكن هذه الاجزاء من القيام بهذه المهمة ينبغي لها ان تقوى نفسها وتزيد من امكانياتها ليصبح في مقدورها يوماً ما ان تحمل السلاح في وجه العدو المستعمر وتجره على الرحيل .

ان صناعة سلاح الانتقام والتحرير يجب ان تقوم به سياسة الحكومة الداخلية . كما ان مهمة السياسة الخارجية فتكون في تمكين صانع السيف من العمل في جو يسوده السلام والطمأنينة .

*

في الجزء الأول من الكتاب شرحت العوامل التي انحرفت بسياسة المانيا الخارجية عن اهدافها قبل الحرب. فقد كان هناك اربع وسائل بإمكاننا اعتمادها كلها أو احداها في محاولاتنا الحفاظ على كيان شعبنا وتأمين الغذاء له . وقد اختارت السلطة في ذاك الوقت احدى الوسائل فنهجت سياسة استعمارية وتجارية ظناً منها أن هذه السياسة لن تشكل خطراً على المانيا ولن تضطرها بالتالي الى مسك السلاح . ولكن النتيجة كانت اندلاع الحرب العالمية وهزيمة الرايخ .

كان على الرايخ ان يلجأ الى وسيلة غير التي اتبعها : : فكان بإمكانه التوسع في اوروبا نفسها وعلى حساب اوروبا نفسها ومن ثم يفكر بنهج سياسة الاستعمار. أما التوسع في اوروبا فيجب ان يسبقه تفاهم بين المانيا وانكلترا أو تخصيص موارد الدولة كلها على تعزيز الجيش بحيث تزداد قوتها العسكرية وتنمو على حساب نشاطها في بقية الحقول ولا سيما الحقل الفكري . لكن الرايخ لم يقدم على هذه

الخطوة ، وقد سهى عن بال المسؤولين ان النهضة الفكرية هي بنت الاستقلال السياسي ، وان الأمة التي تنتابها الهواجس ويستبد بها القلق على مستقبلها لن تتمكن من تقديم نتاجاً فكرياً ذا قيمة . فالتضحيات مهما كانت قيمتها فإنها تهون في سبيل حرية الأمة ، ومتى توفر لدى الأمة قوة عسكرية ضخمة وذهب عنها الخوف امكنها عند ذلك أن تعوض عن ما فاتها في ميادين الثقافة . فالنهضة الفكرية في عصر بيركلليس جاءت بعد حروب طاحنة بين الإغريق والفرس . وقد رأينا الجمهورية الرومانية تنصرف الى العلوم والفنون وغيرها من ميادين التثقيف حالما تحررت من المخاوف والهجوم التي سببتها الحروب .

ولكن هل كان منتظراً من الاكثية الجاهلة أو البرلمانيين الثرثارين والساسة الانتهازيين ان يقدموا الأمم على المم-م وان ينشئوا الاعداد العسكري الكافي ، مضحين في هذا السبيل بما يعتبره الشعب الجاهل مصالح هامة .

كل هذا كان ممكناً تحقيقه على يد رجل مثل فردريك الكبير الذي كان شغله الشاغل تقوية الرايخ ، عسكرياً وسياسياً . أما الذين كانوا يأملون من النظام البرلماني الديمقراطي اليهودي خطوة كهذه فقد كانوا اغبياء حقاً ، لأن تقوية الرايخ عسكرياً وسياسياً هي آخر ما يفكر به البرلمانيون الذين باعوا أنفسهم للشيطان .

دخلت المانيا الحرب العالمية دون ان تكون مستعدة لها ، وعندما شعر المسؤولون بالضعف كان الاوان قد فات فأضطروا ، والحالة هذه ، الى البحث عن حلفاء يعتمدون عليهم ليسدوا هذا النقص ولكنهم من بدلاً من ان يحالفوا الانكليز ليتوسعوا في الشرق أو يحالفوا الروس ليأمنوا شرهم ويتفرغوا لمقارعة الاعداء في الغرب ، اغضبوا الروس والانكليز معاً ، ولم يجدوا من يحالفوه إلا آل هابسبورغ .

✱

هكذا كانت سياسة المانيا الخارجية قبل الحرب العالمية . أما سياستنا الخارجية في هذا العهد فهي تتخبط في دياجير الفوضى ولا يعرف لها نهج ولا هدف .

إذا قمنا بدراس اوضاع الشعوب الاوروبية من حيث قوة كل شعب منها نطلع بالحقائق التالية :

إن ابرز ما نجده في تاريخ اوروبا منذ منتصف القرن السابع عشر الى اليوم هو سياسة توازن القوى التي اتبعتها انكلترا ، فهي توقع بين دول القارة الاوروبية من وقت لآخر لتتمكن من تحقيق اهدافها الاستعمارية دون عناء . ومنذ ان أن تولت الملكة اليزابيث تميزت الدبلوماسية الانكليزية بطابع تقليدي لا يزال لاصقاً بها وهو التصدي بجميع الوسائل لقيام دولة اوروبية قوية تستطيع اخضاع اوروبا لسيطرتها أو الوصول الى مركز مرموق بين مجموعة الدول الاوروبية .

ولتنفيذ هذه السياسة اعتادت انكلترا اللجوء الى وسائل عديدة ، ولكن بعزم وقوة إرادة لم تخذلانها ابدأ ، فكانت تقوى وتتوسع بعد كل نزاع يدمي اوووبا ويستنفذ قواها . وعندما انفصلت عنها مستعمراتها في اميركا الشمالية حرصت على حماية ظهرها ، فبدأت بتصفية حساب هولندا واسبانيا باعتبارهما دولتان بحريتان ، وبعد ذلك تفرغت للوقوف في وجه فرنسا ومنعها من السيطرة على القارة . وقد تم لها ذلك حين غاب نيم نابوليون .

أما بالنسبة لالمانيا ومطامعها التي كانت تنمو ببطء لأن الشعوب الالمانية لم تكن موحدة الكلمة ، ولا تشكل بالتالي أي خطر أو عقبة تعترض مشاريع الدبلوماسية الانكليزية وأهدافها البعيدة . يضاف إلى هذا أن السلطات البريطانية تحرص دائماً على اعداد الأفكار للخطوة التي يعتزمون القيام بها ، حتى لا يفاجأ الرأي العام بهذا الاتجاه الجديد في السياسة ، وكي لا يلقي الحكام عناء كبيراً في

تبريره ، أما هذا الاعداد فيستغرق بعض الوقت ، لكن الدعاية تتولاه ببراعة .

حددت انكلترا موقفها من المانيا تحديداً صريحاً بعد الحرب السبعينية مباشرة ، أما ساستنا فقد ضيعوا فرصاً ثمينة في ذلك الوقت للتفاهم مع بريطانيا التي كانت تبحث عن حليف قوي يعتمد عليه في مواجهة روسيا الاخذة بالنمو ، واميركا التي اقصت بنشاطها الصناعي مضاجع رجال الاعمال في العالم المتمدن . وعندما سحقت قواتنا الجيش الفرنسي في سيدان بعد ان تقدمت الصناعة في بلادنا بشكل جعلها تنافس بريطانيا ، رأينا لندن تنظر إلينا بغضب وتخطط من جديد لسياستها الأوروبية جاعلة هدفها الجديد وضع حد لنمو المانيا الاقتصادية ومنعها من غزو العالم اقتصادياً ... وقد تكتلت الدول ذات القوة العسكرية ضدنا بتحريض من انكلترا تحت ستار المحافظة على السلم وحالفها لانها كانت مقتنعة ان هذه الدول لن تتمكن من الوقوف منفردة في وجه الجبار الالمانى . أما الذين عابوا على انكلترا لجوءها إلى الحـداع وتشويه الحقائق لحل الدول الأوروبية على معاداتنا ، فقد فاتهم أن كل وسيلة تصبح مشروعة عندما يكون الأمر متعلقاً بصون كيان الشعب وضمان مستقبله ، وان الترفع عن الحـداع في مثل هذه الاحوال هو تقصير في الواجب أن لم نقل خيانة له .

وجاءت الثورة الالمانية لتضع حداً للقلق الذي راود انكلترا وهي تتابع نمو المطرد فلم يعد لها من مصلحة في أن ترى بلادنا تتمرغ في الحضيض بعد أن حطمت الحرب اضلاعها وقصمت ظهرها . وقد فوجئت انكلترا ، بعد الانهيار الألماني ، الذي أدى إلى اختلال التوازن الأوروبي بشكل افسد عليها خططها ومشاريعها البعيدة المدى ، فهي قد عملت وناضلت طوال أربع سنوات لهذه اللحظة واستعدت الدول الكبرى على المانيا لتقطع الشوكة التي كانت تضايقها وما قد انهارت المانيا التي كانت تهدد بالسيطرة على أوروبا كلها ، ولكن في هذه اللحظة برزت لها شوكة جديدة هي فرنسا .

لم يكن في وسع الدبلوماسية الانكليزية أن تفتح صفحة جديدة عندما فوجئت بهذا الواقع ، ولا يمكنها تحويل الرأي العام ، الذي اعدته الدعاية للوقوف ضد المانيا ، لا يمكنها توجيهه وجهة معاكسة بين ليلة وضحاها ... يضاف إلى ذلك ان انكلترا خرجت من الحرب مشخنة بالجراح هي الاخرى ، ولم يكن من الحكمة مناصرة فرنسا العداء في وقت كانت فيه فرنسا قد اخذت مكان الصدارة وراحت تفرض مشيئتها في مفاوضات الصلح وفي المؤتمرات الدولية ، تساعدنا في ذلك دويلات اعتادت السير في ركاب القوي .

كانت المانيا الدولة الاوروبية الوحيدة التي يمكن لانكلترا أن تعتمد عليها في مواجهة فرنسا والحد من مطامعها ، لكن المانيا كانت في ذلك الوقت فريسة الحرب الأهلية ، وكان ساستها يتسابقون إلى أرضاء فرنسا مسلمين بكل ما يطلب من بلادهم . ولما لم تجد انكلترا من تعتمد عليه اضطرت إلى العمل مع فرنسا يداً بيد كيلا يفوتها القطار ويستقل الفرنسيون في العمل لوحدهم .

عندما اشتدت حدة التوتر قبيل الحرب ، كانت بلادنا من الناحية العسكرية في وضع لا تحسد عليه ، فقد كان في اوروبا دولتان بريتان قادرتان على سحق المانيا بتفوقها العسكري هما فرنسا وروسيا ، فكيف إذا تعاونتا مع انكلترا الدولة البحرية الأولى ؟ ان مركز فرنسا اليوم هو غير مركز المانيا قبل الحرب ويختلف عنه اختلافاً كبيراً ، ففرنسا اليوم الدولة العسكرية الأولى في القارة الأوروبية وليس لها أي منافس قوي في هذا الحقل ، ويحمي ظهرها من الجنوب حدود طبيعية تتحطم عليها كل محاولة يمكن أن تحاولها اسبانيا أو ايطاليا ، وقد اطمأنت فرنسا إلى جانب المانيا بعد أن سقطت هذه مكسورة الجناح ، فضلاً عن أن فرنسا تشرف من سواحلها الغربية على المرافق الحيوية في الجزر البريطانية التي تسمى تحت رحمة المدافع البعيدة المدى وفي متناول السلاح الجوي بحال نشوب حرب مع انكلترا . ويمكن أيضاً للغواصات الفرنسية أن تضرب المواصلات

البحرية البريطانية ضربات قاصمة من قواعدها المنتشرة على شواطئ المحيط الأطلسي والبحر المتوسط .

بذلك تكون انكلترا قد جنت على نفسها . فهي حين سعت إلى القضاء على ألمانيا ، أتاحت الفرصة لفرنسا في بسط سيطرتها على القارة الأوروبية ، وفي نفس الوقت اضطرت إلى مساندة الولايات المتحدة الأميركية إذ اعتبرتها نداً لها باعتبارها دولة بحرية . أما في الحقل الاقتصادي فقد تنازلت لحلفائها عن مناطق كانت لها فيها مصالح حيوية ضخمة .

وإذاً يذكر أن أهداف الدبلوماسية الفرنسية كانت تتعارض والأهداف الدبلوماسية الانكليزية . فالانكليز يترصدون ميزان القوى في القارة حتى إذا ظهر لهم أن هناك دولة ستبدل من هذا النظام في ميزان القوى عمدت فوراً إلى إضعافها لئلا تتمكن هذه الدولة من الظهور على مسرح السياسة العالمية .

أما الفرنسيون فيسلكون نفس المسلك لكن على نطاق أضيق ، فالمهم عندهم أن يمنعوا ألمانيا من الوقوف على قدميها ، فقد علمتهم التجارب أن ألمانيا الموحدة تشكل قوة ضخمة لا يمكن التغلب عليها ، لذلك اعتمدت الدبلوماسية الفرنسية إضعاف بلادنا بشقي الوسائل ، متوسلة إلى ذلك بتشجيع الحركات الانفصالية وافتعال تيار يكون في مصلحة النظام الاتحادي على أساس اللامركزية ، وهكذا يقوم بين الدولات الألمانية توازن يشبه التوازن الأوروبي الذي تهتم به انكلترا .

*

نتيجة لما تقدم لست أرى أي طريق لألمانيا أن تسلكه في بحثها عن اصدقاء ، أفضل من التقرب إلى انكلترا وكسب صداقتها . أنا لا أنكر أن سياسة الحرب التي اتبعتها انكلترا قد جرت علينا الويلات ، ولكن ماذا سيفيدنا الحقد على دولة لم يعد لها أي مصلحة في القضاء علينا نهائياً بعد أن وجدت هذه الدولة

نفسها تجاه خطر جديد محدق بها هو خطر المطامع الاستعمارية الفرنسية التي تجاوزت كل حد ؟

إن مصالح الشعبين الانكليزي والالمانى يمكن ان تلتقي ما دام العدو مشتركاً . ولكفى احذر الساسة المسؤولين من مغبة العلق في الأوهام ، فقد تعود ساستنا ان يستسلموا للاحلام السعيدة كلما لمسوا عطفاً من زعيم اجنبى على القضية الالمانية . فليفهم الذين يتوهمون ان الانصاف لن يأتي من رجل دولة اجنبى ، ان الانكليزي يبقى انكليزياً قبل كل شيء . وكذلك الاميركي والايطالي ، لذلك من السخف التفكير بأعتماد عطف رجال الدولة الاجانب كأساس للمحادثات فالشرط الاساسى لربط مصير شعبين هو الفائدة التي يمكنه ان يجنيها كل شعب منها نتيجة لهذا الارتباط . أما الاحترام والعطف فلا وجود لهما في هذا الارتباط . ان رجل الدولة الانكليزي مثلاً يمكنه ان يعتمد سياسة انكليزية بحجة تعود بالخير والنفع على الشعبين الانكليزي والالمانى معاً ، دون ان يكون ملازماً بأعتماد سياسة تكون في مصلحة الشعب الالمانى لوحده .

إن في اوربا دولاً يقلقها بقاء المانيا مكسورة الجناح في حين ان فرنسا تنمو وتشتد ويبرز تفوقها العسكري والاقتصادي . ونحن الالمان لا نعرف لنا عدواً لدوداً ، عدواً ميمناً لا يرحم سوى فرنسا وسواء حكم هذه الدولة البوربون أم اليعقوبيون ، آل بوناپرت أم الديمقراطيون البورجوازيون الجمهوريون المعتدلون أم الماركسيون ، فهدفهم سيبقى كما هو لا يتغير : احتلال رينانيا وتجزئة المانيا بحيث لا تقوم لها قائمة .

تكره انكلترا أن ترى للمانيا تتقدم وتنمو وتزدهر اما فرنسا فتريد ان تربل المانيا من خريطة أوروبا والعالم . والفرق بين ما تكرهه انكلترا وبين ما تريد فرنسا هو شاسع جداً . واليوم لا نناضل في سبيل استرداد مكانتنا كدولة عظمى ، بل علينا أن نعمل ما في وسعنا في سبيل ضمان كيان الوطن ووحدة الأمة واطعام اولادنا . وإذا استعرضنا الحلفاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم

في اوروبا فلا نجد أمامنا إلا انكلترا وايطاليا . فانكلترا لا تريد لفرنسا ان تشتد وتقوى كي لا تهدد مصالحها وتمرقل لها مشاريعها وتفسد عليها خططها. ولا يعقل أن تقف انكلترا موقفاً لا مبالياً من استيلاء فرنسا على مناجم الحديد والفحم في اوروبا الغربية ، لملها أن حليفة الامس تستطيع بفضل هذه المناجم الغنية ان تلعب دوراً بارزاً في توجيه الاقتصاد العالمي . كما لا يعقل ان تقف انكلترا موقف المتفرج إزاء تزايد نفوذ فرنسا في القارة ومحاولتها تسيير دفة السياسة العالمية .

بذلك تراقب ايطاليا النفوذ الفرنسي في اوروبا بمزيد من القلق . فالإيطاليون يتطلعون الى حوض البحر المتوسط ويطمحون الى التوسع على حساب البلاد المجاورة لممتلكاتهم الافريقية . فإيطاليا لم تدخل الحرب للشارك في اعلاء شأن فرنسا ، بل دخلتها وفي نيتها توجيه ضربة قاضية الى جارتها النمسا دون أن تنسبها رفقة السلاح أن في فرنسا منافساً خطيراً لا يقل خطورة عن جارتها الشرقية .

بناء لما تقدم يمكننا اعتبار انكلترا وايطاليا الدولتان الوحيدتان اللتان لا تمانعان في قيام أمة المانية موحدة باعتبار ان توحيد المانيا لن يمس بمصالحهما ، بل ربما كان قيام هذه الامة القوية والموحدة لصالح الدولتين .

عند دراستنا لمسألة العلاقات التي يمكن ان تقوم بيننا وبين الانكليز والايطاليين ، ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار عوامل ثلاثة يتعلق اولها بنا مباشرة أما العاملان الباقيان فأنهما يتعلقان بانكلترا وايطاليا .

هل ستقدم دولة ما على التحالف مع المانيا في وضعها الحاضر ؟ هل يعقل أن تجازف دولة ذات اهداف هجومية بالتحالف مع دولة يحكمها منذ سنوات حكم غير اكفاء وتعمي بصائر الكثرة الساحقة من ابناءها المبادئ الديمقراطية والتعاليم الماركسية فيخونون شعبهم ووطنهم ؟ وأي منفعة ستجنيها دولة قوية من التحالف مع دولة خائفة لا تتحرك للدفاع عن كيانها ولا تفعل شيئاً للتحرر من

الاعباء الضخمة التي فرضت عليها ، لان امكاناتها أصبحت في قبضة حكام خونة غير صالحين ، ولأن أيادي المغامرين الدوليين أمتدت للسرقة مقدرات البلاد؟ أن دولة تحترم نفسها وتعتبر التحالف أكثر وأهم من صفقة تعقد مع برلمانيين يطعمون في الربح . ان دولة كهذه لا تقدم على التحالف مع ألمانيا في وضعها الحاضر

كما لا يخفى أن أجهزة الدعاية في كل من انكلترا وإيطاليا أعطت فكرة جد بشعة عنا اثناء الحرب ، وليس في تصرفنا اليوم ما يسهل مهمة هذه الأجهزة إذا هي حاولت تغيير منهاجها وإقناع الرأي العام أن عدو الأمس يمكن أن يصبح اليوم حليفاً يعتمد عليه .

ولا ننسى أن اليهودية العالمية ترحب ببقاء ألمانيا دولة ضعيفة وتعتبر هذا الواقع منسجماً ومصالحها وموافقاً لمخططاتها . ولم يعد خافياً على الجميع أن سياسة انكلترا التقليدية تتعارض وسياسة المؤسسات المالية الخاضعة لسيطرة اليهود ، فاليهود يريدون هدم أسس الاقتصاد والسياسة في ألمانيا ، وقد رأيناهم يعملون بكل قواهم ودهائهم على بلشفة ألمانيا ليتسنى لهم وضع أيديهم على مفاتيح الاقتصاد القومي ، ولما احسوا بعجز الماركسية الألمانية عن تقويض أسس الدولة القومية في ألمانيا ، أشعلوا نار الحرب العالمية وبذروا بذور الثورة الحمراء داخل ألمانيا واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالاً بارعاً .

لقد اختارت اليهودية العالمية بلادنا مسرحاً لدسائسها وهدفاً لمؤامراتها لأن بلشفة البلاد وتخريب الوجدان القومي الألماني يخضع الانتاج القومي لاشراف المؤسسات المصرفية اليهودية ، مما يجعل من هذا الإشراف خطوة واسعة نحو اخضاع العالم باجمعه للسيطرة اليهودية . ويستفاد من مضمون احد وثائق « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو دستور الحركة اليهودية ، أن محور النضال اليهودي يجب ان يكون في ألمانيا لتحقيق حلمهم في السيطرة العالمية ، فاذا تمكن « الشعب المختار » من اخضاع ألمانيا يكون قد تحلص من أهم العقبات الرئيسية

التي تعارض طريقه .

واليهودية العالمية تتقلب حسب كل حال وحسب كل وضع ، فهي حين تسعى إلى خداع الرأي العام وتسمي افكار الامم والشعوب ، تعتمد طرقاً وأساليب كثيرة ومختلفة ، فتخاطب كل أمة بطريقة خاصة تترك أثراً عميقاً في نفسها ففي المانيا حيث تكثر الاختلاطات الدموية ، ينشر اليهود مبادئ خاصة مستخرجة من المثالية السلمية فيزعمون أنهم اعمى النزعة . أما في فرنسا فتستغل اليهودية النزعة الفردية والنفور من الاجانب ، وفي انكلترا تضرب على وتر المصالح الاقتصادية واعتبارات السياسة العالمية .

ولئن يكن التناقض واضحاً بين مفاهيم السياسة القومية ومطامح اليهودية العالمية في كل من انكلترا وايطاليا ، فالتفاهم والانسجام موجود في فرنسا بين القوميين وملوك البورصة الممثلين باليهود ، وهذا التفاهم يشكل خطراً كبيراً جداً على المانيا ، ويشكل من فرنسا عدواً مميتاً لا يجب ان ننسى عنه أو نسقطه من حسابنا لحظة واحدة . فالشعب الفرنسي الذي يهبط تدريجياً بمستواه إلى مستوى الزوج ، يعرض كيان الجنس الأبيض في القارة الأوروبية لخطر الزوال والانقراض بمسايرته مشاريع اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم .

ولا نعلم الفرنسيين حين نقول أن لهم يدأ في تلويث الدم الألماني في رينانيا ، لان هذا الشعب المتهتك لا يختلف عن اليهود برغبته في القضاء على حيوية شعبنا حين يشجع الاجناس المنحطة على تلقيح الالمان بدمها النجس .. إن الدور الذي تلعبه فرنسا ، بدافع من الحقد وبتعريض من اليهود ، هو اجرام بحق الجنس الأبيض ، وسيأتي اليوم الذي تتكاتف فيه الشعوب الأوروبية وتلقن هذا الشعب المحرم درساً لن ينساه وتنزل به العقاب الصارم الذي يستحق .

يجب على المانيا ان تتناسى احقادها وتمتد يدها الى انكلترا وايطاليا معاً ، هاتين الدولتين اللتين تراقبان بكثير من القلق تزايد النفوذ الفرنسي وتضخم

المطامع الفرنسية .

*

من تتبع المراحل التي مرت بها السياسة الخارجية الالمانية منذ قيام الثورة ، ومن راقب خاصة نشاط رجال الدولة ، لن يتألك نفسه من اليأس . فمنذ تشرين الثاني ١٩١٨ حتى اليوم لم يفعل هؤلاء الرجال اكثر من ترضية فرنسا والخضوع لها باعتبارها « الأمة العظمى » ، والمبالغة في اكرام ممثليها لكسب عطفهم . وهذه السياسة المبنية على تقديرات خاطئة كانت تلاقي تشجيعاً من جانب المسكين بالخيوط من وراء الستار لعلهم ان خضوع المانيا واستسلامها يتفقان والخطط اليهودية ، وان تقرب المانيا من فرنسا يؤدي قطعاً الى ازالة كل سياسة تحالف تتفق مع مصلحة الشعب الالمانى .

وفي نفس الوقت تطوعت الصحافة الالمانية الخاضعة لنفوذ اليهود لزرع بذور الحقد في نفوس الشعب على انكلترا ، كما حاولت تخويف انكلترا وتحريك هواجسها حين دعت السلطات الى اعادة تكوين الاسطول الالمانى ، والمطالبة بالمستعمرات قبل تحرير البلاد وتقوية مركزها في القارة الاوروبية .

لقد اجاد اليهود تمثيل ادوارهم واتقنوا لمبتهم بشكل لائق : فهم يلهون شعبنا الطيب القلب السليم النية بمسائل قانونية جداً ، ويدفعونه الى التظاهر والاحتجاج ، في حين تمنع فرنسا في تقطيع الجسم الالمانى وتضع الالغام تحت مرتكزات استقلالنا . ألم تتطوع الصحافة اليهودية في اثارة مسألة « التيرول » الجنوبي ، لتلهي الشعب الالمانى ، ألم نثر هذه القضية وقدعو الشعب الى السير في مظاهرة سلمية صامتة وتطير برقيات الاحتجاج الى عصبة الامم ؟

و « التيرول » الجنوبي الذي يبكيه البرلمانيون اليوم ، كنت أنا في عداد المدافعين عنه والمقاتلين في سبيله ابان الحرب العالمية ، في حين كان المتباكون يلغمون الجبهة من الداخل ، ويمحرضوا العمال في المصانع على الاضراب ليطمعوا الجيش في ظهره ويلحقوا الأذى والعار بالقضية القومية في الرايخ .

عندما كان « التيرول » الجنوبي ميداناً للمعارك الدامية لم يكن بالإمكان استعادته إلا بالسلاح . وقد أبلت الجيوش الألمانية في هذا القطاع بلاء حسناً وبقيت صامدة الى ان فوجئت بانهيار الجبهة الداخلية وانقطعت عنها الامدادات . فالذين سببوا الانهيار في الجبهة الداخلية قد خانوا التيرول وخانوا بقية الاراضي والاجزاء الألمانية ، والذين يعتقدون اليوم انه بالإمكان حل مسألة التيرول الجنوبي بالاحتجاجات والتظاهرات السلمية .. هم اما مصابون في عقولهم أو سذج يصدقون كل ما يقال لهم . متى يفهم المواطنون ان استرداد الاراضي السلبية لا يتم بالدعاء والابتهاال إلى الله تعالى ولا بتطهير برقيات الاحتجاج إلى عصبة الأمم . ان استعادة الاراضي السلبية يكون على ايدينا حين نصبح قادرين على مجابهة اعدائنا .

والادعى من ذلك ان الدين يسبححون اليوم بان خسارة « التيرول » الجنوبي كانت غلطة جسيمة وخيانة وطنية ، لم يفعلوا للحفاظ عليه سوى ذرف دموع التماسيح والتشدد بثرثرات فارغة . ولو طلبنا منهم اليوم حمل السلاح لاسترداد الاراضي السلبية ، لقبعوا في جحورهم يرتعدون خوفاً

ان المتباكين على مصير التيرول الجنوبي من حملة الاقلام واسياد المنابر ، الذين يطالبون باعادته إلى الوطن الأم ، هم انفسهم الذين يدعون في خطاباتهم إلى الكف عن ازعاج المنتصرين ، خاصة فرنسا ، بمطالب لا يمكن تلبيةها . وقد رأيناهم بالأمس يدافعون عن معاهدة فرساي ويشجبون أعمال « كتائب التحرير » في نفس الجسور في الروهر . ولكن الاعيب هؤلاء افتضحت ، فهم طلوعوا بنغمة التيرول حين شعر اليهود واثنائهم بان الشعب راغب في قيام تحالف مع ايطاليا وخاصة بين الاوساط التي تنظر بعين المصلحة إلى البعيد . ومن الطبيعي أن يعتمد اليهود وانصار آل هابسبورغ إلى قطع الطريق امام كل محاولة تهدف إلى تقوية مركز المانيا الدولي .

وبدافع من الحق على كل ما هو الماني صميم ، وانسجاماً مع طبيعة « الشعب

المختار ، الضليع في فن الكذب والتلفيق ، راح المتباكون على مصير «التيرول» الجنوبي يكيلون التهم للقوميين الاقحاح ويصفونهم بالخونة ويقولون أن العسكريين البروسيين هم السبب في خسارة هذا الجزء الهام من الوطن الالماني ، فلمؤلاء المنافقين المتجنين على المخلصين اقول :

ان كل الماني قادر على حمل السلاح ولكنه امضى سنوات الحزب قابعاً وراء مكتبه ولم يقدم خدماته إلى وطنه هو خائن ...

وكل الماني لم يشارك خلال سنوات الحرب في تقوية المقدرة على النضال والثبات في نفوس الشعب الذي كان يواجه اعداء متفوقين عليه هو خائن ...

وكل الماني ساهم في ثوره تشرين الثاني ان بالافعال أو بالسكوت عن المجرمين ، محطماً بسكوته السلاح الذي كان بإمكانه انقاذ التيرول الجنوبي هو ايضاً خائن ... لم يخن التيرول الجنوبي فقط بل خانت الوطن الالماني كله .

كذلك الاحزاب ومثلوا الاحزاب الذين وقعوا معاهدي فرساي وسات جرمان هم خونة بحق الوطن والأمة .

وللشعب الالماني أتوجه بالقول : أن استرداد الاراضي السليبية لا يتم بالخطب النارية يتفوه بها من يتقن صناعة الكلام ، فتحرير الوطن لا يتطلب السنة حادة بل يتطلب سلاحاً حاداً . وليس معنى هذا انني أطلب اشغال الحرب لاستعادة التيرول الجنوبي ، فانا لا اوافق على هدر دماء الشعبين الالماني والايطالي في سبيل تحرير مئتي الف مواطن ، في وقت يرزح فيه سبعة ملايين من اخواننا تحت نير الاحتلال الأجنبي في رينانيا .

فإذا كانت المانيا مصممة على تغيير هذا الوضع الذي من شأنه في حال استمراره أن يزيلها من خريطة اوروبا ، عليها أن تتجنب الوقوع في الخطأ الذي وقعت فيه قبل الحرب عندما استعدت العالم كله لأنها لم تعرف كيف تختار اصدقاءها . لذلك عليها ان تعرف من هو عدوها الألد وتتفرغ له

لتضربه بكل قواها ، وتغض الطرف عن اعدائها الثانويين ولو كلفها ذلك بعض التضحيات .

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين ان ننادي بالفكرة القائلة انه يجب أولاً استخلاص حرية الوطن واستقلاله قبل البدء باسترداد الاراضي المغتصبة ، وأن ندعو دائماً الى وجوب نهج سياسة محالفات مستوحاة من الواقع الالماني والاوروبي معاً . فقد حكمنا عواطفنا حين تحالفنا مع آل هابسبورغ فأصبنا بالهزيمة الشنعاء . لذلك لن تسمح حركتنا لمحتري السياسة في هذا العهد ان ينهجوا على صعيد السياسة الخارجية نهجاً يتعارض ومصلحة الامة الالمانية .

*

انتقل الآن الى مناقشة الاعتراضات ضد المسائل الثلاث التي عرضتها في سياق هذا البحث :

- ١ - هل تقدم الدول على التحالف مع المانيا وهي بوضعها الحاضر ؟
 - ٢ - هل يصبح اعداء الأمس من وضع يمكنهم من تغيير اتجاههم بحيث يحالفون اليوم الأمة التي اعطوا عنها بالامس ابشع صورة ؟
 - ٣ - هل تتغلب النزعة القومية عند بعض الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح المانيا ، على النفوذ اليهودي الذي يناهض قيام هذا التحالف ؟
- من البديهي ان ما من دولة تحترم نفسها وتغار على مصلحتها تقدم على التحالف مع المانيا بوضعها الراهن ، وليس هناك من دولة تغامر في ربط مصيرها بمصير دولة لا توحى أي نوع من الثقة .
- يحاول بعض السطحيين أن يجد عذراً للحكومات وتفسيراً لسلوكها الشائن في تدهور الشعب خلقياً وتدنّي معنوياته . لا انكر ان معنويات شعبنا اليوم تفرح العدو ، وهو مستسلم منذ سنوات لمشيئة القدر لا يحرك ساكناً في الحقل الايجابي ، ولكن لا نفس ان هذا الشعب نفسه كان لسنوات خلت مضرب المثل في الشجاعة

والنبيل وعلو المقام . فهو الذي اذهل العالم منذ عام ١٩١٤ إلى ان القى السلاح ، هذا الشعب الذي ادهش العالم بشباته وفضائله الانسانية . ولا اعتقد ان هناك من يذهب في التجني علينا إلى حد الزعم بأن الواقع المخجل الذي صرنا اليه اليوم هو نتيجة مع فطر عليه هذا الشعب من ميوعه واستسلام .

ان ما يجري حولنا ، وما نكابده في قرارة نفوسنا ، وما يدفع اعداءنا واصدقائنا على اساءة الظن بنا ؛ كل هذا ناجم عن جريمة التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، وقد صدق القول القائل « لا يتولد من الشر إلا الشر » ، ومع ذلك يمكن القول ان السحابة التي يتحلى بها شعبنا لم تموت ، انها الآن ترقد في أعماق ضمائرنا ، وتظهر في بعض الأحيان بشكل التفاعات خاطفة تشق الفضاء الملتصق بالسواد ، وستذكر المانيا ان هذه الالتفاعات تبشر بدخول المانيا دور النقاها . وانا لنجد اليوم آلافاً من الشباب على أتم الاستعداد لتقديم أرواحهم في ميادين التضحية في سبيل الوطن العزيز على قلوبهم ، كما نجد ملايين من الالمان منصرفين إلى العمل البناء كأنه لم تكن هناك ثورة ولا خراب ، فالحداد منهمك في عمله امام عدته ، والفلاح وراء محراثه ، والعالم وراء مكتبه ، والجميع يقومون بواجباتهم بكل إخلاص ونشاط . أما ما يعاب على الشعب الألماني من تخاذل واستسلام ، فمسؤول عنه الحكام الذين حكموا البلاد منذ عام ١٩١٨ . وعلى الذين يرثون الى حال امتنا اليوم ان يتساءلوا : هل جرب الحكام رفع معنويات الشعب ، وهل حاولوا ان يوقظوا هممه فما استجاب لهم الشعب ؟ وماذا فعلت الحكومات الألمانية منذ عام ١٩١٨ إلى اليوم من اجل تقوية الشعور الوطني ، وهل اقدمت على خطوة من شأنها إثارة كبرياء الألمان وتفتيح ما يخبزن في صدور الشعب من احقاد ؟

عندما فرض المنتصرون معاهدة الصلح عام ١٩١٩ ، اتاحوا للشعب الالمانى الذي ضعفته الهزيمة فرصة ذهبية للخروج من ذموله ، ذلك ان معاهدات الصلح التي

تقرض على الشعوب قيوداً ثقيلة تفعل في نفوس الشعوب فعل قرع الطبول في نفوس الجنود وهم يهيمون بالانقضاء على مراكز العدو . لكن شعبنا كان بحاجة الى من ينهه ويفتح عينيه لكن الحكومة الألمانية كانت في شاغل عن هذا الواجب الوطني ، يصرها عن اهتمامها بتأليم المرافق الحيوية في البلاد وعصر الشعب لتقدم للمتصرين ما فرضوه من ضرائب ..

لو كان هناك دعاية منظمة لأخذت من معاهدة الصلح المهرقة اداة لاثارة نفقة الجمهور ، بابرارعا قدابير الاعداء الوحشية واساليبهم البربرية . لكان بإمكانها ، لو كان هناك دعاية منظمة ، ان تحول عدم الاكثراث عند الشعب الى استنكار فائر ، ولو غذته في الوقت المناسب فسيتحول الى نفقة جارفة تنضج في صدور ستين مليوناً من الرجال والنساء فتستيقظ السلطات على صراخهم « سلحونا ، فنحن أمة لا تنام على الضيم » .

نعم ، فقد كان ممكناً اعتبار معاهدة الصلح النقطة الاخيرة التي تطفح بها الكأس ، ولكن هذا يعني تسخير كل مطبوعة وكل كتيب يوضع بين أيدي التلاميذ حتى أرقى جريدة ، كما يعني ايضاً تسخير السينما والمسرح في تنوير الجمهور ورفع معنوياته ، فيمتنع عن الابتهاال إلى الله صباحاً ومساءً : « اللهم اعد إلينا حريتنا ، ليقول : « ايها الرب القدير : بارك اسلحتنا ، وشدد من عزائنا ، واجعل لنا النصر على مضطهديننا ! » .

ان الشعب الالاماني ملوم ، ولكن اكثر اللوم يجب أن يكون على الحكومات الألمانية التي تظهر الدولة إلى العالم الخارجي بصورة بشعة بتصرفاتها المعيبة وباستسلامها الذي يكشف عن ضعف في الارادة . ولكي يصبح شعبنا مؤهلاً لمخالفة الشعوب التي تنامي مصالحها يجب عليه أن يسترد اعتباره ، ولن يتمكن من ذلك إلا بعد أن تقوم في ألمانيا سلطة حاكمة ، تظهر من الشعب وتحس بأحاسيسه لكي تعبر عن ما يختلج في صدره فتستند على ارادة شعبية تطلب الحرية .

لست انكر انه من الصعب جعل أعداء الأمس اصدقاء اليوم بين ليلة وضحاها . فقد اجهدت الدعاية نفسها اثناء الحرب في تلطيف سمعة الأمة الألمانية وتشويه تاريخها . ولن يزول بسهولة هذا الشعور بالكراهية نحو كل ما هو ألماني إذا لم يسترد الرايخ الألماني بفضل الوعي القومي معالم الدولة القادرة على تمثيل دورها في القارة الأوروبية ، وعندئذ فقط تطمئن الدول إلى سلامة اوضاعنا فتمهد الطريق امام التحالف واينا بحملة من الدعاية تعد النفوس لتقبل الخطوة الجديدة . لكن هذا الاعداد يتطلب وقتاً طويلاً ، لذلك وجب التمهّل في كسب ود اعداء الأمس ، لئلا يترتب على استعجال الامور إفساد المخطط الذي ترسمه الدعايات في البلد الآخر للحصول على النتيجة المنتفجة .

قلت واكرر القول انه لا يحق لألمانيا النظر إلى ما وراء حدودها قبل ان يبرهن الألمان ، حكومة وشعباً ، على انهم امة حية مستعدة للتضحية بل قادرة عليها في سبيل استعادة حريتها السلبية .

وهناك نقطة هامة لا يجوز ان نهملها : فقد يمر وقت طويل قبل ان يدرك الشعب المطلوب إعداداته لتقبل الفكرة الجديدة عن عدو الأمس ، اهداف حكومته وذلك اما لأن الحكومة تفضل إخفاء هذه الاهداف أو لأن الرأي العام نفسه بطيء الفهم لنقص في قنشتته الوطنية ، وفي هذه الحالة يقوم بين المطلعين من يحارب هذه الفكرة الجديدة ويحمل الشعب على اتباعه ، ولما كان شعبنا ميالاً إلى الثروة الفارغة وكانت احزابنا ومنظماتنا تمارس السياسة في المقاهي والأندية ، فإن كل خطأ يرتكب يضع سلاحاً في ايدي خصوم التقارب من الجانب الآخر ليستخدموه في نفس المحاولات المبذولة .

ولا شك في ان العقلاء من المواطنين استسخفوا الدعوة إلى تحرير التيرول الجنوبي وإنشاء الاسطول الألماني والمطالبة بالمستعمرات ، وقد لفتت حركتنا الأنظار الى الاثر السيء الذي تتركه هذه الدعوة في نفوس الانكليز والايطاليين وإلى المراقيل التي تضعها مثل هذه الدعوات في طريق الداعين إلى نسيان الماضي

وإقامة العلاقات بين الشعب الالمانى والشعبين الانكليزي والايطالي على أسس جديدة .

كانت الدعايات اليهودية تستغل اخطائنا في الحقل الخارجى ، وثرثرائنا التي لا فائدة منها ، واليوم يدفعنا اليهود إلى ترديد النغمة التي تغضب الذين يفترض فينا كسب ودم ، لذلك يجب ان نضع حداً لهوس المهووسين ودسائس الدسائين قبل ان يعود اعداء الأمس الى التجمع ضدنا ، ولا يسهى عن بالنا اننا خسرنا الحرب لأننا اغضبنا الله والناس اجمعين وقد كان علينا ان نراعى الأقربين والابعدين لنتمكن من حصر جهودنا في جهة واحدة .

أما إذا جارينا الداعين الى معاداة انكلترا لانها سلبتنا مستعمراتنا ، والى مقاطعة ايطاليا لانها تحتل التيرول الجنوبي . وإذا جارينا الناقمين على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا لانها بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، فلن يبقى عندنا من حليف نحالف إلا فرنسا ، التي نسي غلاة « الوطنيين » انها هي الاخرى سلبتنا الالزاس واللورين .

ان فرنسا هي عدوتنا الحقيقية في اوروبا . لكن انكلترا وبقية الدول الاوروبية ، لم تكن عداوتها لنا الا عداوة مؤقتة ، لذلك يمكننا ان نحولها إلى دول صديقة حين نبر شعوبها بنهضتنا وحيويتنا ونجعل من المانيا حليفاً ثميناً يتراكم عليه الباحثون عن حلفاء .



بقيت المسألة الثالثة وهي مقدرة ممثلى المصالح القومية في الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح شعبنا على تحدى اليهود والتخلص من سيطرتهم والقضاء على نفوذهم .

ان الحملة التي تشنها ايطاليا الفاشيستية للقضاء على الاسلحة الرئيسية الثلاثة لليهودية العالمية هي أحسن دليل على ما يمكن للحركات القومية المنظمة ان تفعله في هذا المضمار . اما التدابير التي تتنادى باتخاذها فهي : حل الجمعيات السرية كالحافل الماسونية وغيرها ، وملاحقة الصحافة الماركسية بعد القضاء على الاحزاب

اليسارية ، وتشبثت المفهوم الفاشستي للدولة . هذه الندابير ستدعم من مركز الحكومة الايطالية قومياً ودولياً وستتمكن بالتالي من حماية مصالح شعبها سواء أحب اليهود ذلك أم لا ...

لكن الحال في انكلترا يختلف عن ايطاليا . ففي انكلترا حيث يمارس اليهودي دكتاتورية مطلقة ، تقوم المنازعات المتواصلة بين ممثلي المصالح القومية أي مصالح الدولة الانكليزية وبين دعاة الدكتاتورية العالمية التي يمارسها اليهود . وقد رأينا هذا النزاع يتفاقم بعد انتهاء الحرب العالمية حين تعارضت وجهات النظر بين الحكومة من جهة وبين الصحافة الخاضعة للنفوذ اليهودي من جهة أخرى ، حول كيفية العلاقات بين انكلترا واليابان .

بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة عاد إلى الظهور خلاف أو عداة تقليدي بين اميركا واليابان . ومن الطبيعي ان لا تقف الدول الاوروبية موقف المتفرج من هذا العداة الذي يهدد السلام . وكان على انكلترا ان تراعي ارتباطاتها مع اميركا والصلات الاخرى العرقية التي كانت تربطها بأميركا ، كان عليها مراعاة هذه الارتباطات قبل ان تحدد موقفها من الدولتين المتنازعتين ، لكنها ترددت في الانحياز نحو اميركا باعتبار ان نمو هذه الدولة وتقدمها الهائل اصبح مصدر قلق لانكلترا ، وكيف لا يقلقهم تطور المستعمرة السابقة تطوراً هائلاً يمكنها من سيادة العالم في سنوات معدودة ؟

بحث انكلترا عن حليف يمكنها الاعتماد عليه في الأوقات العصيبة يوم تضطر إلى الدفاع عن مركزها الدولي وسيادتها البحرية ، فلم تجد انسب من اليابان لهذه المهمة باعتبار ان العداة القائم بين طوكيو وواشنطن سيجعل من اليابان حليفاً ثميناً يمكن الاعتماد عليه في تقوية مركز الامبراطورية تجاه المطامع الاميركية ..

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة الانكليزية تسعى جاهدة للابقاء على الروابط التي تشدها إلى الحليفة الآسيوية كانت الصحافة اليهودية في انكلترا وفرنسا تهاجم هذه السياسة . فاليهود بعد ان صفوا حساب البانيا بطريقة تتفق ومصالحهم كعشب يقاوم كل نزعة قومية في بلد متمدن ، وجدوا ان

اليابان الدولة الآسيوية العظمى لا يمكن ان تخضع لسيطرتهم إلا بعد ان يصفوا حسابها في ميدان القتال ، واليهود أذكى من ان يحاولوا إفساد الدم الياباني بمثل السهولة التي أفسدوا بها الدم الفرنسي والانكليزي والاميركي . لذلك يجب إضعاف اليابان بطريقة أخرى هي الحرب ، لأن بقاء اليابان دولة قومية وحيدة وسط مجموعة دول كبرى جردتها الدساتير اليهودية من معالم قوميتها تسهلاً لاستعبادها يشكل خطراً على مشاريع اليهود الذين يحملون ببلشفة العالم . فحلم اليهود لا يتحقق ما دام هناك دولة قادرة على سحق الطغيان بقوى الفكرة القومية .

ان الصحافة اليهودية في العالم وخاصة في انكلترا تحاول الآن ان تستعدي اليابان كما سبق ان استعدتها على المانيا ، وقد بدأت تضعف مقاومة الحكومة الانكليزية للذين يقفون ضد التحالف الانكليزي الياباني ، وسيأتي اليوم الذي تنزع فيه انكلترا حملة صليبية ضد الدولة الصفراء اقتناعاً منها بأن النزعة القومية في اليابان تشكل خطراً على السلام العالمي .

ان الحركة الوطنية الاشتراكية ستسمى جهدها لتنبية الشعوب الآرية حتى الشعوب المعادية لنا ، الى ما يبته اليهود لنا ولها ، وستخطط للشعب الألماني سبل الخلاص بحيث يكون كفاح شعبنا في سبيل التحرر من سيطرة اليهود المشعل الذي يضئ الطريق أمام الشعوب الاخرى الراغبة في التخلص من جرثومة اليهود.

الفصل الثالث والعشرون

الاتجاه نحو الشرق

يدفعني الى بحث موضوع العلاقات الالمانية الروسية سببان هما:
اولا : إثارة هذا الموضوع في الصحف الماركسية في معرض حديثها عن عقد
محادثات يقوى بها ساعد المانيا .

ثانيا : الاستخفاف الذي يعالج به المثقفون قضاياها الخارجية .
إن حركتنا لا تجد صعوبة في إزالة ما يعلق في أذهان اليساريين من جراء
الدعايات الماركسية ، لأن هذا الفريق من المواطنين لم يأخذ بوجهة نظر الماركسيين
إلا لأنه لم يجد من يوجهه ويرشده الى الطريق القويم فيما يجب ان تكون عليه
سياسة المانيا الخارجية . وقد وجد آلاف اليساريين في حركتنا المشعل الذي
اضاء أمامهم ظلام الطريق . وقد وجدنا بقية باقية لديهم من الوعي القومي
وغريزة حب البقاء مما سهل مهمتنا في إرشادهم .

لكن هذه المهمة لم تكن سهلة لدى المثقفين . فقد كان علينا إقناع رجال
خدرت وعيهم القومي مثاليات مضطربة ، فضحوا على مذبح الموضوعية آخر ما
تبقي لهم من عزة قومية وغريزة حب البقاء . وقد حاول هذا الفريق من المواطنين
الانحراف بسياسة المانيا الخارجية نحو المزالق الخطرة . لذلك وجدت انه من
الواجب علي أن أشرح لأعضاء الحزب وانصاره أخطر قضية تواجهها الدولة
العنصرية في الحقل الخارجي : موقف الرايخ من روسيا . وقبل أن أدخل في

صاحب الموضوع أوضحت في أكثر من خطاب ومحاضرة ومقال ان السياسة الخارجية للدولة العنصرية يجب أن تسعى إلى إبعاد مقومات البقاء للشعب وذلك بإقامة نسبة عادلة ، ملائمة لقانون الطبيعة ، بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة ، وبين مساحة الارض وقيمتها من جهة اخرى .

وقد سبق لي وشرحت في فصل سابق ان اقوى ضمانات الحرية للشعب وبقائه هو في حصوله على المدى الحيوي الكافي ، على أن تحافظ على سلامة هذا المدى دولة قادرة سياسياً وعسكرياً ضمن إطار جغرافي ملائم ، على الدفاع عن كيانها وحماية مصالح شعبها الحيوية .

حين ينظر الشعب الألماني الى المستقبل ، عليه ان يعتبر ان بلاده هي دولة عظمى مدعوة الى تمثيل دورها على المسرح العالمي . فقد مثلت ألمانيا هذا الدور طيلة قرون ، وكان نشاط شعبنا جزءاً لا يتجزأ من التاريخ العالمي . فالحرب الأخيرة التي خضنا غمارها والتي كانت بالنسبة لنا صراعاً من أجل البقاء ، هذه الحرب قد أطلق عليها الأعداء اسم « الحرب العالمية » ، معترفين بأهمية الدور العالمي الذي يمثله شعبنا .

لقد خاض الشعب الألماني الحرب بصفته قوة عالمية مزعومة . اقول «مزعومة» لأن المانيا عام ١٩١٤ لم تكن قوة عالمية ، فقد حملت السلاح وهي غير مهيأة للحرب ، فقد كانت تنقصها المواد الاحتياطية التي تدفعها إلى الثبات مدة طويلة ، لأن الأراضي الألمانية ضاقت بالسكان وابت جهد الشعب مقصوراً على استنباط تربة الوطن الخيرة ، لكن عطاءها قصر ، مع مرور الأيام ، عن سد حاجة السكان الآخذ عددهم في الازدياد .

والمانيا اليوم لا تعتبر قوة عالمية ، ولن تصبح كذلك حتى في حال بعث الجيش الألماني ، لأن المانع الذي كان قائماً قبل الحرب لا يزال كما هو ، بل على العكس فقد ازداد وضعنا تدهوراً بخسارتنا لأجزاء هامة من الوطن الألماني ، فقد ترقب على فقدان هذه الأجزاء مشاكل جديدة ، فقد أصبح على ستين مليوناً من المواطنين والرعايا أن يتدبروا خبزهم اليومي في مساحة من الارض لا تزيد على

نصف مليون كيلومتر مربع .

وإذا نظرنا إلى ألمانيا من حيث مساحة الارض، نجد انها في وضعها الحاضر، أي بمساحتها الحاضرة ، دولة متوسطة عاجزة عن الوصول الى مستوى الدول الكبرى ، ولا يجوز الاستشهاد بصغر المساحة الأرضية الذي تشغله أنكلترا للتدليل على خطأ هذه النظرية . فالواقع ان أنكلترا تعتبر العاصمة الكبرى للامبراطورية الانكليزية المترامية الاطراف .

ويمكننا أن نعتبر دولاً عظمى كالولايات المتحدة الاميركية وروسيا والصين. فمساحة كل واحدة منها تبلغ عشرة أضعاف مساحة ألمانيا بوضعها الحالي. وكذلك فرنسا يمكن اعتبارها من الدول العظمى لأنها تملك أقوى جيش في العالم وتعززه باستمرار ، بفضل مواردها الخاصة وموارد امبراطوريتها الواسعة . كما انها تسد النقص في الموايد باختلاطات عرقية ودموية إن لم يوضع لها حد نجم عن استمرارها لمدة قرن آخر قيام دولة افريقية - اوروبية مكان فرنسا اليوم .

لقد قنبت الحركة الوطنية الاشتراكية لهذه الحقائق وندبت نفسها للقيام بجمع شتات الشعب الألماني وصهر شتى عناصره في بوتقة القومية الصافية ، ثم الخروج به من الدائرة الضيقة ليضرب في آفاق جديدة واسعة ، لأن بقاءه في مكانه يعني له الانقراض أو الخضوع لنير الاستعباد .

إن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تقبل ان يعيش ستون مليون ألماني في بقعة من الأرض لا تزيد مساحتها على نصف مليون كيلومتر مربع ، وترى أن من أقدم واجباتها إزالة هذا الواقع الأليم وسد الثغرة التي أحدثتها السياسة الخارجية في العهد الأخير بين ماضينا التاريخي المجيد وحاضرنا الأليم .

ستعلم حركتنا الشعب الألماني كيف يعتني بنفسه كعنصر متفوق في الأصل ، وقننه الى وجوب الاعتناء بدمه لكي لا يدعه عرضة للاختلاطات المميتة، وتوجهه اتجاهاً يجعله جديراً بحمل المشعل الذي حمله أجدادنا .

إن سياسة ألمانيا الخارجية خلال السنين العشر التي سبقت اندلاع الحرب

العالمية لم تكن بأفضل من سياستها الحاضرة التي تحملها أخطاء جسيمة ارتكبتها لأنها عاجزة عن الوقوف حيث يلي عليها الواجب . فقد كانت لنا امبراطورية واسعة وكنا أقوياء نسبياً ، لكن قوة الدولة يجب أن تقاس بمقياس قوة باقي الدول ، وألمانيا قبل الحرب ظلت مقصرة عن ملوغ مستوى الدول المنافسة لها . لقد كنا نتقدم إلى الامام ببطء شديد بينما كان الآخرون يسرعون الخطى . ولئن تكن التضحيات الكبيرة التي قام بها شعبنا والتي ذهبت سدى ، فسبب ذلك يعود الى عدم معرفة الحاكمين لاستعمال الطاقة الشعبية التي وجدت في متناولهم . وإذا رجعنا إلى تاريخ ألمانيا واستعرضنا ما تتيها العسكرية ودرسنا نتائج هذه المآتي النهائية كما تظهر لنا اليوم ، نجد أننا تعاء واقع ناطق بمهارة الذين تولوا مقدرات شعبنا في ذلك العهد الذهبي . فبفضل سياستهم الحكيمة توصلوا الى النتائج التالية :

- (١) استعمار المناطق التي تعتبر الباب المؤدي الى الشرق .
- (٢) احتلال المناطق الواقعة شرقي نهر الايلب .
- (٣) نجاح آل هوهنزلرن في إنشاء نواة الامبراطورية حين تم لهم إنشاء الدولة البروسية .

لقد شدد المؤرخون الالمان على أهمية النتيجة الثالثة أي إنشاء الدولة البروسية ولم يحفلوا كثيراً بالنتائج الأولى والثانية ، مع العلم ان التوسع في الشرق كان خطوة عظيمة بل من أعظم الإنجازات التي قام بها الأجداد ، ولو انهم لم يفعلوا ذلك لكنا اليوم مقاطعة تدين بالولاء لروسيا في الشرق ، أو لفرنسا في الغرب . فبفضل الزحف شرقاً ، الذي يعتبر المحاولة الوحيدة الناجحة من هذا النوع ، أمكن تحقيق الانسجام المطلوب بين عدد السكان المتزايد وبين المدى الحيوي اللازم .

ولا يُعتقد أن تشديدي على أهمية الزحف شرقاً واعتباري لها كخطوة موفقة قام بها أجدادنا ، لا يعتقد أنني لا أقدر أهمية الخطوة الثالثة ، أي إنشاء الدولة البروسية وما تلاها من قيام الجيش الألماني رمز وحدة الأمة . فبفضل هذا

الحدث التاريخي العظيم شعر كل ألماني أن ما كان يشغله في الدفاع الفردي قد زال وحل محله الدفاع عن الأمة كلها في محيط المؤسسة العسكرية التي تمثلت فيها جميع عناصر الأمة .

وهكذا أصبح للشعب الألماني نظام جديد يجمع شمله ويوحد كلمته ويوفر له التنظيم الذي كان ينقصه . . ذلك ان التضامن الفطري القائم بين بقية الشعوب ، والذي لا نجده في مجتمعاتنا نحن قد ساد الى حد ما صفوف أمتنا بفضل التدريب العسكري . لذلك كان إلغاء الخدمة العسكرية الإلزامية وخيم العواقب في بلادنا التي لم تتخل بعد عن النزعة الفردية نهائياً ، والتي يساهم في تقريب كلمة أبنائها تعدد العناصر وانتشار المفاهيم الفلسفية المتناقضة .

من المؤسف القول أن أعداءنا يقدرّون ويفهمون أكثر منا أهمية انتصاراتنا السياسية الحقيقية التي أحرزها شعبنا خلال ألف عام من النضال الشاق والكفاح المرير . لذلك وجب على حركتنا ان تعلم شعبنا كيف يميز بين الانتصارات السياسية الحقيقية وبين الحالات التي اهدرت فيها دماؤنا بدون طائل . ويمكننا انقول دون أن نتجنى على الحقيقة ودون أن نغبط حقوق ساستنا : إن ألمانيا لم تكسب شيئاً من الخطوات التي خطتها منذ قرن إلى اليوم في ميدان السياسة الخارجية ، لأن المدى الحيوي لم يكن هدف هذه السياسة .

*

ما أكثر المتشدين في أيامنا هذه وما أكثر الزاعمين ان سياسة ألمانيا الخارجية يجب أن تقصر نشاطها على محور عام عام ١٩١٨ مقيمة بذلك الأدلة على زعمها في التوسع تطيناً للجيران . أما أنا فأقول إن التفكير في إعادة الرايخ إلى الحدود التي كانت له سنة ١٩١٤ هو جريمة بحق الوطن . ولا أنكر أن حدود ما قبل الحرب لم تكن معقولة من الوجهة الاستراتيجية ولا منصفة من الوجهة الإنسانية لأن ملايين من الألمان كانوا يعيشون خارج تلك الحدود . وأذهب أكثر من ذلك فأقول إن حدود الرايخ لم تكن نتيجة عمل سياسي مدروس . إنها كانت مؤقتة بانتظار الانتهاء من نزاع لا يزال قائماً . ولكن المطالبة بإعادة هذه الحدود من

شأنها اليوم إعادة الارتباط بين الحلفاء ، لأن أكثر ما يخافه هؤلاء هو بعث « الخطر الألماني » حسب قولهم المائل في وحدة الأمة والتفاف أبنائها جميعهم حول رايتها .

لقد تناسى أعداؤنا عام ١٩١٤ ما بينهم من أسباب النزاع والقطيعة ليعقدوا العزم على محاربة ألمانيا القوية ، ثم وجدوا بعد ذلك أن تقسيم ألمانيا هو الضمانة الوحيدة لمنع الرايخ من النهوض مرة أخرى ، فعندما يعلن ساستنا البورجوازيون أن سياستنا الخارجية يجب أن تقصر مها على إعادة حدود ١٩١٤ ، يقدمون إلى الأعداء السبب المطلوب للإبقاء على التضامن فيما بينهم ، لعلهم أن ألمانيا القوية تخافهم مجتمعين ولكنها لن تتردد في الانقضاض عليهم حين يصبحوا متفرقين .

إن شعار عالمنا البورجوازي في إعادة حدود ١٩١٤ هو والحالة على ما ذكرت شعار في غير محله بالإضافة إلى أن وسائل تحقيقه غير متوفرة ، وأنه في حال تحقيقه لا يستأهل منا هدر دماء أبنائنا في سبيله ، باعتبار أن حدود ما قبل الحرب لا قيمة لها في حساب الذين ينظرون إلى أيعد من أنوفهم . فهي لم تكن غطاء صالحاً في الماضي ، ولا يمكن أن تشكل قوة في المستقبل ، فهذه الحدود لم تحفظ لشعبنا وحدته الداخلية ولم توفر له قط أسباب العيش . أما من الناحية العسكرية فليس لتلك الحدود من قيمة دفاعية .

ليس بإعادة حدود ١٩١٤ يمكن لألمانيا أن تستعيد مكانتها السابقة . ونحن الوطنيين الاشتراكيين مقتنعون ببطلان كل تخطيط لسياستنا الخارجية لا يتضمن إعطاء الشعب الألماني الأرض التي يجب أن تعود إليه في هذا العالم . وبلوغ هذا الهدف يهز هدر دمنا الألماني لأن أحفادنا الذين سيتوالدون على الأرض الجديدة سيفغفرون لنا إرسال آباءهم إلى الموت في سبيل تأمين مداهم الحيوي .

يعترض بعض الكتاب العنصريين على هذا النوع من التوسع زاعمين أنه يشكل اعتداء على حقوق البشر المقدسة . لا أعلم من أين استخلص هؤلاء نظريتهم السخيفة ، ولكنني متأكد بأن انتشار هذه النظرية لن يقيد إلا أعدائنا في الداخل

والخارج . ويتناسى اعداء التوسع ان ما من شعب في هذا العالم تمكن من امتلاك شبر واحد من الارض بفضل احترامه لحقوق الآخرين وتقيدته بالقوانين المنزلة او الموضوعة .

ان حدود الدول هي من صنع البشر وتبديلها يتم على أيدي البشر ، وحدود المانيا الحالية ليست سوى نتيجة لنضال طويل لم ينته بعد وكذلك حدود فرنسا وبولونيا واطاليا وغيرها ...

ان حصول شعب من الشعوب على اراضي مترامية الاطراف ، لا يعني بشكل من الاشكال ان الشعوب المحرومة لا يحق لها منازعته ملكية هذه الاراضي . وان ما يقاسيه شعبنا اليوم من شظف العيش وما يعانیه من ضيق ضمن الاطراف الارضي الصغير ، ليس من صنع القدر ، كما يزعم الاتكاليون ، وليس الكفاح في سبيل تغيير هذا الوضع تمرأ على هذا القدر . فأجدادنا لم يتلقوا الارض التي نعيش عليها هبة من السماء ، لكنهم احرزوها بقوة السيف بعد ان سقوا تربتها بدمائهم الزكية . والمدى الحيوي الذي نفتقر اليه اليوم لن نتمكن من الحصول عليه بنعمة « العنصرية » ، فسبيلنا الوحيد اليه هو القوة .

ان تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية اولى لا بد لكل الماني مخلص من اقرارها . لكن تظل خطوة عقيمة ان نحن اكتفين بهذا القدر . فإزالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب ان تكون بداية الانطلاق نحو توسيع مساحة الارض التي نعيش عليها . وقد اوضحت في جزء سابق ان توسعنا خارج اوروبا لا يقضي على المشكلة ، فليس المطلوب إخضاع بعض الشعوب الملونة للسيطرة الألمانية ، إنما المطلوب الحصول على اراض اوروبية تتسع بها رقعة الوطن الأم . وطبعاً هذا التوسع سيكون على حساب الشعوب الاخرى ، ونحن الألمان إذ تفكر أن هذا التوسع على حساب الآخرين عمل غير مشروع نكون قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ . ان حق الشعب بالاستيلاء على اراض جديدة يصبح حقاً مقدساً عندما يضيق الوطن بمن فيه ويوشك ابناءؤه على الهلاك اختناقاً .

فأما ان تصبح لألمانيا قوة عالمية او لا تكون . والشرط الأساسي للوصول الى مستوى الدول العظمى هو في إحرازها المدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء .



يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين ان نسمى لتبديل سياسة ألمانيا الخارجية وان نبدأ حيث انتهى أجدادنا منذ ستاية سنة . يجب ان نعمل على وقف الزحف الجرمانى نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بانظارنا نحو الشرق .

أجل ان حركتنا ستسعى إلى الحد نهائياً من السياسة الاستعمارية والتجارية لتؤمن لشعبنا مداه الحيوي في اوربا نفسها ، ونحن إذ نهدف إلى ذلك لا يفوقنا ان اتساع الارض التي نعيش عليها لن يتم إلا بالتوسع على حساب روسيا والبلدان المجاورة لها .

ان القدر نفسه يشير باصبعه إلى روسيا ، فهو حين رمى بها في أحضان البلشفية قد انتزع من الشعب الروسي تلك الفئة من المفكرين الذين اقاموا صرح الدولة وقولوا مقدراتها . ذلك ان تنظيم الدولة الروسية لم يكن بفضل جهود الصقالية ومقدرتهم على الخلق والابداع ، بل كان ثمرة جهود العنصر الجرمانى المتمتع بعقريات منظمة حيثاً وجد واين ما حل . لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التي خلقت الدولة ، لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الأيام ، وظهر إلى حيز الوجود اليهودي في الوقت المناسب ليأخذ محلها . قد تحاول روسيا التخلص من الكابوس اليهودي لكنها لن تقوى على التخلص منه بأساليبها الخاصة . ولا يفوتنا ان اليهود اضعف ممن ان يستمروا باخضاع دولة كبيرة لسيطرتهم لمدة طويلة ، لأنهم عنصر مخرب لا يحب النظام والبناء . لهذا فنحن نعتقد ان الدولة الجبارة في الشرق تقف على شفير الهاوية ، وان نهاية السيطرة اليهودية على روسيا تعني نهاية روسيا نفسها كدولة . وقد اختارنا القدر لنشهد هذه الكارثة التي تعتبر احسن دليل على صحة نظرياتنا العنصرية فيما يتعلق



من البديهي ان يعارض اليهود هذه السياسة بكل ما لديهم من قوة ونفوذ لأنها تتنافى ومبادئهم وخططهم ودسائسهم . ويكفي ان يقف اليهود في وجه هذه السياسة الحكيمة لنقنع الذين يشعرون بالقضايا القومية بفائدة هذا الاتجاه الجديد الذي وضعته حركتنا . ولكن مع الأسف ، لم تختمر فكرة الاتجاه والزعحف نحو الشرق في أذهان الكثيرين من القوميين الألمان وبعض «العنصريين» النظريين . فهم يستشهدون ، كلما اعوزتهم الحجة وخانهم المنطق ، بالاتجاه الذي رسمه بسمارك الذي حرص دائماً على قيام علاقات ودية بين ألمانيا وروسيا . وكان حرصه في محله . وينسى الذين يستشهدون بما فعله بسمارك انه كان يعلق أهمية كبرى على صداقته مع إيطاليا لكي يفرض إرادته على النمسا وهي في شبه عزلة . فلم لا ينادي المعجبون بسياسة بسمارك بنهج المنهج الذي اعتمده المستشار الحديدي تجاه إيطاليا الحالية ؟ سيقولون ان إيطاليا اليوم ليست إيطاليا القرن التاسع عشر . ونحن نجيب ان روسيا اليوم ليست روسيا التي حرص بسمارك على كسب صداقتها . اذن فالقضية ليست : ماذا فعل بسمارك ؟ بل القضية هي : ترى لو كان بسمارك حياً فما هي الخطة التي سيتبعها ؟ لا شك أن هذا الرجل البعيد النظر ما كان يمد يده الى روسيا البلشفية المشرفة على الموت .

لا يسعنا ان بسمارك تبني الرأي القائل بالاستعمار وغزو الأسواق العالمية كما ان قضية التنظيم الداخلي كانت شغله الشاغل . فمن الطبيعي والحالة هذه ان يعتبر وقوف روسيا على الحياد في خصامه ضد الغرب انتصاراً كبيراً لسياسته . ولكن ما كان صالحاً في ذلك الوقت لألمانيا هو اليوم في غير مصلحتها .

في عام ١٩٢١ جرت محاولات لخلق الروابط بين حركتنا التحررية وبين بقية الحركات التحررية في البلدان الأخرى ، واقترح الوسطاء إنشاء «عصبة الأمم المضطهدة» وقد اجتمعت عدة مرات مع رجال ادعوا انهم ممثلين عن بعض الدول البلقانية والهند ومصر ، فأعربوا لي عن رغبتهم في إيجاد تعاون

وثيق بين الحركات الاستقلالية في بلادهم وبين الحركة الوطنية الاشتراكية ، ولكنني لم التفت إلى اقوالهم ولم اهتم بها ، لأنهم تكشفوا لي عن كونهم ثرثارين وأدعياء لا يفقهون ما يريدون .

إلا ان هؤلاء « الاستقلاليين » وجدوا من يسمع لهم ويتحمس لآرائهم في صفوف القوميين الألان الذين اعتقدوا محدثهم من تلاميذ هنود ومصريين ، بانهم الممثلين الحقيقيين لمصر والهند . وقد فاتهم ان هؤلاء التلاميذ لا يمثلون إلا انفسهم وبالتالي فالحديث معهم والدخول معهم في مفاوضات يعتبر مضیعة للوقت . وحتى لو كان هؤلاء معتمدين رسمياً من قبل بلادهم للمشروع بجد ذاته لا قيمة له ويعود بالتالي على القومية الألمانية بأضرار فادحة .

لقد جربت المانيا التعاون مع دول لا قيمة عسكرية لها حين قامت بالتحالف مع تركيا والنمسا لتواجه أقوى الدول عسكرياً وصناعياً ، فكانت النتيجة الكارثة التي لا تزال نقامي من ذيلها .

ويبدو ان هذا الدرس القاسي لم يكن كافياً بدليل تحمس المورسين من المواطنين لمشروع « عصابة الأمم المضطهدة » اقتناعاً منهم ان هذه العصابة ستجرد المنتصرين الأقوياء من سلاحهم .

لقد قاومت هذه الفكرة وبيئت سخف هذا المشروع لأنهما يحولان شعبنا عن إمكانياته الحقيقية ويحملانه على الاستسلام الى الاوهام والأحلام .

ما أقرب الشبه بين الألماني اليوم وإنسان مجهول مشرف على الغرق ، فهو يتشبث بعود من الكبريت يجده طافياً على الماء لكي يتفادى الموت غرقاً ، وهكذا وضعنا اليوم فإننا نجد في أوساط المثقفين انفسهم اشخاصاً يتحمسون لمشاريع وهمية كمشروع « عصابة الأمم المضطهدة » و « عصابة الأمم » وما شابهها .

واذكر حادثة شغلت منظمانا « العنصرية » لعدة أشهر . فقد جاء إلى اوروبا عام ١٩٢١ طائفة من الهنود واستطاعوا إقناع الناس بأن الامبراطورية البريطانية مشرفة على الانهيار لأن الهند، وهي حجر الزاوية في هذه الامبراطورية

على ابواب ثورة هائلة . وقد وقف « المنصريون » في المانيا بانتظار انهيار
الامبراطورية ، شأنهم شأن الاطفال في يوم عيد الميلاد فبرهنوا بذلك
عن قصر شديد في النظر وجهل فاضح لتاريخ الفتح الانكليزي .

ان استمرار خضوع الهند للسيطرة الانكليزية هو أمر حيوي بالنسبة لهذه
الدولة . فلا يعقل والحالة هذه ان تتخلى انكلترا عن الهند أو تترك « جوهره
التاج » تفلت من ايديها . وهذا لن يصير إلا إذا ادرك الانكليز الانحلال المنصري
وهذا غير محتمل - أو إذا قضى على انكلترا بضربة قاصمة من عدو اقوى منها
أما الزعم بأن قيام الهنود بثورة سيسبب انهيار الامبراطورية ، فهذا زعم باطل
ويحوز ان يصدقه ابناء اميركا الجنوبية مثلاً ، ولكن لا يجوز ان يصدقه الألمان
الذين اختبروا مقدرة الانكليز وتأكدوا انها امة قوية شديدة المراس .

ولم يكن « المنصريون » الذين تأملوا الخير من الحركة الاستقلالية في مصر ،
اعقل من الذين قعدوا ينتظرون انهيار بريطانيا لأن الهنود ارادوا القيام بثورة ،
فالحرركات الاستقلالية في مصر قد تزعج بريطانيا ولكن لن تتمكن هذه الحركات
من زحزحة الكابوس البريطاني ، ولن يقدموا على التضحية بانفسهم وارواحهم في
سبيل « إخوانهم » الألمان كما يعتقد الخياليون من المواطنين .

ان المؤمنين بالكفاح المشترك أي الكفاح الألماني المصري الهندي لم ينظروا
إلى حاضرهم الأليم . فهل من المعقول لحلف يضم ثلاثة مقعدين من مهاجرة عملاق
يقظ لا يتورع عن استعمال اشد الاساليب للدفاع عن كيانه والحفاظ على ممتلكاته
وانا كمنصري أتخذ من الاعراق ميزاناً أزن به القيمة البشرية ، لا أسمح لنفسني
ولو بالتفكير بربط مصير شعب كالشعب الألماني بمصير شعوب تحتل ، من حيث
السلسل المنصري ، مرتبة وضيعة .

لا يمكننا ايضاً الاعتماد على روسيا في كفاحنا من اجل تحرير امتنا . فهي
ايضاً ينطبق عليها ما سبق وقلته في « الشعوب المضطهدة » خاصة بعد أن
اصبحت الامور بين ايدي جماعة من المغامرين الدوليين . ولو تم هذا الحلف فلن

تقيد ألمانيا منه شيئاً ، من الناحية العسكرية ، لان القتال سيدور ضمن الاراضي الألمانية دون ان تتلقى أية معاونة مهمة من روسيا ضد أوروبا الغربية ، باعتبار ان بولونيا تقف في طريق الجيش الروسي حين يزحف نحو الغرب لان بولونيا اليوم هي حليفة ثمينة لفرنسا . فيتوجب بالتالي على روسيا لتتمكن من نقل قواتها الى ارض المعركة الرئيسية ان تصفي حساب بولونيا أولاً .

هذا مع العلم ان ألمانيا ستكون بحاجة ماسة الى الوسائل التكتيكية أكثر من حاجتها إلى الرجال ، في حال نشبت الحرب بينها وبين الدول الغربية . وقد سبق لألمانيا ان تحملت وحدها عبء الحرب التكتيكية أثناء الحرب العالمية لانها لم تحسن اختيار حلفائها . لذلك لن تتمكن من مقابلة الدولة الغربية المجهزة بوسائل تكتيكية ممتازة ستقرر مصير الحرب ، مع العلم ان روسيا لا يعتمد عليها من هذه الناحية لاقتزارها الى تلك الوسائل . كذلك يمكن القول بالنسبة لألمانيا التي لا تملك المعدات التكتيكية اللازمة خاصة وان إمكانياتها محدودة جداً . وخلاصة القول ان دخولنا الحرب معتمدين على روسيا سيغني الحسارة المحتمة ...

يقول مؤيدي التحالف مع روسيا لا يعني بالتالي ضرورة قيام الحرب . فيمكننا عقد الاتفاق اليوم ومن ثم الاستعداد والتجهيز للغد . فإلى هؤلاء أقول ان هذا الحلف الذي يدعون اليه لا قيمة له . لاننا إذا رضينا وأقمنا التحالف مع روسيا وابتدأنا تجهيز انفسنا منذ اليوم إلى الحرب التي قد تنشب ، فالاعداء الذين يتطلعون ويراقبون نشاطاتنا لن يعطونا الفرصة الكافية لاستكمال هذا التجهيز والاستعداد للحرب . فسرعان ما يستدرجوننا إلى ميدان الصراع ونحن لم نكمل بعد استعداداتنا ومن ثم يحملونا مسؤولية النزاع كما حدث سابقاً .

بالاضافة إلى كل هذا هناك حقيقتان هامتان :

١ - ان نظرة الحكام الحاليين لروسيا الى المعاهدات والاتفاقات لا قيمة لها ولا هم يقيمون لها أي وزن .

ان حكام روسيا الحاليين هم مجرمون لا تزال ايديهم مخضبة بالدماء . انهم حثالة البشر التي استغلت غفلة القدر لتتنقض على دولة جبارة كبيرة وتصرعها وتفتك بالملايين من ابناء الطبقات الموجهة لتبني على الانقاض دكتاتوريتها المطلقة . فحكام روسيا اليوم هم ابناء الشعب الذي اتقن النفاق والكذب ، ابناء الشعب الذي يدعي انه سيسيطر على العالم ، ان حكام روسيا اليوم هم اليهود وأذنابهم . فاليهودي الذي يملك زمام الامور في روسيا لن ينظر إلى المانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها، بل ينظر اليها كضحية جديدة سينقض عليها حين تسنح له الفرصة المقبلة. فكيف يمكننا والحالة هذه أن نحالف شريكاً تقوم مصالحه على خرابنا ؟ وكيف يريد البعض ان نعقد الاتفاقات مع شعب شعاره الكذب والتلفيق والسرقة ؟

٢ - ان المرض الخبيث الذي قضى على روسيا اليوم ، هو نفس المرض الذي يهدد المانيا بالذات ، وليثق الذين يتفاوضون عن هذا الخطر الدام ان بلشفة روسيا هي خطوة أولى نحو اخضاع العالم لسيطرة اليهود . فاليهود ، كالانكلو ساكسون ، قد يتحولون عن أهدافهم لفترة محدودة ولكنهم لا يتخلون عن هذه الأهداف .

ان المانيا هي ضحية البلشفية المقبلة ، ولن تتمكن من الخلاص من برائتها إلا بواسطة فكرة قوية تجمع حولها المخلصون وتؤدي بالتالي إلى النهوض بشعبنا . والقول ان المانيا بحاجة إلى من تستند اليه في سعيها الى تحرير نفسها وان روسيا هي الحليف الصالح ، هذا القول يدل على جهل وقصر في النظر إلى الأمور أو يدل على سؤاله . فكيف يجوز لنا الاعتماد على دولة يحكمها اعداؤنا الألداء ؟ ان مكافحة البلشفية تتناقض والتفاهم مع روسيا السوفياتية ، فإذا تحالفنا مع السوفيات نكون قد تحالفنا مع ابليس لنطرد به الشيطان .

ذكرت في فصل سابق انه كان على الحكام في المانيا قبل عام ١٩١٤ ان يحالفوا انكلترا ليتمكنوا من التوسع شرقاً وهم مطمئنون ، او ان يتحالفوا مع روسيا ليأمنوا شرها ولكي لا يضطروا الى الحرب على جبهتين . اما اليوم

فالتحالف مع روسيا اصبح لا قيمة له ، بعد ان رسمت حركتنا لألمانيا سياسة خارجية مستوحاة من الواقع ومتفقة مع مصالح امثنا وهي تأمل ان يتمكن الحكام من الحفاظ على هذه المصالح والتقيد بالسياسة المرسومة التي تصلح ان تكون وصية سياسية .

اما الخطوط الرئيسية لهذه السياسة فهي التالية :

لا تسمحوا ابدأ بقيام دولتين بريتين كبيرتين في القارة الاوروبية ، وفي كل محاولة لانشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الألمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا ، ويجب عليكم اعتبار أية محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدودنا كما يجب عليكم ان تمنعوا قيامها بكل الامكانيات والوسائل التي تملكون . واحرصوا على ان يكون مصدر قوة ألمانيا في اوربا ضمن الاراضي الألمانية ، ولا تطمئنوا الى وضع الرايخ ومصيره قبل ان توفرنا للشعب الألماني المدى الحيوي الذي يحتاج اليه .



اعود الى موضوع التحالف بيننا وبين انكلترا وإيطاليا لاركنز على اهمية هذا التحالف من الوجهة العسكرية .

فالتحالف مع انكلترا وإيطاليا يعطي نتائج عسكرية هامة ، عكس ما يعطيه التحالف مع روسيا . فتحالفنا مع انكلترا وإيطاليا لن يؤدي الى نشوب الحرب . فالدولة الوحيدة التي تعارض هذا الحلف هي فرنسا . وهي لن تتمكن من افتعال الحرب لانها تعلم بأنها اضعف من ان تحارب هذه الدول الثلاث . يضاف الى ذلك ان التحالف مع الانكليز والايطاليين يعطينا الوقت الكافي للتأهب والاستعداد للمركة الثأر التي يجب ان نخوضها ضد فرنسا بعد ان تتمكن الدبلوماسية الألمانية من عزل فرنسا وانتزاع المبادرة منها عسكرياً وسياسياً .

وهناك اهمية تكنيكية للحلف الثلاثي هذا . فألمانيا لن تهرق نفسها بأعباء الحرب ومتطلباتها ، باعتبار ان حليفتيها قادران على تجهيز انفسهما تكنيكياً

بفضل اقتصادهما المنظم ومواردهما الضخمة .

اشرت في جزء سابق إلى العقبات التي تمتاز تحقيق هذا المشروع ، ولكن هذه العقبات يمكن تذليلها . فقد قام تحالف ودي بين فرنسا وانكلترا ايام ادوار السابع بالرغم من العداء والنفور المستحكمين بين الدولتين المذكورتين . ونحن بإمكاننا الخروج من هذه الحلقة التي ندور فيها منذ عشرات السنين ، يوم نتحرر من أوهامنا وننهج في الحقل الخارجي سياسة حكيمة تطلق ايدينا في الشرق ، بعد ان نكون قد قلنا أظافر فرنسا في الغرب .

وليعلم الحاقدون ان الاستمرار في معاداة أعداء الأمس سيزيدهم تكتلا وقوة فالقسمة الالمانية لا يمكن ان تكسب إلا من تفريق كلمتهم . لذلك يجب أن نفهم ان كل دولة لا ترضى عن تزايد نفوذ فرنسا في القارة الاوروبية هي حليفة طبيعية لالمانيا ، وانه لا يجوز لنا ان نحجم عن استمالة هذه الدولة خاصة وان كان هذا التفاهم أو التحالف يمكننا من سحق فرنسا التي تريد إبادتنا .

الفصل الرابع والعشرون

حق الدفاع المشروع

هناك أكثر من دليل تاريخي على أن الشعوب التي تلقي السلاح وهي لا تزال قادرة على الجهاد، تفضل بالتالي أن تتلقى الصفعات والاهانات والذل على معاودة القتال .

والظاهر أن الموجهين لسياسة الهانيا ، من وراء الستار ، يحاولون منذ تشرين الثاني عام ١٩١٨ التدني بشعبنا إلى المصير المحتوم الذي يصير إليه كل شعب يقبل بالاهانات والذل وهو مطأطيء الرأس لا يجسر على الدفاع .

وقد تركت دعوات الخضوع والاستسلام التام للمنتصرين التي يبشها بكل خبث الخونة والمعلماء ، أثراً سيئاً في عقلية الساسة وفي تصرفات الشعب. ولما كان اليهودي وراء سياسة الهانيا الخارجية منذ عام ١٩١٨ فمعنى ذلك أن الأخطاء التي نتجبت بها في حق السياسة الخارجية ليست دائماً وليدة قصر النظر أو الجهل والارتجال فالأمراء التي يحكمها اليهود هي التي تتلاعب بمقدرات شعبنا وتحاول منذ عدة سنوات إهلاك الأمة . لذلك يمكننا التأكيد بأن جميع الخطوات الغير موفقة التي خطتها بلادنا منذ عام ١٩١٨ حق الآن لم تكن وليدة الإهمال أو الخطأ ، بل كانت نتيجة حتمية للخطط التي رسمها اليهود .

عندما دحرت جيوش نابليون بروسيا عام ١٨٠٦ اعتقد الجميع أنه لن تقوم

أية قائمة لدولة بروسيا بعد تلك الهزيمة . لكن بروسيا استعادت قوتها خلال سبع سنوات وشهرت السلاح في وجه الاعداء .
أما ألمانيا فقد ازدادت ضعفاً خلال السبع سنوات التي مضت منذ هدنة تشرين الثاني ١٩١٨ . والدليل على ذلك انها قبلت بالامس القريب احكام معاهدة لوكارنو الظالمة ؟

لقد القت المانيا سلاحها وهي لا تزال قادرة على الدفاع . وقبلنا بشروط المنتصر وضعفت عزائنا واصبحنا عاجزين عن المقاومة . فقام الاعداء بسلسلة تدابير قاسية لاذلالنا وتعذيبنا ولم نكن في وضع يدفعنا إلى مقاومة هذه التدابير . وقد عرف هؤلاء الاعداء كيف يخدرون عزة نفسنا وكبرياء شعبنا الألماني العريق فقاموا بفرض تلك التدابير ببطء وحذر لعلهم ان هذه الطريقة اسلم عاقبة فاستطاعوا ان يحققوا اهدافهم دون ان يضطروا الى استفزاز شعورنا واستثارة نعمتنا وكان نصيرهم في ذلك حكومتنا المستسلمة .

وهكذا استدرجنا المنتصرون الى التوقيع على معاهدات الصلح والرضوخ لشروط وتسويات مرهقة جردتنا من الكرامة ومن اسباب البقاء . وقد بلغ بنا الاستسلام حدأ كبيراً جعل البعض يعتقد ان مشروع وايفز هو حدث بارز ومعاهدة كوكارنو نصر مبین .

*

ظهرت نيات فرنسا الحقيقية بوضوح في شتاء عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ بعد أن حاولت كتمانها عن حلفائها في المؤتمرات التي عقدت قبل الحرب العالمية وبعدها مباشرة . فقد ظهرت المقاصد الخفية لفرنسا التي جازفت بمقدراتها وخاضت حرباً قاسية طيلة اربع سنوات ونيف ، وبانت الحقيقة بأن فرنسا لم تكن تطمح بالحصول على مليارات الماركات لتعوض بها خسائر الحرب والدمار أو لتقطع الالتزام واللورين وتضمهما إلى أراضيها . كلا ، فقد قامت فرنسا بهذه المجازفة الخطرة التي تعتبر من أخطر المجازفات في تاريخها لأن اليهودية العالمية التي توجه سياسة فرنسا الخارجية ارادت انسجاماً مع مخططاتها ان تقسم

المانيا لتجعلها مقدونيا ثانية .

لقد تأملت فرنسا ان تبلغ هدفها بتقسيم المانيا أثناء الحرب وحاولت أن تنقل المعركة إلى داخل الأراضي الألمانية لكي يسهل على الحلفاء تقسيم البلاد وإنشاء دويلات متضاربة الاتجاهات مختلفة الأهداف ، بحيث لا تقوم أية قائمة لألمانيا الموحدة .

ولو قدر للفرنسيين ان ينجحوا في محاولاتهم هذه وتمكنوا من نقل المعركة إلى الروهر والراين والايبل بالقرب من هانوفر ولايبزغ ونورمبرغ وغيرها ، لما كانت هناك أية صعوبة لدى الحلفاء لتنفيذ مخطط فرنسا في تقطيع أوصال الرايخ الحديث العهد بالنظام الفدرالي ... لكن جيشنا الباسل صمد في حصونه ، واستمرت حرب الخنادق طيلة الأربع سنوات في الفلاندر وأمام فرصوفا وريما وكوفنو . ويعود الفضل بنجاة بلادنا من ويلات الحرب ومن مؤامرات فرنسا واليهود إلى الجيش الألماني الباسل وحده ، لهذا يمكننا القول ان دم جنودنا الذين سقطوا في ميادين الشرف لم يذهب هباء

كانت جيوشنا قد احتلت ، بعد انهيار المانيا ، قطعاً كبيرة جداً من اراضي الأعداء ، لذلك كان اهتمام فرنسا منصباً على جلاء جيوشنا عن اراضيها وعن الأراضي البلجيكية ، وما ان تم لهم ذلك حتى باشروا بتنفيذ مخططهم الأساسي وهو تقسيم الرايخ الألماني الكبير إلى دويلات صغيرة مجزأة ، لكن انكلترا اعترضت على هذا المشروع واكتفت بالنصر الذي حققته . لأنهما الوحيدان كانا إزالة المانيا الاستعمارية من طريقهما والحد من منافستها لها في الميادين التجارية . فإنكلترا لم تفكر قط بالقضاء على المانيا قضاء مبرماً ، لأن في ذلك ما يتعارض ومصالحها وسياستها التقليدية في منع قيام أية دولة اوروبية قادرة على إخضاع القارة لسيطرتها .

وكانت معارضة الحلفاء كافية لايقاف فرنسا عند حدها ، فتراجعت عن موقفها مرغمة ، ولكن كليمنصو عبر عن أفكار مواطنته بكلمته والسلم بالنسبة لنا هو استمرار الحرب ، وقد عمل الفرنسيون منذ ذلك الحين على إضعاف

بلادنا مستعملين شتى الوسائل والطرق الممكنة ، فتسارة كانوا يحاولون الضغط علينا وثارة أخرى يلجأون إلى تشجيع النزعات الانفصالية في بعض المناطق . وكانت هذه السياسة التي لجأوا اليها ذات أثر فعال في الوصول إلى النتيجة التي توختها فرنسا ، إذا استمرت بضع سنوات أخرى .

أدرك المخلصون خطوره ما تهدف اليه فرنسا وأيقنوا انها سنصل إلى هدفها ان لم تقف الارادة الالمانية في وجهها وتمنعها من تنفيذ مخططاتها هذا . وقد ادرك المخلصون ايضاً ان التصدي في وجه فرنسا يجب ان يسبقه نفس الحلف الذي ممكن فرنسا من النصر ، والا سيكون هذا التصدي ضرباً من ضروب الانتحار .

وقد حاولت انا في خطاباتي المتكررة أن أركز على هذه الناحية بالذات ، وقلت ان فرنسا لن تغير في مخططاتها تجاهنا لأنها تعلم أن بقاءها كدولة مرهون ببقائها نحن أمة ضعيفة مفككة الاوصال . ولو كنت أنا فرنسياً لنظرت إلى الالمانيا النظرة ذاتها .

يقول البعض ان الحل يكن في قيام حكومة فرنسية معتدلة . وأنا أقول أن هذا الرأي هو كالنحدر لاعصابنا المريضة ، ومن يعتقد ذلك يكون موجهاً من قبل اعداء الالمانيا الداخليون من يهود وديمقراطيين . فكل فرنسي مخلص هو كليمنصو أو بوانكاري . ولن نفيد نحن شيئاً من السلبية التي ينادي بها بعض « العنصريين » القائلين باللاعنف ، لان عدونا المتربص بنا لن تخيفه احتجاجاتنا وشكاويتنا .

لن نخلصنا من فرنسا إلا ساعدنا القوي وتفكيرنا السليم ، وحين نستطيع ان نتفاهم مع حلفاءها بالامس ، يمكننا بالتالي عزلها جانباً ومناقشتها الحساب على افراد ... لكن القضاء على فرنسا لن يكون أكثر من وسيلة لبلوغ غاية لا حياة لنا بدونها : يجب علينا بعض القضاء على فرنسا ، التي تهددنا بظهورنا ، ان نتوسع في الشرق لنؤمن لانفسنا المدى الحيوي الذي يجعل من الالمانيا دولة

كبرى وقوة عالمية ضخمة .



في كانون الاول من عام ١٩٢٢ قامت فرنسا باحتلال حوض الروهر إمعاناً منها في إذلالنا وتحطيمنا اقتصادياً ومعنوياً ، لكن هذا الاحتلال الذي ضرب ألمانيا ضربة قاصمة ، كان عاملاً رئيسياً في إذكاء الشعور الوطني . كما ان هذا الاحتلال قد أثار غضب انكلترا حكومة وشعباً لان هذه المنطقة غنية بمناجم الفحم والحديد . واستيلاء الفرنسيين عليها يعني تفوق فرنسا سياسياً وعسكرياً واقتصادياً جاعلاً منها الدولة الأوروبية الاولى ، فتمتص من منافسة انكلترا في جميع الميادين . وقد ذكرت إحدى الصحف الانكليزية الشبه رسمية أن احتلال فرنسا للروهر قد انتزع من انكلترا كل مكاسبها .

كان لاحتلال فرنسا للروهر صدى غير مستحب في إيطاليا والولايات المتحدة الأميركية . وبدأ على حلفاء الامس التدمير الشديد مما فسح المجال لشوب الخلافات وتفريق الشمل . لكن إذا كان حلفاء الامس لم يتحولوا الى اعداء اليوم كما حدث بعد الحرب البلقانية الثانية ، فمرد ذلك الى افتقار بلادنا الى رجل كأور باشا ، الذي يعرف كيف يستغل الخلافات الناشئة بين أعداء بلاده .

عندما دخل الفرنسيون منطقة الروهر اتجهت الانظار الى السلطات الألمانية وكان التساؤل يدور حول ردة الفعل المترتبة من الحكومة الألمانية . فكل شيء كان متوقفاً على قرار الحكومة ونتيجته في داخل البلاد وخارجها . ولم يكن ثمة مجال للتردد ، خالعتداه الذي قامت به فرنسا يشكل خرقاً فاضحاً لمعاهدة فرساي ، بالإضافة الى النقمة التي اثارها هذا الاعتداء لدى الرأي العام الانكليزي والاطالي ، وقد حملت حكومة لندن على هذا الاعتداء السفير وصرح مجلس العموم البريطاني بأن حكومة فرنسا لم تراعى شعور حلفائها ولا مصالحهم باحتلالها منطقة المناجم في ألمانيا السفلى .

كان على حكومة ألمانيا ان تستغل هذا الخلاف بين الحلفاء وتوسعه بشكل يضمن لها عدم قيام تعاون جديد بين هؤلاء الحلفاء اذا قاومت ألمانيا هذا الغزو

الفرنسي . كان على حكومتنا ان نجعل الروهر ما كانت موسكو بالنسبة إلى نابليون ، معتمدة على الشعور الوطني الذي أثاره العدوان الفرنسي .

لم يكن باستطاعتنا وقف الزحف الفرنسي على الروهر باللجوء إلى التدابير العسكرية . ولم تكن المفاوضات لتجدي نفعا . فبقي لنا اللجوء إلى كسب الوقت وإلهاء القوات الغازية باصطدامات بسيطة تقوم بها العصابات ريثما ننظف الجبهة الداخلية من الخونة ، ونضمن في الخارج تأييد الانكليز والايطاليين . لكن حكومة المستشار « المبكري » كونولجات إلى حل آخر ، فقد اكتشف هذا المستشار ان احتلال فرنسا لمنطقة الروهر لم يكن إلا الآن المنطقة غنية بالفحم وبالتالي تريد فرنسا الاستيلاء على هذا الفحم . لذلك فقد قرر هذا « المبكري » ان الوسيلة الوحيدة لإخراج المحتلين من الروهر هي اعلان الاضراب العام في المنطقة ، فتكون النتيجة توقف حركة العمل لاستخراج الفحم . وبذلك لا يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الغنيمة فيجلبون عن المنطقة يمحرون اذبال الخيبة .

وقد نالت هذه الخطة اعجاب الأحزاب البورجوازية ، ولكنها وجدت ان الاضراب لن يعطي نتائج حسنة الا بوجود الماركسيين ، أسانذة التحريض والاضرابات ، فوافق البورجوازيون على ضم الحمر إلى « الجبهة الوطنية » . ومد المستشار كونويده إلى التعاون مع المغامرين الدوليين الذين باركوا هذه الخطوة التي تعتبر بمثابة اشتراكهم في الحكم حين تتسلم « الجبهة الوطنية » مقاليد الحكم . وهكذا واجه المستشار كونو الفرنسيين بحلف ضم الثرثارين والمحتالين الذين فتحت لهم الدولة طريق العمل لإشاعة الفوضى وتخريب الاقتصاد القومي . لقد سعى المستشار كونو إلى تحرير الشعب الألماني بتشجيعه على التقاعس والكسل . ولكن بدلاً من دعوة الناس إلى الاضراب العام ، كان عليه ان يدعوهم إلى العمل لمدة ساعتين اضافيتين يومياً لتزويد الشيبة المتحمسة بالعتاد اللازم . وبذلك تتمكن ألمانيا من كسب افضل النتائج في الداخل والخارج

وتكسب لقضيتها عطف العالم الخارجي الذي وقف يرقب مدى الانتفاضة الألمانية .

أما النتيجة فكانت معروفة مسبقاً فالمقاومة السلبية لم تصمد طويلاً ، والاضراب لم يمنع الفرنسيين من احتلال الروهر وتثبيت اقدامهم فيه .

أما موقفنا نحن الوطنيين الاشتراكيين فكان معروفاً وواضحاً من المقاومة السلبية و « الجبهة الوطنية » . فقد سفها الاولى وحاربنا الثانية . وقد اثبتت الحوادث صحة نظريتنا . فقد قررت العناصر الوطنية في البلاد بعد اسابيع من إعلان الاضراب العام في منطقة الروهر تنظيم حركة مقاومة فعلية ضد الغزاة كما دعت المضربين الى التعاون معها . فقام بعض العمال المخلصين وقرروا الانضمام إلى المناضلين وحملوا السلاح وساهموا في حرب العصابات . أما الهاركسيون فكان جواهم على ذلك انسحابهم من « الجبهة الوطنية » . ولم يلبثوا ان خضعوا للمشينة الغزاة بعد ان خربوا مصالح البلاد والاقتصاد القومي تحت ستار المساهمة في المقاومة السلبية .

وأدى انهيار « الجبهة الوطنية » إلى تسليم السلطة بشروط الفرنسيين . ونبت هذه الخيانة ملايين الالمان الى أهمية الحركة الوطنية الاشتراكية واهدافها الوطنية الصميمة وتحقق لديهم ان مصير ألمانيا مرتبط بنجاح هذه الحركة وبنمو مبادئها المنصرية .

.... وانتهت الحوادث البغيضة التي أدت الى حل الحزب الوطني الاشتراكي بعد اعتقال اركانه واعضائه والكثير من مؤيديه وانصاره . وهنا لا بد لي من القول ان ما قمنا به لم يكن بسبب رغبتنا بالحكم كما أراد اعداء حركتنا القول ، قد اثبتت حوادث ٨ تشرين الثاني ١٩٢٣ عما كان يجيش في صدور ملايين الالمان . وهنا أذكر كلمتي التي ختمت بها دفاعي في اليوم الاخير لهاكمة حزبنا . فقد قلت متوجهاً بكلمتي الى القضاة :

« يمكنكم ايها القضاة ادانتنا من أجل ما فعلناه . ولكن التاريخ سيمزق
ذات يوم هذا الحكم ، ويحلبنا جميعاً من خطيئة لم نرتكبها »
سيذكر الجميع هؤلاء الرجال الذين سلكوا طريق الموت ليمهدوا لوطنهم
طريق الخلاص



انتهى

النهاية ...

في أسفل مستشارية الرايخ ، وعلى عمق عشرة أمتار تحت الارض ، بني ملجأ في أيام الحرب ، يمكن الدخول اليه عن طريق المستشارية بواسطة سلم خفية . وكان الملجأ يضم شقتين أولاهما تتألف من اثنتي عشرة حجرة لا تتسع كل غرفة منهما لأكثر من خزانة كبيرة .

في شقة من الاثنتين كان يقيم الفوهرر ، وفيها أمضى آخر أيام عهده ، ومعه قضت عشيقته ايفا براون ايامها الاخيرة من عمرها القصير . فبينما كانت هي تشاطر عشيقها أحزانه وتخفف عنه الآلام ، كانت المدفعية الروسية تقصف برلين وتهز جوانب الملجأ هزاً عنيفاً .

كان الفوهرر آنذاك في حال من القلق والاضطراب والغضب لما آل اليه مصير المانيا ومصيره هو . فأضحى كتلة من الحطام الآدمية ، ذاهلاً شاردأ ، أفلتت من يده الحيلة ، فريسة للاضطرابات المتلاحقة ، مقوس الظهر ، مخلع مهدم القوى ، متورم الوجه ، غائر العينين ، غارق في خضم من الأحداث الكبار التي لم يعد يملك عليها رقابة ولا يمسكها بزمام . فلم يكن يستعيد قواه وحيويته إلا ليندفع ، كعادته في عاصفة من الشتائم العنيفة الهوجاء ضد قوات الشرق ، وضد برايرة الغرب كما كان يدعواهم ... وشهدت ايفا مشهداً لم يكن يودها ان تراه . ففجأة فتح باب حجرة هتلر الذي كان قد تناول كمية هائلة من الأدوية المسكنة والمنومه ، والذي أكسبه القلق والسعاس هيئة جثة فانية لا حياة فيها ولا روح .

فتح باب الحجرة ودخل اليها الطبيب موريل وهو يحمل بيده إبرة فيها سائل الهورمون ... وبعد أن أفرغ ما في الابرة في ذراع هتلر وردّ كم قميصه إلى معصمه ، انتفض الفوهرر كمن مس بسلك كهربائي ، وطفّر واثبا على رجليه ليضرب الطبيب بقبضة يده ضربة موجعة وهو يصيح فيه :

— آه .. يا خائن ! وأنت أيضاً من أفراد العصاة !

فأغرق موريل نفسه في ثيابه الوسخة ، وطأطأ رأسه مرتعداً خائفاً ، قائلاً بصوت خافت :

— ولكن لا ، ماين فوهرر ، لا ! أنا آتٍ لأحقن ذراعك بالهورمون كما أفعل عادة !

— أنت كاذب ، كاذب كبير ! إنه مورفين هذا الذي تحقنني به ! أنتم جميعاً تريدون أن تحملوني قسراً على مغادرة برلين ... لن أغادر برلين !

فترجع الطبيب إلى الوراء مرتعباً وقد هاله هذا الهياج وهذا الانفجار . ثم انحنى ذليلاً متوسلاً وهو يقول :

— إنك مخطيء ، ماين فوهرر ! أنا دائماً خادمك المخلص موريل !

فدوى صوت هتلر قاصفاً وقد بلغ آخر حدود الهستيريا !

— مخلص ؟ ليس هنالك مخلوق واحد يخلص لي ! الجميع يخونوني ! انكم جميعاً خونة سافلون ! لا أريد أن أرى وجوهكم بعد اليوم ! سأقتلكم بالرصاص !

وبكى موريل شاهقاً معولاً كأنه طفل صغير . واقترب من الفوهرر مرتجفاً ويده لا تزال تحمل ابرة الهورمون ، ثم سقط على قدميه قائلاً له :

— لا تقل لي ذلك يا مولاي ... لقد كنت دائماً مخلصاً لك كأنني كلب

امين ... أرجوك ألا تعاملني كمجرم ...

غير أن يد هتلر كانت قد اتجهت إلى الباب تشير إلى الطبيب بأن يخرج للحال ...

وتساقط هتلر منهوكاً في ديوانه !

دخلت إيفا حجرة الفوهرر مشياً على أصابع قدميهـ وفي نفسها خشية من أن يطردها بعنف كما طرد موريل ! غير أنها ما كادت تقترب منه حتى ارتقى

بين ذراعيها فاستقر رأسه على كتفها وهمم يقول :

— ليس لي أحد سواك ! ليس لي إلا أنت يا إيفا !

ولبثت تلاحظه بعاطفة هي أشبه ما تكون بالأهومة ، وتغمزه بين ذراعيها وتؤاسيه ، حتى تغلب على هذه النوبة العصبية التي ألمت به . وبعد مضي نصف ساعة كان يرأس مجلس أركان الحرب ويعطي أوامره بضرورة اللجوء الى كل المحاولات الممكنة لإيقاف الجيش الأحمر .

وتجمع الآراء على أن أي امرأة ، غير إيفا براون لا يمكنها ان تقاسي ثمانية أيام بطولها ... في مثل هذه الأحوال الشاذة . ذلك ان إيفا كانت تستمد من حتمية مصيرها قوى جديدة للمقاومة ! فهي الآن ليست خلية الرجل الذي تحبه بل مرضته وامه ؟ وكأنسيت العالم إلى جانبه في أيام السعادة ، تنساه الآن في أيام البؤس . فجسدها وحده لم يعد يعنينا أمره ... كأنما هي تخفي في ثيابها امرأتين مختلفتين متناقضتين ، لا امرأة واحدة !

*

ولم تكن إيفا المرأة الوحيدة التي ضمها هذا الملجأ القابع تحت الأرض ، والذي شيد للمشكلات العسكرية البحتة . ففي كل لحظة ، كانت تلتقي في الممر بأحدى سكرتيرات الفوهرر الجميلات . وكان فيه أيضاً زوجة غوبلز التي كانت إخلاصها لزوجها وتعبدتها هتلر مضرب المثل في الأوساط النازية !

في الثاني والعشرين من شهر نيسان ، جمع الفوهرر ، حول طاولة شاي ، جميع النساء اللواتي كن يشاطرنه أيامه الأخيرة . وفيما هو يدينهن ، داعب شعره الاغبر بيد ، وسحب باليد الاخرى من جيبه شيئاً انصبت عليه أنظار الحاضرات جميعاً . وكان هذا الشيء انبوباً يبلغ عشرة سنتيمترات طولاً ، وسنتيمترين قطراً ... وانتزع هتلر من الانبوب غطاءه ، ثم وضعه باعتناء تام على الطاولة الصغيرة وتناول منه حبة مستديرة وقال :

— في هذه الحبة كمية من السم كافية لأن تقتل رجلاً أو امرأة . وبكفي لأحداً كن أن تضع حبة منه وتقتضئها بأسنانها كحبة الملابس .. حق وانقبضت يد إيفا براون بشدة على ذراعي مقعدها .. فإنها هي الوحيدة

بين هؤلاء الفتيات التي كانت تتأكد من أن حياتها قد انتهت ، وإن مصيرها الموت القريب . هي وحدها التي قررت أن تظل مغلصة له حتى الموت . ومع أنها تخاف الموت ... لكنها قررت أن تسير إليه بملء اختيارها .

وفجأة ، وبصوت مرتجف ، قالت ايفا : وماذا يعني الاستنكار للموت ؟ أنا لا يعني أن أموت . غير أنني لا أريد أن أتألم وأنا أغادر الحياة !
وكان بين هؤلاء امرأة واحدة ستشاطر ايفا براون مصيرها ، وهي مدام غوبلز ! غير أنها لم تنطق بكلمة !

وفي العشرين من نيسان ، هبط كبار النازيين الذين كانوا في برلين إلى الملجأ كي يعربوا عن تمنياتهم للفوهرر بمناسبة عيد ميلاده . وكان كثير من النازيين الكبار قد غادروا برلين دون رغبة منهم في الرجوع إليها : فممن من غادرها بأساً من الحال وقد رأوا بأعينهم عالمهم النازي ينهار ويتقوض .

أما أولاء الذين آثروا البقاء إلى جانب هتلر في ملجأه ، فقد نظموا حياتهم في هذه الأيام الأخيرة على ما يستطيعون . وقد قالت البارونة فون فارو في مذكراتها ، وقد شهدت نهاية القوم . قالت :

« كان الجميع ، رجالاً ونساء ، يبحثون عما يفرقون به همومهم ، فجاءوا بكميات عظيمة من الكحول ، وجعلوا يكثر من الشرب والأكل ، ويصلون الليل بالنهار تدخيناً ... فقضينا أيامنا هذه وكأننا في عيد مستمر فقد كنا نشرب ونرقص بصورة دائمة ... »

أما الفوهرر فكلما شعر باقتراب نهاية حكمه ، ازداد رغبة في أن يحيط به النساء اللقاتات . فقد كان بحاجة إلى إعجابهن به ، وإلى ما يبيدنه من احترام له !

وفي ساعات الوحدة ، كانت ايفا تقلب انبوب السم القاتل وفيما كانت تقلبه يوماً سمعت مدام غوبلز تقول :

— ماين فوهرر ! لقد تم الاتفاق بيني وبين زيجي ! فحين يقبل اليوم الذي يجب أن نموت فيه ، كلينا ، فإن أولادنا أيضاً سيلحقون بنا إلى القبر

وقالت الأحداث السياسية والعسكرية سريعة رهيبة . وفي هذه الأثناء كان الروس قد دخلوا برلين التي دخلت معركتها في طور حازم رهيب . فقد جعل الألمان والروس يتقاتلون في كل شارع ، وفي كل بيت ، وفي كل غرفة ، وإلى جانب الانقراض ، وفي كل مكان من العاصمة الألمانية . وجعل الدكتور موريل-ل يكثر من حقن الفوهرر بالمقويات لجعله دائماً على استعداد لقيادة الجيوش الألمانية المنتصرة ...

وكان هتلر في تلك اللحظات الحاسمة يشعر بالخيانة ويشتم رائحة الغدر المنتشرة في أجواء الملجأ فكان يصيح كلما تذكر أحد قادته !
- انني ضحية الخيانة ! لقد خانني الجميع وأنكروني في ساعات الهول والشدة ! أن هؤلاء الذين انتزعتم من ظلمات الخمول وجعلت منهم من هم الآن ، يخونوني ويغدرون بي . لقد خانني غورنغ ، وخانني سيبر ، وخانني هملر . وها أنا وحيد لا نصير لي فيما تتطلب الحال جهوداً متضافرة .

وكانت ايفا بقربه لتواسيه بقولها :

- انك لست وحيداً . فأنا معك . سأكون معك إلى الأبد !

وترسم على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ويقول : أجل ! ليس لي غيرك يا ايفا

*

قبل وفاته بساعات خطر للفوهرر ان يكافئ عشيقته المخلصة فجمع حوله رفاقه في البؤس ونزلاء المنزل وتحدث لهم بصوت هادئ النبرات قائلاً :

- بما انني لم أفكر خلال سنوات الكفاح بأن في استطاعتي احتمال مسؤوليات الزواج ، فإنني أقرر الآن ، قبل أن أنهي مهماتي على الأرض ، أن أتخذ من ايفا براون زوجة لي . هذه الفتاة التي دخلت إلى هذا الملجأ المطوق عملياً بمحض ارادتها واختيارها ، بعد أن قضت في صداقتي سنوات طويلة مخلصة ، لكي تتمكن من أن تشاطرنني مصيري ... وبخالص رغبتها ستمضي معي الى الموت ... ودخل غوبلز يتبعه كاتب السجل العدلي . ليسجلا العقد وبسطد الكاتب

العدل ، السجل المدني للزواج كي توقع ايفا براون على ما فيه . وتناولت القلم وكتبت بيد ثابتة حازمة : « ايفا بـ ... »

فاستوقفها المسجل قائلاً : ايفا براون .. هذا الاسم ليس اسمك الآن ... فقهرت ايفا من اعماقها وصححت اسمها على هذه الصورة : « ايفا هتلر ، المولودة باسم براون » . وهنا ، تروي الآنسة جنك احدي سكرتيرات الفوهرر قائلة :

« بعد ذلك شربنا الشمبانيا التي جرعت منها ، أنا ، ثلاثة أقداح كبار . وهتلر نفسه ، الذي لم يذق طعم الكحول في حياته ، غطس شفتيه في كأسه ! » وعلى أثر هذه الجلسة الودية بين رفاق الشقاء ، انسحب الجميع من حجرة هتلر .

وحين استيقظ هتلر من رقاذه في اليوم التالي ، علم ما صار اليه أمر زميله وأستاذه موسوليني ، وعشيقته كلارا بيتاتشي ، على أيدي الأنصار الايطاليين . اما ايفا ، فما كادت تعرف هذا الخبر حتى انفجرت في البكاء والشهيق اوسألت زوجها تقول : هل سيكون مصيرنا مثل مصير موسوليني وكلارا ؟

ويبد حازمة ربت على كتف زوجته الشاردة ، مطمئناً ... وقال لها :

- كلا ! لن يكون مصيرنا كمصير موسوليني وكلارا . فإن جسدنا سيحرقان بالنار فلا يبقى منهما شيء ، يحرقونه ، حتى ولا رماد .

وفجأة سرت الرعدة في جسمه وهو يعد نفسه للموت . وأخرج من أحد الأدراج قممًا ونادى الدكتور ستامبفجر ، ثم سلمه إياه قائلاً :

- هذا القمقم أعطاني إياه هملر ، زاعماً أن فيه السم القاتل . غير ان هملر خائن جبان . فهل يسري مفعول هذا السم على الكلب كما يسري على الانسان ؟ فهر الطبيب رأسه وهو يقول :

- جربه على بلوندي .

وبعد مضي ثوانٍ كانت صرخات الألم تدوي في حجرات الملجأ ، وكان الكلب بلوندي هو الذي يحتضر بفعل السم . وما ان سمعت ايفا صرخات الكلب

المؤلة حق ارتمت على سريرها ، وهي ما تزال في ثياب النوم ، تتفجر بكاء .
فهي لم تكن لتظن ان في السير الى الموت مثل هذه الصعوبة ، وهذه المدة ،
وهذا الألم .

وفجأة انقطع صوت بلوندي ، وعاد الطبيب اليهما يقول :
- مات الكلب .

وظل هتلر محتفظاً بهدوئه وبروده . وتباعد عن ايفا التي ما تزال تنهد على
سريرها وهو ممسك بذراع الطبيب الذي قال له :
- ان تأثير السم ليس تأثيراً مباشراً . لذلك يجب ان يرفق بطلقة نارية في
الحلق .

فاستحسن هتلر هذا المرض ، وعاد للحال الى ايفا . فقال بهدوء :
- سيخبرنا الدكتور سامبفجر بالطريقة التي يجب ان نموت بها . فأصغى
الى تعليماته . فتلفتت ايفا اليهما وقد تاهت انظارها وغرق وجهها بالدموع وحال
لونها ، ووضعت على فمها منديلاً تمنع به أسنانها من الاصطكاك .
وأخرج هتلر مسدسه من بيته ، وأخذ الدكتور يشرح لهما ما يجب أن
يفعلا ، قال :

- يجب أن يقضم واحداً هذا القمقم ، وفي الوقت نفسه يضع فوهة المسدس
في حلقه ويضغط على زناده . وهذا هو الحل الوحيد !
ولكي يتأكد الفوهرر بأنه أدرك جيداً تفاصيل العملية ، أدخل فوهة
المسدس بين فكيه تمثيلاً لما يجب عليه أن يعمل ، وقال للطبيب :
- هكذا ؟

- نعم .

ثم استدار ناحية ايفا يسألها :

- أفهمت ؟

- نعم ، نعم ، نعم ...

وسأل الطبيب الفوهرر :

- أ تريد مني أن أبقى هنا ؟

- لا ، يمكنك أن تذهب .

ف ضرب الطبيب الأرض بعقبه ، وانحنى ، قائلاً :

- ماين فوهرر ... مدام هتلر ! ...

وخرج !

ومال هتلر على ايها يداعب كتفها بعاطفة أبوية لم يعرفها في حياته إلا وهو على عتبة الموت .

وازدادت ساعة الموت اقتراباً . وليس الان في الملجأ من يبدي حركة أو يرفع صوتاً .

يقول الكابتن بولدت ، وهو أحد سكان الملجأ آنذاك :

« ... وفي الحقيقة ، كنا جميعاً ننتظر الساعة التي يفتتح فيها هتلر كي نتمكن نحن من مغادرة الملجأ . »

واخيراً ، اجتمع كل سكان الملجأ حول مائدة الطعام ، لآخر مرة . وكانت ايها شاحبة الوجه شاردة النظر . أما هتلر فكان يرتدي ، كمادته ، بنطلوناً أسود وبلوze غبراء ، وقد اصفر لونه وماتت الحياة في نظراته .

وطال الصمت الكثيب الخائق ، فليس بين المجتمعين من يعرف أي موضوع للحديث ... في مثل هذه الظروف !

وفي نهاية الطعام ، انتشرت رائحة مادة محرقة ، فنظر الحاضرون بعضهم إلى بعض . وعرفوا ان اليوم الذي هم فيه إنما هو اليوم الذي قرر هتلر أن يلتحق فيه ، وانه لا بد من وجود كمية كبيرة من المواد المحرقة كي تكفي لأن تحول جسم الانسان إلى رماد خالص .

وأخيراً ، نهض الجالسون جميعاً . وجعل هتلر يصافح آخر رفاقه واحداً واحداً ، متمتماً كلمات وعبارات غير مفهومة .

ووقفت ايها وراءه تراقب ما يجري ، ويداعبها منقبضتان ، فهي تريد أن تسرع في لقاء الموت دون ما هي فيه من آلام ! غير انه كان عليها أن تتحمل ما هو أقسى وأصعب . كان عليها أن تتحمل رؤية مدام غوبلز وهي تتخبط في

نوبة عصبية هائلة وتزعق : ماين فوهرر ! لا تفعل ذلك ! لا تنتحر ! فنحن
بحاجة اليك ! ألمانيا بحاجة اليك ! ماين فوهرر ...
ثم كان عليها أن تنتظر ريثما ينتهي زوجها من إتلاف أوراقه .
وبعد ذلك كله ، كان عليها أن تصافح بدورها جميع الحاضرين وتحفي دموعها
ولم تفتها القوة لأن تقول للآنسة « جنك » آخر من تستطيع أن تسر إليها بما في
نفسها : « تحدثي في بافاريا عن حيي ... »
ثم عادت إلى زوجها الواقف أمام باب حجرتة ، فانحرف قليلا لكي تدخل
الحجرة قبله . ثم دخل وراءها وأغلق الباب . ووقف الحارس « كينش » أمام
المدخل بكامل سلاحه واستعداده . أما الحاضرون فعادوا جميعهم إلى حجراتهم !
ومرت دقائق ... دوت على أثرها طلقة نارية !
أما ايها ، فلم تطلق على نفسها النار ، لأن وهن القوى والخوف اللذين ألما
بها بعد أن تناولت السم ، كانا كافيين لأن يقضيا عليها في الحال دون أن تملك من
القوة ما يجعلها قادرة على أن تضغط زناد المسدس



في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٥ اذاع راديو برلين نبأ
مصرع هتلر

انتحر الفوهرر بعد عشرة أيام من احتفاله بعيد ميلاده السادس والخمسين ...
ومن غريب الصدف ان هتلر خطب بهذه المناسبة واعدأ أمته بالنصر ، قائلا ان
العلماء كانوا يجرون تجاربهم في الشمال ليلا نهاراً لانتاج القنبلة الذرية
اذاع الاميرال كارل روتز في أول حزيران معلناً نفسه الفوهرر الجديد
لألمانيا ، قائلا ان هتلر لقي حتفه في دار المستشارية بهذه الكلمات : « مات
الفوهرر اميناً مثله العليا بانقاذ الشعوب الاوروبية الألمانية من البلشفية ، ولقد
عاش لذلك ومات ميتة الأبطال »

وقد اعلنت حكومة البرتغال الحداد رسمياً عليه لمدة يومين ، كما عم الوجوم
المحافل الرسمية في مدريد وطوكيو ، وتوجه ديفاليرا إلى السفارة الألمانية في
دبلن مقدماً العزاء

وقال المارشال زوكوف. احد كبار القادة الروس. ان هتلر تزوج من ايضا براون
قبل مصرعه بيوم واحد وهو يعتقد ان هتلر هرب بطائرة خاصة وقوارى
عن الأنظار

*

بلغ وزن القنابل التي القيت على برلين حتى تاريخ ٢٤ آذار سنة ١٩٤٤
٤٤٨٤٥ طناً .

بلغ مجموع ضحايا الحرب العالمية الثانية ٥٠ مليون قتيل و ٨٠ مليون جريح ...
وبلغت مجموع خسائر العالم ١٣٨٤ الف مليون دولار نفقات الحرب و ١٢٠ الف
مليون دولار قيمة ما دمرته الحرب

*

تطوع هتلر في الجيش الألماني وحارب طوال اربع سنوات في صفوفه وقال
وسام الصليب الحديدي من الدرجة الاولى .
كانت الصدمة القاسية على نفسه أن الذي قلده الوسام ضابط ألماني يهودي !!

*

كان هتلر يكره برلين ويفضل ان يتركها في أية مناسبة ، وقد بنى له منزلاً في قرية جنوب بافاريا تدعى اوبرختسجادن ، وقد شيد منزله على قمة جبل كان يمضي فيه أغلب ايامه في عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ مهلاً برلين لأسابيع طويلة ... كانت الطريق المؤدية إلى قصره ذات ابواب من البرونز منحوتة في قلب الصخر ، وبداخل الجبل مصعد كهربائي خاص يرتفع الى علو اربعمائة قدم حيث يوجد منزله المسمى « عش النسر »

*

حين كان جندياً بسيطاً في الجيش الألماني ، «كلف بحمل رسالة الى مقر الجيش ، وبينما كان يجتاز الطريق سمع أصواتاً تتحدث باللغة الفرنسية ، وكان بمفرده ، ولم يكن مسلحاً إلا بمسدسه ، فأعمل ذهنه على الفور ومضى صائحاً كأنما هو يصدر امرأ إلى كتيبة من الجنود . فارتبك الجنود الفرنسيين وكان عددهم سبعة ، ورفعوا أيديهم مستسلمين واستطاع هتلر أن يسلم الجنود السبعة إلى القيادة مع الرسالة المكلف بتوصيلها .

*

بلغت عائدات هتلر من كتابه « كفاحي » حتى عام ١٩٤٤ مليون جنيه استرليني ، وقد طبع الكتاب ٤٩٤ طبعه لغاية سنة ١٩٤٠ . وكان يقرأ الكتاب بصفة إلزامية جميع الألمان .

*

كان هتلر قليل الأصدقاء ، وربما كان ألصق صديق له بعد موت روم هــو رئيس حرسه الخاص بروكنر ، ومن أصدقائه القدامى أيضاً ماكس أمان الذي كان رئيسه برتبة مرجنت في الحرب العالمية الأولى . وفريتز ويدمان ضابطه السابق في تلك الحرب هو من أصدقائه الخالصاء لفترة من الزمن وقد شغل منصب القنصل العام لألمانيا في سان فرانسيسكو بعد ولاية هتلر للحكم . أما أشد المقربين إليه سياسياً على وجه التأكيد - فهو «لهرفون ريبنتر» وزير خارجيته ، وهو أحد الرجال القلائل الذين كان يسمح لهم بمقابلته في أي وقت دون سابق موعد . ومن بين المقربين الذين كانوا يقابلونه يومياً سكرتيره الصحفي ديتريش ، وهيس

أحد أقطاب حزبه، ولكن هيس لم يكن من أقرب المقربين وحتى غورنغ وغوبلز لم يكونا يقابلانه - كفاعدة - دون موعد سابق .

وكان هتلر - بوجه عام - انطوائياً ، وفي إحدى رحلاته بالطائرة ظل ساعات طويلة خلال الرحلة لا يحدث أحداً ، وظل صامتاً ، لا يتحرك ، بل لا يتنفس .

وكثيراً ما لجأ الى البكاء في حدة الخطابة . بل ويضرب بقبضته المائدة في عنف بالغ .

وكان هتلر يحاول إخفاء نقاط ضعفه . ولا يسر لأحد بدخانل نفسه ، وقد يراه اصداؤه كل يوم ، بل قد يتفانون بالولاء له حتى العبادة ، غير انهم لا يصلون إلى أغواره .

لم يكن هتلر يلقي بالأى إلى الكتب .. أو الملابس إذ لم يكن يرتدي سوى بذلة عادية ذات قميص غامق ، أو سترة زرقاء ومعطف واقى من المطر ، وكان قليل الاختلاط بأصدقائه لا يهتم بالطعام ولا يتناول المشروبات الروحية ، ولم يكن يدخن أيضاً ولا يسمح لأحد بأن يدخن بالقرب منه .. وكان نباتياً ، وفي إحدى المآدب التي أقامها موسوليني له لم يتجاوز طعامه طبقاً من البيض المقلي . وكان يحبسي القهوة أحياناً ولكن ليس غالباً .. وكان يتوجه مرة أو مرتين كل اسبوع من دار المستشارية سيراً على الأقدام إلى فندق كايزرهوف الذي كان مقراً لاجتماع أقطاب حزبه قبل ارتقائه الحكم ، حيث يجلس بعض الوقت ويتناول شراب الشكولاتة .. ومع انه ظل يحيا حياة بسيطة بعيدة عن الترف ، الا ان منزله في برختسجادن كان يشتمل على آخر طراز في التأثيث .



كان هتلر يكره رجال المصارف وأصحاب المؤسسات التجارية - كما أشارت الى ذلك الكاتبة الأميركية دوروتي قومبسون - لأنهم يمثلون قوى مالية واقتصادية ذات طابع دولي وليست ألمانية ، وكان يبغض الاشتراكية الدولية والشيوعية باعتبارها أجهزة دولية غير تابعة من القومية الألمانية البحتة .. فضلاً

عن ذلك فهو يحتقر دعاة السلام ، لأن أولئك هم دوليون في تفكيرهم . وكان يرى أن الفاتيكانيان يلعب دورين .. وأنه ينافسه وينازعه السلطان ، وفي بعض الفترات كاد يقطع علاقاته به .



كان الفيلد مارشال غورنغ يعمل طياراً تجارياً في السويد والدانمرك ، بعد الحرب العالمية الأولى وقبل انضمامه الى الحزب النازي ... وكان هملر رئيس الجستابو يعمل جاسوساً في الحرب الأولى ، ثم بعد الحرب عمل مزارعاً للدواجن ... أما هيمس سكرتير هتلر فقد كان عاطلاً عن العمل ... وريبنتروب وزير خارجية المانيا في عصر هتلر ، فقد كان يعمل سمساراً للشعبانيا الفرنسية ...



في ٨ نوفمبر ١٩٢٣ هاجم هتلر مع فريق من معاونيه كبار الضباط والوزراء المجتمعين في بافاريا واطلق الرصاص من مسدسه . وتبادل اطلاق النار مع البوليس والقي القبض عليه وحكم بالسجن بضع سنوات ولكنه تمكن من الهرب بمعاونة وزير العدل .



كان هتلر في السابعة عشرة من عمره عندما رأى لأول مرة في حياته يهودياً ... فقد رأى يهودياً قادماً من بولندا في زي وطني اساء الى مشاعره الوطنية القومية .. فانفجر غاضباً وتساءل « أيمكن لهذا المخلوق ان يكون المانيا ؟ »



عندما اصبح هتلر مستشار المانيا لم يكن يسمح لنفسه قط ان يخاطب يهودياً حتى ولو عن طريق التلفون ... حتى انه لم يستقبل اللورد ريدنج في « براون هاوس » لأنه يهودي .



على عكس معظم الديكتاتوريين لم يكن لدى هتلر مقدرة على العمل يجهد ،

فكان مكتبه غاصاً بالقرارات والوثائق التي تحتاج الى ثوقيهه ، وكان دائماً يهملها ولا يبت بتلك القرارات ... وكانت معظم قراراته مبهمه ...

*

تمكن هتلر من أن يفضح اليهودية ، ويبين أدوارها الأثيمة التي لعبتها وأدت الى ما أصاب المانيا من الكوارث في الميدان السياسي والعسكري والاقتصادي .. ومن أجل هذا كان شعاره الدائم القضاء على اليهود اعتبار أنهم دوليون يسعون الى تمزيق القومية واشاعة الفساد والانحلال في صفوف الأمة وتحطيم اقتصادياتها والسيطرة على أجهزتها الإعلامية والاقتصادية .

*

امتازت شخصية هتلر بتلك القوة الكامنة المتأججة ، وتلك كانت أبرز صفاته ، وكان يبدو متناقضاً في أحوال كثيرة ، فقد يصمت فجأة ، ثم يعود متدفقاً في الكلام بحيث لا يترك فرصة للآخرين قاطعاً عليهم أفكارهم . وكان عصبي المزاج ، أما عقيدته في نفسه فراسخة لا تلين ، كانت هذه العقيدة أن الألمان أسمى من غيرهم من الشعوب ، كان شديد الكراهية والاحتقار والازدراء لليهود مؤمناً بانهم أساس كل نقيصة وفساد في العالم عامة وفي المانيا خاصة ، وان حياتهم القبلية وأساليبهم تستهدف تدمير الشعوب الاخرى والافراد بكل الوسائل حتى أحطها شأناً كي تتحقق لهم السيطرة واستنزاف الشعوب مادياً وأدبياً واشاعة الانحلال بينها .

*

كان هتلر يعتمد بمعظم قراراته على سرعة البديهة ، وقد خدمته هذه الموهبة أكثر من مرة ، ففي ربيع عام ١٩٣٢ أشار عليه أحد كبار أعوانه وأقوام دروم ، بأن يقوم بانقلاب يتولى به الحكم ولكنه رفض المشورة وانتابه الشعور أو البدعة التي يمتلكها بأنه سيصل الى السلطة بالوسيلة الشرعية ، ومرة أخرى في خريف عام ١٩٣٢ بعد ان خذل النازيون في انتخابات شهر تشرين الثاني ،

كان هناك فريق قوي في حزبه بزعامه جريجوراستر يحرضه على أن يصلح هذا الفشل بقبول الاشتراك في حكومة ائتلافية ولكنه رفض ايضاً . وفي خلال ثلاثة اشهر وصل الى الحكم والسلطة على نحو لم يكن أحد من معاونيه يتوقعه أبداً .

*

كانت تتخذ احتياطات غاية في الدقة والصرامة والذكاء لحراسة هتلر ضد الاغتيال . فهو عندما يبارح برلين- يستقل سيارة « مرسيدس بنز » في حجم قاطرة ، وكان من المعتاد أن يرى الليتنونت بر كتر كبير حراسه جالساً الى جواره ومن حوله حرسه الخاص ببنادقهم سريعة الطلقات . فإذا كان الطريق الذي سيجتازه حافلاً بالمارة وحيث تحتشد الجماهير فإن صفوف الحرس الأسود « أصحاب القمصان السوداء » تكون على جانبيه مولية وجوها الى الجمهور ومتجهة نحوه بالتبادل .

*

لم يكن لهتلر نزعة جنسية نحو النساء ، أي أنه لم يشغل بالهيام بامرأة ولا يوجد في شبابه لمحة من ذلك . وكان تفكيره في النساء باعتبارهن ربات بيوت وأمهات مثاليات لانجاب ابناء للحرب وكان يرى الا ينحرف الشباب الألماني بالغزل النسائي كيلا يحيد عن أهدافه السامية في الحياة ومعاركها . ولم يكن مع ذلك عدواً للمرأة ، ولكنه يتجنب فتنها ، وسلوكه مع النساء لا يعدو - كأخلاق الفرسان - أن يقبل يد المرأة اعزازاً ومع ذلك يعجب بانوثة بعض النساء ، ومنهن فراو غوبلز . وكان أسام صلته بإيفا براون ، التي ارتبط بها في ختام حياته ايمانها المطلق به وتقانيها في الولاء له بل وعبادته .

*

كان هتلر قليل التفهم لنفسية النساء ، لا يميز فيهن بين ما هو طلاء وكلفة وبين ما هو طبيعي . ومن صفاته انه كان شديد التأثير بالجمال النسائي . غير انه ، في غمرة اندفاعه وحماسته ، كان ينسب الى فتنة المظهر صفات خلقية قلما صح

وجودها . فقد كان يرى في جمال بعض النساء دليلاً على مواهب لا وجود لها ،
في الحقيقة ، الا في خياله ... »

*

« بعد ان استلم هتلر الحكم ، أثار موجة من شعور الاعجاب في صفوف
النساء ساعة طرح على نفسه ، في اجتماع يضم عدداً عظيماً منهن ، هذا السؤال :
- « ماذا حملت النازية الى المرأة الألمانية ؟ »
ثم أجاب عن سؤاله بنفسه اذ قال :
- الرجل !

*

كان الارهاب والتخويف من أهم الأسلحة التي يلجأ اليها الفوهرر ، وكذلك
التهديد ، وقد أثمرت هذه الخصائص في سياسته واسلوبه ، واستطاع ان يصل
بها إلى مكاسب كثيرة وانتصارات في شتى الميادين ، وفي شهر آب عام ١٩٣٢
عندما رأى هندنبرغ أن يعينه مستشاراً لألمانيا ، طلب مهلة ثلاثة
ايام ، وفي تلك الفترة مضى رجال النازي المتعصبون يمعنون نقيلاً في
الشوارع بكل مضاد للنازية .

*

ان اساس نظرية هتلر السياسية تتحدد في أن يكون السلطان كله للقيادة ،
والطاعة كلها للقاعدة ، على نقيض النظرية الديمقراطية في الحكم . والألمان
شعب يحب ان يقاد .. وهم يذكرون « اننا نبصق على الحرية ، والألماني يحس
بالعار إذا لم يكن في ثياب الجندية . وهو شعب مطبوع على الطاعة والتنظيم وقد
استطاعت النازية أن تخلق منه شخصيات مصكوكة صكاً على أنها نماذج عن
هتلر .. لتكون لها حقوق القيادات المساعدة ، وهي بدورها تحت إمرة الزعيم .

*

فهرست

صفحة	
٣	مقدمة
	هتلر واليهود
	الفصل الأول
٥	طفولتي
٨	السنوات القاسية
١٠	الحزب الاشتراكي الديمقراطي
١٣	مفتاح الاشتراكية
	الفصل الثاني
١٨	ملاحظات سياسية
٢٢	النظام البرلماني
٢٧	الرأي العام
٣٥	عوامل الاخفاق
	الفصل الثالث
٤٢	ميونخ
	هتلر والشيوعية
	الفصل الرابع
٥٥	الحرب العالمية
	الفصل الخامس
٦٢	الحرب والدعاية
	الفصل السادس
٦٥	الثورة
	الفصل السابع
٧٢	نشاطي السياسي

صفحة	
	الفصل الثامن
٧٧	حزب الفلاح الألماني
	الفصل التاسع
٨١	اسباب الانهيار
	هتلر والأجناس
	الفصل العاشر
٩٦	الشعب والعرق
	الفصل الحادي عشر
١١٣	الحزب يبدأ العمل
١٢٨	الفصل الثاني عشر
	الفصل الثالث عشر
١٣١	في الدولة
	هتلر والنازية
	الفصل الرابع عشر
١٤٦	الدولة وتنشئة النخبة
	الفصل الخامس عشر
١٤٩	رعايا الدولة والمواطنون
	الفصل السادس عشر
١٥٦	المفهوم الفلسفي والتنظيم
	الفصل السابع عشر
١٦٠	تأثير الكلمة
	الفصل الثامن عشر
١٧٥	القوي قوي بنفسه
	الفصل التاسع عشر
١٩٣	القناع الفدرالي

	صفحة
هتلر والحركة النقابية	
الفصل العشرون	
الدعاية والتنظيم	٢٠٤
الفصل الحادي والعشرون	
الحركة النقابية	٢١٤
الفصل الثاني والعشرون	
سياسة المحالفات	١٢٢
الفصل الثالث والعشرون	
الاتجاه نحو الشرق	٢٤٥
الفصل الرابع والعشرون	
حق الدفاع المشروع	٢٦٠
النهاية	٢٦٨

